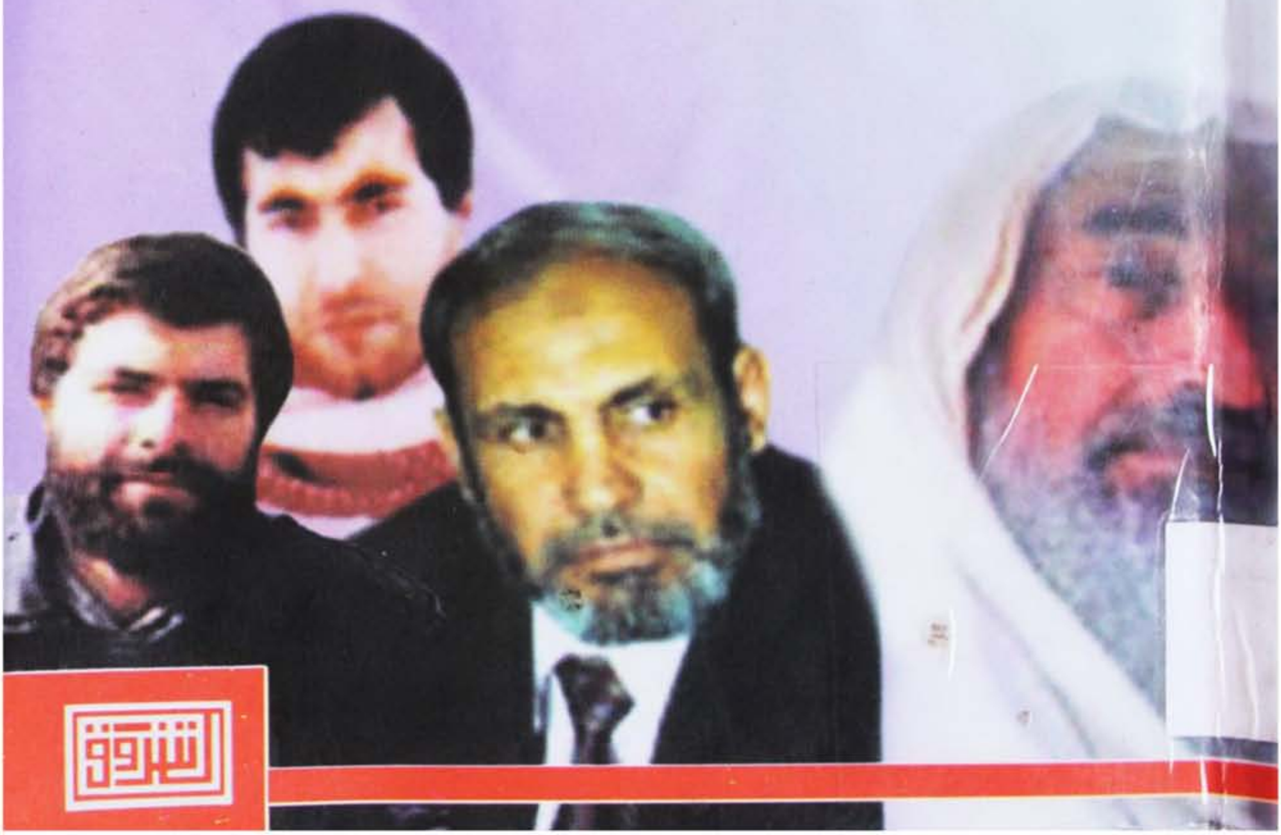
مهيب سلمان أحمد النواتي

حماس

من الداخل



● [illegible] من الداخل .

● مهيب سلمان أحمد النواتي .

● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول 2002 .

دار الشروق للنشر والتوزيع

فلسطين – غزة

الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

التوزيع في العالم العربي

دار الشروق للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065

ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان – الاردن

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :

دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب . 926463 عمان (11110) الأردن

Email : shorokjo@nol.com.jo •

إهداء

إلى أخي ممتز سلمان النواتي، الذي فقد في مدينة السواد (تل أبيب) منذ عام 1982 ولا نعرف حتى الآن إذا مازال على الأرض أم صعد إلى السماء .

إلى المجاهد محمد الشراتحة , المعتقل في سجون الاحتلال منذ أكثر من 13 عاما، الذي حملني كصحفي مسؤولية متابعة قضايا المفقودين والمعتقلين في زنازين العزل الانفرادي، دون أن أعرفه أو ألتقيه سوى مرة واحدة من خلف جدران زنازين أقبية تحقيق سجن غزة المركزي .

إلى كل المقاومين على أرض فلسطين، أحياء على الطريق أو شهداء أوجرحى أو معتقلين .

إليهم جميعا أهدي كتابي هذا

هيب سلمان النواتي

المحتويات

مقدمة

بداية أردت أن أكتب بحثا مطولا أو دراسة مستفيضة عن حركات المقاومة الإسلامية في فلسطين، خاصة بعد ما نتج من آراء حول هذه الحركات والتنظيمات إثر حوادث تفجير أيلول 2001 في أمريكا، ولكنني بعد أن بدأت في جمع المواد المطلوبة لمثل هذا العمل وجدتني أستشعر أن عملا مثل هذا سيخرج عن إطار البحث أو الكتاب العادي لذا فإنني طورت الفكرة للحديث عن كل حركة أو تنظيم من هذه التنظيمات بشكل منفرد لأنّ كل تنظيم بذاته هو موسوعة للبحث والدراسة، خاصة إذا ما كانت هذه الدراسة ستتخذ منحى التحليل والنقد في معظم الاحيان، وستخرج عن إطار الدعاية، أو التنظير، المعتادين في مثل هذه الكتب. وقد رأيت أن أبدأ كتاباتي هذه بحركة المقاومة الإسلامية حماس، لأن مراجع وموارد المعلومات المتاحة لي بالنسبة لحماس هي أكثر من غيرها .

وفي حقيقة الأمر إن الحديث عن حركة حماس لم يكن بالأمر الهين، خصوصاً إذا ما أراد الكاتب أن يتحدث عن كافة الأمور الهامة التي تعنى بها الحركة. من هذه الأمور ما هو بالتأكيد مثار جدل قائم ومنها ما يعتبر في إطار السرية والخصوصية. لذا فإنّ العمل في هذا الإطار كان يتطلب مقياسا حساسا للغاية، حتى لا يقع الكاتب في ما هو محظور .

وبفضل الله فقد وجدت من التسهيلات والتيسير الأمر الكثير من بعض مسؤولي وقادة حماس، الذين تفهموا الفكرة جيدا ولم يبخلوا بتقديم المساعدة الممكنة لإنجاح مثل هذا الكتاب. وحتى يستطيع القارئ فهم حركة حماس جيداً من خلال تتبع مسيرتها خلال فترة عملها في الثلاث عشرة سنة الماضية وهي عمر الحركة الفعلي، وجدتني أتطرق لكافة المواضيع التي تهم القارئ والتي تمكنه من فهم حركة حماس بيسر وبشكل موضوعي وتحليلي. لم يكن هدفي هو إصدار أي حكم سواء بالسلب أو الإيجاب على الحركة خلال فترة مسيرتها، حيث إن هذا الأمر لم يعنني مطلقا، بل إن ما عُنيتُ به هو نقل الحقائق بعينها مع تعليق أو تحليل وفق وجهة نظري الشخصية والخاصة، ذلك حتى يسهل على القارئ فهم كافة الأمور التي تستطيع أن تضعه على درجة كافية يمكن أن يصل من خلالها إلى درجة يتمكن فيها من فهم حركة حماس كحركة مقاومة فلسطينية .

نسأل الله أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا، ونتقدم بالشكر إلى كل من ساهم معنا في إنجاح هذا العمل وخروجه إلى النور، لكي يتمكن القارئ العربي من الاطلاع عليه ودراسته .

والله ولي التوفيق

النشأة والميثاق

أولا: النشأة

يمثل الحديث عن نشأة حركة حماس إشكالا كبيرا من حيث التوقيت الزمني لهذه النشأة ، فحماس التي ولدت عمليا مع بداية الانتفاضة الفلسطينية وبالتحديد بتاريخ 14/ 12/1987 تطرح نفسها من خلال بعدها الزماني والمكاني كما ورد في المادة الخامسة من ميثاقها " بأن بعد الحركة يمتد إلى مولد الرسالة الإسلامية والسلف الصالح ". (1)

كما أن إعلان حماس أنها "جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي" (2)، يطرح تساؤلا كبيرا في إطار البعدين الزماني والمكاني للحركة .

وقد يكون تتبع نشأة الحركة الإسلامية الخاصة بالإخوان المسلمين في فلسطين وتحديد مدى أهمية إرتباطها بحركة حماس مفتاحا هاما لحل هذه الإشكالية المتعلقة بنشأة حركة حماس .

الإخوان المسلمون في فلسطين:

"تعود بدايات جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين إلى أواسط الثلاثينيات وقد بدأ تشكيل بنائها التنظيمي في عام 1946، عندما

أنشأت لها عدة فروع في مدن وقرى مختلفة كان أولها مدينة القدس. وقد شارك المتطوعون من الإخوان المسلمين من مصر والأردن في حرب فلسطين عام 1948، مما منح حركتهم بروزا و أعطاها زخما مكنا تنظيمها من الترسخ والانتشار في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال فترة 1948 ـ 1967". (3)

أدى الاحتلال الإسرائيلي لما تبقى من الأرض الفلسطينية عام 1967 إلى قطع العلاقة ما بين حركة الإخوان المسلمين الام في مصر وبين ما تبقى من عناصر ومؤيدين وقادة للحركة في فلسطين. وقد أدى هذا الانقطاع إلى انحسار نشاط الحركة في فلسطين. إلا أن ما تبقى من قيادات وعناصر فاعلة من الإخوان في فلسطين استطاعوا أن يحافظوا على فكر ومنهج الحركة، على الأقل في نفوسهم وعقولهم انتظارا للحظة التي ستسنح لهم لاعادة مزاولة نشاطهم .

مع بداية السبعينيات إستطاع أن ينشط بعض هؤلاء القادة من جديد، وكان هدفهم إعادة بناء الحركة وتفعيل نشاطها من أجل تحقيق هدفها المتعلق بالدعوة من أجل بناء الفرد المسلم وصولاً إلى الأسرة المسلمة، على طريق تحقيق المجتمع المسلم، الذي سيؤدي إلى تحقيق الهدف العام للإخوان وهو الدولة المسلمة.

وقد أدى انقطاع صلة من تبقى من الإخوان في فلسطين عن رأس الهرم القيادي للحركة في مصر إلى أن يعمل هؤلاء القادة كقيادات ميدانية مناطقية على صعيد الحركة الأم، وبشكل سيعتمد على قدراتهم الذاتية، وإرتباطهم بالواقع الفلسطيني أكثر مما يعتمد على إرتباطهم بالحركة الأم .

وفعلا بدأ هؤلاء القادة من أمثال الشيخ أحمد ياسين، وعبد الفتاح دخان، ومحمد شمعة، من إعادة بناء الهيكل التنظيمي للإخوان المسلمين وقد باشروا عملهم هذا تحت ستار قانوني، حيث أقام الشيخ أحمد ياسين وزملاؤه جمعيات عثمانية حصلت على تراخيص من الحكم العسكري الإسرائيلي لمزاولة نشاطات إجتماعية وثقافية ورياضية، وقد كان من بين هذه الجمعيات، بل و أهمها (المجمع الإسلامي) و (الجمعية الإسلامية) في غزة .

المجمع الإسلامي :

تأسس (المجمع الإسلامي) عام 1973 ومنح ترخيصاً من قبل السلطات الإسرائيلية كجمعية عثمانية بتاريخ 1979، أي بعد ست سنوات من تأسيسه الفعلي، مارس فيها قادته ومؤسسوه العمل دون أي غطاء أو رخصة مما عرضهم عام 1977 للمساءلة من قبل السلطات الإسرائيلية. ويذكر الشيخ أحمد ياسين ذلك فيقول : "بدأنا العمل في المجمع عام 1973بدون ترخيص، وفي عام 1977 أصدروا لنا أمرا بالإغلاق، وتم تحويلي أنا والحاج أحمد دلول للنيابة للتحقيق معنا، وتقديمنا للمحكمة بتهمة جمع تبرعات. لقد أصبحنا في ورطة، ولم نجد من يقف بجانبنا سوى الشيخ المرحوم هاشم الخازندار، الذي كان بحكم موافقته مع عدد من الشخصيات الأخرى على إتفاقية كامب ديفيد على علاقة مع الإدارة المدنية الإسرائيلية، وقد تم وعده بمنح (المجمع) ترخيصاً بعد عودته من زيارة مصر، وبالفعل بعد عودته من مصر تم منحنا ترخيصاً عام 1977". (4)

بدأ المجمع نشاطه المتعلق بنشر الدعوة وبناء الفرد المسلم، من خلال المؤسسات التي أيقن قادة الإخوان أنها هي التي ستساعد على

نشر هذه الدعوة وتحقيق غايات و أهداف الجماعة، و قد كان أفضل وأهم هذه المؤسسات (المسجد).

نشأ المجمع في البداية (كمسجد) أُلحقت به عيادة طبية ونادٍ رياضي ورياض أطفال، ولجنة زكاة، ومركز نشاط نسائي وتأهيل فتيات، ولجنة إصلاح وفرق أفراح إسلامية وقد تعكس هذه التصنيفات التي إهتم بها مؤسسو (المجمع) طبيعة فهمهم للجوانب التي يمكن أن ينطلقوا من خلالها إلى كافة شرائح المجتمع وطبقاته، خاصة الفقيرة منه والمتوسطة .

ضمت المجموعة الأولى التي أسست (المجمع) كُلاً من " أحمد ياسين، سليم شراب، أحمد دلول، إسماعيل أبو العوف، أسعد حسنية، مصطفى عبد العال، عبد الحي عبد العال، لطفي شبير، يعقوب أبو كويك، أحمد أبو الكاس، و آخرين " .

كانت الشخصية المركزية بين هؤلاء هي شخصية الشيخ أحمد ياسين، الذي تم إختياره من قبل عدد من قيادات الإخوان كقائد جديد للجماعة بعد خروج إسماعيل الخالدي الذي كان مسؤولا عن أجهزة الدعوة بعد عام 1968 .

بدأ الشيخ ياسين التحرك في قطاع غزة متخذاً (المجمع) مقراً وواجهة للنشاطات العلنية التي كان يمارسها تنظيم الإخوان المسلمين. كما تحرك الشيخ باتجاه الضفة الغربية والأردن، بهدف ترتيب العلاقات مع قيادات الإخوان في الضفة وفي الأردن، وقد أفلح الشيخ ياسين في إيجاد قنوات إتصال مع الجهتين، وقد أدى الاتصال مع الضفة الغربية إلى إعادة ربط العلاقة بين قيادات الضفة من الإخوان

وقيادة (المجمع). ولكن هذه العلاقة لم تصل إلى حد الربط والتنسيق المركزي، بل كانت علاقة إستشارية تكميلية ، وقد ظلت العلاقة على هذا المنوال حتى تأسيس حركة حماس ، حيث وجد قادة حماس طريقهم إلى الضفة الغربية ، ومن ثم أصبحت العلاقة علاقة تكاملية تنسيقية لتنظيم موحد هو (حماس) .

كانت المساجد من أهم المراكز التي جذبت إنتباه الشيخ ياسين، ذلك لان المسجد له مفهومه الشمولي في عقيدة المسلمين كما أن له مفهومه الخاص في فكر ومنهج الإخوان، تحرك الشيخ ياسين باتجاه المساجد من أجل تنشيطها و تفعيلها لخدمة فكرة الإخوان .

بدأ أنصار المجمع الإسلامي بالسيطرة على مساجد قطاع غزة مسجدا مسجدا وقد كانت تبرز أهمية المساجد من خلال بروز مسؤوليها أو قادتها فظهر في غزة بشكل ملحوظ وكبير مسجد الكتيبة الذي يقع بالقرب من الجامعة الإسلامية وقد كان يقوده شاب إعتبره البعض الابن المدلل والاهم للشيخ أحمد ياسين في ذلك الوقت، كان هذا الشيخ الذي تمتع بقدرة عالية على الخطابة أدت إلى إلتفاف جمهور كبير من الناس وخاصة الشباب من حوله هو حجازي البربار، صعد الشيخ حجازي البربار بقوة كقيادي شاب من خلال خطبه ودروسه الدينية التي كان يلقيها في مسجد الكتيبة بغزة، وقد إستطاع إستقطاب عدد كبير من الأنصار والمؤيدين خاصة الشباب من حوله .

كان الإخوان المسلمون وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، الذي عرف عنه صبره، وتأنيه، و إهتمامه الشديد بتحقيق فكرة الإخوان المسلمين، و أسلوبهم الهادف لاقامة الدولة الإسلامية، عن طريق الدعوة، وبناء الفرد و الأسرة، ثم المجتمع الذي سيؤدي إلى إقامة هذه

الدولة بالطرق السلمية، من خلال الدعوة والإرشاد وتوسيع دائرة الأنصار والمؤيدين، كان هؤلاء الإخوان يعتنون جيدا بالأسلوب الذي يمارسونه من أجل تحقيق فكرهم، ذلك لانهم آمنوا جيدا بالفكرة، والأسلوب، وتأكدوا من خلال دراسة تجارب للإخوان و لحركات أخرى، أن هذه الطريقة هي أفضل الطرق لتحقيق غايات الحركة، وأن أي تسرع أو تغيير لأسلوب الدعوى المتبع قد يؤدي إلى تصادم مع قوى الاحتلال، أو مع الفصائل والقوى الفلسطينية الموجودة والفاعلة على الساحة السياسية الفلسطينية، وقد يؤدي هذا الصدام إلى تعرض الحركة الإسلامية الاخوانية إلى ضربة قوية قد تؤدي إلى القضاء على المشروع الإسلامي، أو تأجيله، وتأخيره عشرات السنين.

لذا وجدنا الشيخ أحمد ياسين يتمهل كثيراً ويدرس الأمور بحكمة وتأنٍ قبل الإقدام على أي فعل قد يؤدي للمواجهة، أو المصادمة، وقد يرجعُ قرار الإخوان المسلمين بعدم المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي في الجامعات الفلسطينية وخاصة الإسلامية الذي إستمر حتى بداية الانتفاضة إلى هذه النظرة .

حقق الإخوان المسلمون أو (أنصار المجمع الإسلامي) كما أصبح يطلق عليهم، نجاحات كثيرة على صعيد الانتشار والتوسع. وقد أصبح للمجمع الإسلامي سيطرة شبه كاملة على معظم مساجد قطاع غزة، إضافة إلى الجامعة الإسلامية التي سيطر عليها الإخوان المسلمون بعد تعيين الدكتور محمد صقر رئيسا لها، "وهو أحد أقطاب الإخوان في الأردن" بدلاً من الدكتور رياض الآغا، الذي عين بتوجيه وتزكية من أحد رموز الإخوان المسلمين، ولكنه لم يتقيد بتعاليمهم و أوامرهم في الجامعة، و أتاح لنفسه هامشاً كبيراً للتحرك وفقا لأفكاره وتطلعاته،

الأمر الذي أغضب قادة الإخوان وجعلهم يستشعرون خطورة بقائه في منصبه،خاصة عندما بدأت منظمة التحرير تتنبه للجامعة الإسلامية .

لكن هذا التوسع للمجمع وازدياد شعبيته، وخاصة في صفوف الشباب، أدى في بعض الاحيان إلى الضغط على قيادة الإخوان المسلمين، في محاولة لدفعها للخروج عن مبدئها وأسلوبها الدعوي وتطويره بإعلان الجهاد، أو على الأقل القيام بمبادرات جهادية، ذلك لان (المجمع الإسلامي) لم يكن وحده على الساحة السياسية في قطاع غزة أو الضفة الغربية، بل كانت هناك قوى سياسية فاعلة تتمثل في فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة الجهاد الإسلامي، وحزب التحرير، الذين تبنوا جميعهم سياسة المواجهة والجهاد ضد قوى الاحتلال، إضافة إلى قوى أخرى سياسية مثل الحزب الشيوعي الفلسطيني .

أدت المنافسة على الوجود وقيادة الشارع الفلسطيني في الجامعات، والمدارس الثانوية إلى إتهام فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وخاصة حركة فتح، التي كانت تمارس عملها من خلال حركة الشبيبة التي جمعت حولها عددا كبيرا من المناصرين، و النشطاء، والمؤيدين لا يقل عن أنصار المجمع الإسلامي، أدت هذه المنافسة إلى إتهام فصائل منظمة التحرير (المجمع الإسلامي) بأنه متخاذل، ولا يشارك في مواجهة الاحتلال ولا يتبنى خيار المواجهة والجهاد كوسيلة لتحرير فلسطين، ومواجهة قوات الاحتلال .

هذا الأمر أدى إلى حالة من السخط بين بعض قيادات حركة الإخوان المسلمين، وخاصة الشباب منهم، الذين استطاعوا أن يجمعوا حولهم عدداً كبيراً من الأنصار والمؤيدين، الأمر الذي دعا بعض هؤلاء

الشباب إلى الضغط على قيادة (المجمع) من أجل المباشرة في إعتماد الجهاد وسيلة للمواجهة. ولكن رغم هذه الضغوط فان قيادة المجمع ظلّت تصر على أن نهجها المتبع هو النهج السليم الذي سيؤدي بالحركة إلى تحقيق أهدافها، وأن أي تسرع أوتغيير في نهج الحركة سيؤدي إلى تأخير المشروع الإسلامي وعودته للوراء. ظلت الأحوال على ما هي عليه بين مد وجزر، وشد ورخي، في العلاقة ما بين المجمع الإسلامي أو (الكتلة الإسلامية) كما أصبح يطلق عليها في الجامعة الإسلامية، وبين فصائل منظمة التحرير، حيث أصرّ كل طرف على مواقفه من ناحية طبيعة اللقاء مع قوى الاحتلال الإسرائيلي وطبيعة المواجهة حتى 1987/12/7، حيث ستفرض المتغيرات التي ستلي هذا اليوم تحولات كثيرة على نهج الإخوان وفكرهم .

بداية الخروج عن المألوف :

أصر الإخوان على مواقفهم حول منهج الدعوة الحركي. ولم يخرج عن هذا النص، وهذه الرؤيا، سوى الشيخ حجازي البريار، الذي قلنا سابقا أنه إستطاع أن يجمع حوله عدداً كبيراً من الأنصار والمؤيدين الشباب من خلال مسجد الكتيبة الذي قاده في غزة .

بلغت نشوة الانتصار لدى الشيخ حجازي البريار ذروتها عندما رأى حوله عدداً كبيراً من المناصرين، الأمر الذي دفعه للخروج عن تعليمات قيادة الإخوان المسلمين، وخاصة الشيخ أحمد ياسين، الذي كان يعتبره ساعده الأيمن، وكان يرشده بشكل مباشر. وقد حدث ذلك عندما خرج الشيخ حجازي البريار بمظاهرات في شوارع مدينة غزة في السادس من يناير عام 1980 هاجم خلالها أكثر من خمسة آلاف 5000

متظاهر بعض المؤسسات التابعة للحزب الشيوعي الفلسطيني، مثل الهلال الأحمر، الذي كان يتخذ من مبنى فندق الأمل مقراً له، وبعض محلات بيع الخمور على شاطئ البحر، وبعض دور السينما .

حرق المتظاهرون عددا كبيراً من هذه الأماكن، وكسروها وحاولوا الاعتداء على منزل الدكتور حيدر عبد الشافي، حيث كان يتواجد، ولكن الجيش الإسرائيلي تصدى للمتظاهرين ومنعهم من الاعتداء على منزل الدكتور حيدر عبد الشافي، أحد القيادات الجماهيرية والسياسية الفلسطينية البارزة، ورئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، والذي أصبح فيما بعد رئيسا للوفد الفلسطيني المفاوض في مؤتمر مدريد .

اعتبرت أحداث عام 1980 بمثابة الخروج عن المألوف من قبل قيادة المجمع الإسلامي، حيث كان المتفق عليه بين الشيخ أحمد ياسين والشيخ حجازي البريار هو تجمع شباب الحركة في الجامعة الإسلامية، في خطوة احتجاجية لمنع الشيخ محمد عواد من إعلان إستقالته من الجامعة، حين أرادت منظمة التحرير فرض مجلس أمناء من أنصارها، الذين أطلق عليهم قادة الإخوان مصطلح (غير الإسلاميين).

شعر الشيخ حجازي البريار الذي كان يقود مجلس طلبة الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت بقوته، وقد وجد حوله أكثر من ثلاثة آلاف شخص من متعاطفين، ومناصرين، ومؤيدين للمجمع، فقرر الخروج عن إطار الجامعة في مظاهرة إلى الشارع، من أجل التعبير عن موقف الرفض لما تريده المنظمة .

المظاهرة، أو الثورة -كما يحلو للشيخ حجازي تسميتها- كانت ظاهرة جديدة على الإخوان المسلمين. وقد فرّغ خلالها المتظاهرون كبتهم الناتج عن سياسة التربية الإسلامية الخاصة بالإخوان، والتي تمنع أعضاءها من ممارسة أي عمل جهادي، تحت مبررات "عدم إحانة الفرصة". هذه المبررات التي قد تجد طريقها لقادة الإخوان ولكنها كانت عامل كبت لعناصر الحركة، الذين ما لبثوا أن أعربوا عن كبتهم هذا عندما مروا من أمام الهلال الأحمر الذي كان رمزا للشيوعية، فقام عناصر من المتظاهرين بحرق الهلال الأحمر .

بات واضحا حينها للشيخ حجازي أن الأمر قاب قوسين أو أدنى من الخروج عن السيطرة. ويذكر الشيخ حجازي في حديث معه حول هذه النقطة "لم يكن مقرراً مهاجمة أي مكان أو الاعتداء على أحد، بل لم يكن مقرراً أصلاً الخروج من الجامعة. ولكن عندما رأى الشباب الهلال الأحمر كرمز للشيوعية، وكانت الأجواء وقتها مشحونة للغاية، حيث الغزو السوفيتي لأفغانستان، فقد قام عدد من العناصر النشيطين في الحركة بحرق الهلال. لم يكن ما قاموا به نتاج تعليمات مسبقة أو آنية، ولكنني عندما رأيت ما قاموا به توجهت لهم ومنعتهم من مواصلة حرق المبنى، وأشرت لهم نحو محل لبيع الخمور كان يوجد تحت مقر الهلال الأحمر، وقلت لهم هذا من يستحق الحرق، وفعلاً تم حرق المحل. وخطرت في بالي حينها فكرة مهاجمة أماكن نشر الفساد والرذيلة، فتابعت قيادتي للمسيرة قاصداً بعض الأماكن التي تبيع الخمور، ودور السينما، ولم يكن لدينا أي توجه للاعتداء على أشخاص، أو مراكز، أو مؤسسات حتى الاعتداء و إلقاء الحجارة الذي جرى على منزل الدكتور حيدر عبد الشافي، كان ارتجاليا، وبدون أوامر، وقام به عناصر بشكل فردي دون توجيه أو تعليمات". (5)

ورغم أن هذا الخروج قد حقق مكاسب عديدة للمجمع ومنها اعتبار هذه الأحداث بداية تبني (المجمع) الخط الجهادي وبروز المجمع كقوة فاعلة يحسب لها حساب على صعيد الشارع الفلسطيني، وخاصة فصائل منظمة التحرير، إلا أن قيادة المجمع التي تمسكت كما أوضحنا سابقا بنهج دعوة الإخوان، اعتبرت هذه الأحداث خروجا عن المألوف وعن الطاعة، وقد كان واضحاً أن قيادة المجمع وخاصة الشيخ أحمد ياسين سيتخذون قرارا بمحاسبة المسؤول عن هذه الأحداث وهو الشيخ حجازي البريار، وبالفعل فقد قام الشيخ أحمد ياسين بمحاسبة حجازي على ما قام به وحمله مسؤولية ما جرى، حيث إن الاتفاق كان بينهما على الاحتجاج ضمن إطار الجامعة فقط، وقد مثلت هذه الحادثة نقطة هامة في الخلاف بين الطرفين ، خاصة وأنه قد ظ بوادر خلافات حول ممارسة الجهاد مع بروز تيار جديد من قادة الإخوان الذين سيشكلون فيما بعد تيارا إسلاميا جهاديا جديدا هو منظمة الجهاد الإسلامي).

أعطى الشيخ ياسين تعليماته بتحجيم دور الشيخ حجازي البريار في الحركة على كافة الصعد وخاصة على صعيد الحركة الطلابية مجلسها في الجامعة الإسلامية، وقد نجحت إجراءات الشيخ أحمد ياسين بحيث وجد الشيخ حجازي البريار نفسه فجأة بدون أي قيمة في الجامعة الإسلامية، حيث تم إظهار وجه جديد من وجوه أبناء المجمع الشباب وهو الطالب خالد الهندي، الذي إنتخب رئيسا لمجلس الطلبة بدلا من الشيخ حجازي الذي كان قد إبتعد عن الإخوان، ودخل انتخابات مجلس الطلبة بقائمة بعيدا عن قائمة (المجمع).

الطالب، أو الشيخ خالد الهندي سيصبح فيما بعد أحد القيادات البارزة لحركة حماس. أما الشيخ حجازي فقد أفل نجمه وخرج من

المجمع الإسلامي محاولا التقرب من حركة الجهاد الإسلامي، ولكنه لم ينخرط تنظيميا في صفوفهم، وقد واصل بعدها حياته السياسية بصعوبة. حيث تعرض لسلسلة من الأزمات أدت إلى غيابه كلية عن الساحة الجماهيرية الفلسطينية .

الانتفاضة :

أدى حادث دهس سيارة عربية من قبل قاطرة نقل إسرائيلية كبيرة ومقتل سبعة فلسطينيين بتاريخ 1987/12/8 إلى غليان في الشارع الفلسطيني. تفجر هذا الغليان إلى مواجهات مع قوى الجيش الإسرائيلي في شوارع مدينة غزة، وقد إزدادت مشاركة الجماهير الفلسطينية في هذه المصادمات والمواجهات مع سقوط أول جريح، وأول شهيد فلسطيني من مخيم جباليا وهو الشهيد حاتم السيسي .

تصاعدت الأمور يوما بعد يوم، وبات واضحا أن هذه المشاركة الجماهيرية الكبيرة ستؤدي إلى نتائج كبيرة وخطيرة على صعيد علاقة الجماهير الفلسطينية في قطاع غزة، ومن ثم الضفة الغربية لاحقا مع قوى الاحتلال الصهيوني وخاصة قواته العسكرية المحتلة لهذه المناطق .

الفصائل الفلسطينية المنضوية تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية أعربت عن مشاركتها في الأحداث الجارية منذ لحظتها وساعاتها الأولى. حيث دعت حركة الشبيبة أنصارها في الجامعة الإسلامية والمدارس الثانوية لتصعيد المواجهات مع قوى الاحتلال في الشارع الفلسطيني والطرقات، والأزقة، وتوسيع هذه المواجهات لتشمل كافة أنحاء قطاع غزة. جرت هذه المواجهات بينما كانت قيادات من

هذه الفصائل تجتمع بشكل متسارع من أجل تشكيل هيئة وطنية، أو قيادة وطنية جماعية تعمل للسيطرة على هذه المواجهات وتوجيهها بشكل صحيح، من أجل توسيع إطار المشاركة الجماهيرية لتشمل كافة أنحاء القطاع بعد أن كانت محصورة في بدايتها، لتشمل الضفة الغربية بعد ذلك بأسابيع. وبينما كانت هذه القيادات تتحاور لتشكيل ما عرف بعد عدة أيام بـ (القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة)، كانت هناك تحركات شديدة وسريعة من قبل قيادات المجمع الإسلامي من أجل محاولة استيعاب ما يحدث، وتحديد موقف تجاهه .

حركة حماس :

كان البرد قارساً، والجو ماطراً، حين كان يجلس في منزل شيخ أحمد ياسين سبعة من قادة المجمع الإسلامي هم: (الشيخ محمد شمعة، الشيخ عبد الفتاح دخان، الشيخ صلاح شحادة، الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، الدكتور إبراهيم اليازوري، المهندس عيسى النشار)، مع مضيفهم الشيخ أحمد ياسين. كان الجميع يتداولون الأحداث التي عمّت الشارع الفلسطيني، خاصة بعد أن تقرر إغلاق الجامعة الإسلامية من قبل السلطات الإسرائيلية، لان المواجهات الفعلية قد إنطلقت من بين أسوار الجامعة .(6)

عدد من القيادات المجتمعة كان يضغط بضرورة المشاركة في هذه الأحداث لان إتساع نطاق التفاعل الجماهيري المتزايد يوما بعد يوم سيحرج (المجمع) أمام هذه الجماهير، وقد يعرض الحركة لردة فعل غاضبة من عناصرها الذين سئموا من عدم المشاركة في المواجهات والصدامات ضد الاحتلال. بعض المشاركين حذّر من أن عدم المشاركة

قد يؤدي إلى فلتان في الحركة وعدم سيطرة على جماهيرها وأنصارها .

تباينت الآراء حول موقف قيادات المجمع وخاصة الشيخ ياسين من المشاركة في هذه الأحداث، فبينما وصف الكاتبان الإسرائيليان إيهود يعاري وزئيف شيف موقف الشيخ ياسين بالسلبية :

"لدى إندلاع الاضطرابات في القطاع جاء إلى بيت الشيخ أحمد ياسين بعض نشطاء حركته وحاولوا إقناعه إعادة النظر من جديد في سياسته، حتى ذلك الوقت كان ياسين ينادي بما يسميه الإخوان المسلمون التربية والدعوة، صحيح أنه في إحدى المرات قبل بإخفاء بنادق لديه لكنه كان حريصاً على عدم القيام بعمليات إرهابية... قال رجاله : الانتفاضة تستوجب من الحركة الاشتراك بصورة منظمة وإدارة الأحداث، لكنه رفض... وأخيرا فقط سمح في النصف الثاني من شهر كانون أول 1987 بنشر منشور يحمل توقيع حركة المقاومة الإسلامية يدعو إلى تصعيد الانتفاضة، كما أن ضغط الأحداث بدأ يتزايد بإضطراد وبسرعة، الأمر الذي جعل الشيخ ياسين يلين شيئا فشيئا و أخيرا في أواخر شهر كانون أول 1987 توصل الشيخ ياسين إلى إستنتاج بأنه لم يبق لديه خيار سوى الاستجابة لتوسلات وإلحاح رجاله و السماح لهم بالانتقال من التربية والوعظ إلى النضال القومي النشط الفعال . وفي شهر شباط أمر بتشكيل جهاز سري جديد تماما في الحركة عرف باسم (حماس) وهي الأحرف الأولى للكلمات العربية، حركة المقاومة الإسلامية، كان هذا القرار يشكل إنحرافا حادا عن سياسة الإخوان المسلمين الحذرة والمحافظة". (7)

- أصر الشيخ ياسين على أن جميع من حضروا اللقاء قد أكدوا على ضرورة المشاركة في أحداث الانتفاضة بل تعدى ذلك حين نسب إلى جماعته قضية توسيع دائرة المواجهات إلى مختلف مناطق القطاع :

"دعيت الاخوة لمناقشة الأوضاع الحالية التي كانت تدور حول الجامعة الإسلامية وقد كنا نريد نقل هذه الأحداث من الجامعة إلى الشوارع، ونحن جالسين سمعنا قراراً بإغلاق الجامعة الإسلامية فقلنا طالما أغلقت الجامعة فلننقل الصراع إلى الشارع، وإتفقنا على نقل الصراع إلى الشارع وقد كنا قد إخترنا من كل منطقة عنصراً لنؤثر في كل المناطق وليس فقط غزة، وقد كانت البداية إستعداد أحد الجالسين (الدكتور عبد العزيز الرنتيسي) لذلك، حيث قال : إنني على إستعداد منذ يوم السبت لنقل الأحداث إلى خانيونس، وفعلا قامت صباح يوم السبت مسيرة ضخمة في خانيونس ومن ثم بدأنا نقلها إلى مناطق أخرى بهدف رفع الضغط عن المناطق التي تشتد فيها الأحداث، ولرفع الضغط عن خانيونس نقلنا الأحداث إلى المنطقة الوسطى، وهكذا).(8).

إستطاعت أحداث الانتفاضة أن تخرج قادة المجمع عن المألوف بإتخاذهم قراراً بالمشاركة في أحداث الانتفاضة المتعلقة بمواجهة قوات الاحتلال، إلا أن الهواجس التي كان يتخوف منها الشيخ أحمد ياسين والمتعلقة بتعرض المشروع الإسلامي للإخوان لضربة قوية قد تؤدي إلى تأخيره جعلت قيادة الإخوان تأخذ قرارها بالمشاركة في هذه الأحداث ولكن بعيدا عن اسم الإخوان المسلمين أو المجمع، حتى إذا ما تعرضت حركة المواجهة الجديدة هذه لأي ضربة قوية فإن خطوط العودة ستظل مفتوحة لمشروع الإخوان الإسلامي الذي سيظهر أنه لا

علاقة له بما يحدث، لذلك وجدنا قيادة الإخوان المسلمين توقع بيانها الأول باسم (حركة المقاومة الإسلامية) ومن ثم أخذ هذا الاسم لفظة (حماس) بعد فترة، هكذا أصبحت حماس وليدا شرعيا للإخوان المسلمين للمشاركة في أحداث الانتفاضة التي بدا واضحا للمراقبين انها لن تكون أياما عابرة بل سيكتب لها الاستمرار على الأقل لمدة ستة أشهر قادمة .

ولكن هذا الوليد الشرعي لم يتم تبنيه رسميا أو لم تصدر له شهادة الميلاد الاخوانية بعد، كما أسلفنا سابقا بسبب الهاجس الذي ظل يراود الشيخ ياسين من تلقي المشروع الإسلامي الإخواني ضربة قاصمة، وقد يفسر لنا هذا سبب تأخر حركة حماس في إعلان ميثاقها ثمانية أشهر بعد إنطلاقها والذي كان ثاني بنوده هو الإقرار بارتباط حماس بالإخوان المسلمين .

ثانيا : الميثاق

لا شك أن التعرض لميثاق حركة حماس هو من أهم المراحل التي تسهل على الكاتب والقارئ فهم هذه الحركة، فميثاق الحركة هو الذي يوضح معالمها ويضع تشكيلها في الإطار الصحيح للصورة التي نستطيع من خلالها فهم هذه الحركة وتوضيحها للجماهير .

وقد ذكرنا سابقا أن تأخر صدور ميثاق حماس لمدة ثمانية أشهر قد يبرره حرص قادة حماس على عدم المساس بنهج الإخوان الدعوي في حالة تعرض حماس لضربة قاسية، أو فشل ذريع .

ورغم عشوائية تأسيس الحركة والظروف الخاصة التي دفعت قادة الإخوان لتأسيسها إلا أن ميثاق حماس حاول من خلال مقدمته أن

يؤكد على عدم عشوائية الانطلاق وعلى أن تأسيس الحركة جاء بعد تخطيط وتمحيص : "ولما نضجت الفكرة، ونمت البذرة وضربت النبتة بجذورها في أرض الواقع، بعيدا عن العاطفة المؤقتة، والتسرع المذموم، إنطلقت حركة المقاومة الإسلامية لتأدية دورها مجاهدة في سبيل ربها تتشابك سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحرير فلسطين وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كل المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم على أرض فلسطين، منذ أن فتحها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا". (9)

ذكرنا أن فكر الإخوان المسلمين كان يتمحور في نشر الدعوة الإسلامية عن طريق بناء الفرد المسلم الذي بدوره سيساهم في بناء الأسرة المسلمة التي بدورها ستجعل المجتمع كله مسلما، بهذه الطريقة يمكن الوصول إلى المجتمع المسلم والدولة المسلمة بعيدا عن العنف والقتال والمواجهة مع الآخر، الأمر الذي قد يعيق نشر الدعوة أو يعرض المشروع الإسلامي للتأخير أو الفناء،هذا المفهوم الذي سيطر دائما على قادة العمل الإسلامي من الإخوان المسلمين في فلسطين وضعهم أمام معضلة كبيرة في عملية التوفيق بين نشر الدعوة وبناء الفرد وبين الشباب المتحمسين الذين طلبوا في لحظة من اللحظات الشروع والبدء في الجهاد ضد المحتل، وسنتطرق بشكل أوسع في هذه النقطة في الباب الذي سنتحدث فيه عن العمل العسكري لحماس، حيث سيتضح لنا أن هاجس الجهاد والمقاومة كان موجودا وحاضرا دائما في ذهن قادة ومؤسسي المجمع الإسلامي ولكن فهمهم لطبيعة المواجهة التي ينطلق من خلال مفاهيم الإخوان الأساسية في كيفية نشر الدعوة هو الذي كان يجعلهم يؤخرون مسألة التصادم والمواجهة

مع قوى الاحتلال، وقد يكون الإسراع في نشأة حركة حماس من قبل هؤلاء القادة كحركة مقاومة إسلامية وكجزء وجناح من حركة الإخوان المسلمين مع التباشير الأولى للانتفاضة، التي ساهمت في إيجاد مفهوم جديد للمواجهة مع قوى الاحتلال ألا وهو مفهوم المقاومة الجماهيرية الواسعة، خير دليل على ذلك رغم الضغوط والظروف التي صاحبت عملية تأسيس الحركة وإنطلاقها .

إذن فقد كانت حماس قرارا واضحا للمقاومة من قبل قادة المجمع الإسلامي ولان طبيعة العمل الإسلامي ستختلف الآن مع إنطلاقة حركة حماس وستخرج عن نطاق الدعوة والعمل الاجتماعي، فكان لا بد من توضيح مفاهيم هذه الحركة و أسسها و أبعادها من خلال ميثاق الحركة، الذي تضمن خمساً وثلاثين مادة تطرق فيها الميثاق لكثير من الأمور، كان منها بواعث وأهداف الحركة :

"وجدت حركة المقاومة الإسلامية نفسها في زمن غاب فيه الإسلام عن واقع الحياة، ولذلك إختلت الموازين، وأضطربت المفاهيم، وتبدلت القيم وتسلط الأشرار، وساد الظلم، وتمر الجبناء، وأغتصبت الأوطان، وشرد الناس، وهاموا على وجوههم في كل بقعة من بقاع الأرض، وغابت دولة الحق وقامت دولة الباطل، ولم يبق شيء في مكانه الصحيح، وهكذا عندما يغيب الإسلام عن الساحة يتغير كل شيء وتلك هي البواعث. أما الأهداف فهي منازلة الباطل وقهره ودحره ليسود الحق، وتعود الأوطان، وينطلق من فوق مساجدها الآذان معلنا قيام دولة الإسلام، ليعود الناس والأشياء، كل إلى مكانه الصحيح، والله المستعان". (10)

ولان حركة حماس قد وجدت على الساحة الفلسطينية وهي ملأى بالفصائل والتنظيمات الوطنية، والإسلامية، فقد كان لا بد لحماس من أن توضح موقفها تجاه هذه التنظيمات. وقد تناول ميثاق حماس هذه المسألة ضمن فقراته :

"تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى الحركات الإسلامية نظرة إحترام وتقدير، فهي إن إختلفت معها في جانب أو تصور، إتفقت معها في جوانب وتصورات، وتنظر إلى تلك الحركات إن توافرت النوايا السليمة والإخلاص لله بأنها تندرج في باب الاجتهاد، ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية، ولكل مجتهد نصيب ... وحركة المقاومة الإسلامية تعتبر تلك الحركات رصيدا لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لراية الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة". (11)

أما الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية فقد تطرق إليها الميثاق في مادته الخامسة والعشرين :

" تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها والمؤثرة فيها، وتشد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي، وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الإسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية في تصورها للحياة، وتحركها مع الآخرين، تمقت الانتهازية ولا تتمنى إلا الخير للناس أفرادا وجماعات، ولا تسعى إلى مكاسب مادية، أو شهرة ذاتية، ولا تبغي أجرا من الناس، تنطلق بإمكاناتها الذاتية وما يتوافر لها -وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة- لان الواجب والفوز برضوان الله، لا مطمع لها غير ذلك، وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على

الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك قولا وعملا، وحاضرا ومستقبلا، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، توحد ولا تجزئ، تثمن كل كلمة طيبة وجهد مخلص، ومساع حميدة، تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس . وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة، وشقّ الصف والتلهي بأمور جانبية" . (12)

أما النقطة الأهم في هذا الجانب فقد كانت علاقة حماس بمنظمة التحرير الفلسطينية وقد تناولت المادة السابعة والعشرون هذه المسألة بشكل واضح وقد جاء فيها :

"منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد ومصابنا واحد وعدونا مشترك . وتأثرا بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية، نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ إندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار ولا يزال، تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية وهكذا نحسبها ... والفكرة العلمانية مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات ... ومن هنا، مع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية وما يمكن أن تتطور إليه وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرط في دينه خسر -"ومن

يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه"- ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة فنحن جنودها، ووقود نارها التي تحرق الأعداء، فإلى أن يتم ذلك ـ ونسأل الله أن يكون قريبا ـ فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير الفلسطينية هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء ويتمنى له الهداية والرشاد" .(13)

وقد يؤخذ على ميثاق حماس هنا عدم وضوحه في تحديد العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، فهولم يعترف صراحة بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني كما تطرح المنظمة نفسها وكما تقر لها بذلك جامعة الدول العربية والأمم المتحدة، وفي نفس الوقت فقد حدد الميثاق العلاقة بأنها علاقة حميمية لا تخرج عن إطار علاقة الابن بأبيه والأخ بأخيه .

وقد تطرق ميثاق حماس إلى الحديث عن رؤيا حماس لطبيعة العلاقة مع الدول العربية، فجاء في المادة الثامنة والعشرين تحت عنوان (الدول والحكومات العربية والإسلامية) ما يلي :

"والدول العربية المحيطة بإسرائيل مطالبة بفتح حدودها أمام المجاهدين من أبناء الشعوب العربية والإسلامية ليأخذوا دورهم ويضموا جهودهم إلى جهود إخوانهم من الإخوان المسلمين بفلسطين... أما الدول العربية والإسلامية الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها وهذا أقل القليل ... ولا يفوتنا أن نذكّر كل مسلم بأن اليهود عندما إحتلوا القدس الشريف عام 1967 ووقفوا على عتبات المسجد الأقصى المبارك هتفوا قائلين "محمد مات خلف بنات" فإسرائيل بيهوديتها تتحدى الإسلام والمسلمين ـ فلا نامت أعين الجبناء" . .(14)

كما أن حماس في ميثاقها قد أعربت عن إنسانيتها من خلال المادة الحادية والثلاثين التي جاء فيها :

"حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، ترعى الحقوق الإنسانية وتلتزم بسماحة الإسلام، في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، لا تعادي منهم إلا من ناصبها العداء أو وقف في طريقها ليعيق تحركها أو يبدد جهودها ... وفي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، في أمن وأمان، ولا يمكن أن يتوافر الأمن والامان إلا في ظل الإسلام، والتاريخ القريب والبعيد خير شاهد على ذلك". (15)

وقد أوضح ميثاق حماس موقفه من فلسطين كأرض وقف إسلامي في مادته الحادية عشرة ذاكرا: "تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية".(16)

أما عن موقف حماس من الحلول السلمية والمبادرات والمؤتمرات الدولية المتعلقة بحل القضية الفلسطينية فقد ذكرت حماس في المادة الثالثة عشرة من ميثاقها:

"تتعارض المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين".(17)

وفي إطار تربية الأجيال فقد ورد في المادة السادسة عشرة:

" لا بد من تربية الأجيال الإسلامية في منطقتنا تربية إسلامية تعتمد أداء الفرائض الدينية ودراسة كتاب الله دراسة واعية، ودراسة السنة النبوية، والاطلاع على التاريخ والتراث الإسلامي من مصادره الموثوقة" . (18)

وقد كان للمرأة نصيب في فهم حماس، فقد تحدثت المادتان السابعة عشرة والثامنة عشرة عن دور المرأة المسلمة فذكرت:

" إن للمرأة المسلمة في معركة التحرير دوراً لا يقل عن دور الرجل، فهي صانعة الرجال ودورها في توجيه الأجيال وتربيتها دور كبير وقد أدرك الأعداء دورها، وينظرون إليها على أنه إن أمكنهم توجيهها وتنشئتها النشأة التي يريدون بعيدا عن الإسلام فقد ربحوا المعركة... والمرأة في البيت المجاهد والأسرة المجاهدة، أمّا كانت أو أختا، لها الدور الأهم في رعاية البيت وتنشئة الأطفال على المفاهيم والقيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام وتربية أبنائها على تأدية الفرائض الدينية إستعدادا للدور الجهادي الذي ينتظرهم" .(19)

أما المادة التاسعة عشرة فقد تحدثت عن الفن الإسلامي في معركة التحرير وموقف حماس منه ذاكرة :

"للفن ضوابط ومقاييس بها يمكن أن يعرف هل هو فن إسلامي أم جاهلي؟ وقضايا التحرير الإسلامي بحاجة إلى الفن الإسلامي الذي يسمو بالروح ولا يغلب جانبا في الإنسان على جانب آخر، ولكن يسمو بجميع الجوانب في توازن وإنسجام" . (20)

أما نظرة حماس لأهل الديانات الأخرى فقد وردت في المادة الحادية والثلاثين:

"حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، ترعى الحقوق الإنسانية وتلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، لا تعادي منهم إلا من ناصبها العداء، أو وقف في طريقها ليعيق تحركها أو يبدد جهودها، وفي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، في أمن وأمان، ولا يمكن أن يتوفر الأمن والامان إلا في ظل الإسلام، والتاريخ القريب والبعيد خير شاهد على ذلك". (21)

وبقراءة متأنية في ميثاق حماس نستطيع القول إن حماس من خلال ميثاقها قد أوضحت أطيافها السبعة بشكل واضح، فجذورها تنبع من الإخوان المسلمين، ومنهجها هو الإسلام، وأسلوبها في المقاومة هو الجهاد، وبنيتها من المسلمين الذين أعطوا ولاءهم لله فعبدوه حق عبادته، وعلاقتها مع الآخرين علاقة التكامل، فهي ليست بديلا عن أحد، وأبعادها عالمية وإنسانية .

وقد تكون ما تناولته المادة السادسة والثلاثون من الميثاق توضح ذلك بشكل جلي ومختصر :

"وحركة حماس الإسلامية وهي تشق طريقها لتؤكد المرة تلو المرة لكل أبناء شعبنا، والشعوب العربية والإسلامية أنها لا تبغي شهرة ذاتية، أو مكسبا ماديا، أو مكانة إجتماعية، وأنها ليست موجهة ضد أحد من أبناء شعبنا لتكون له منافسا أو تسعى لاخذ مكانته، ولا شيء من ذلك على الإطلاق، وهي لن تكون ضد أحد من أبناء المسلمين أو المسالمين لها من غير المسلمين في هذا المكان وفي كل مكان، ولن تكون إلا عونا لكل المجتمعات والتنظيمات العاملة ضد العدو الصهيوني

والدائرين في فلكه ... وحركة المقاومة الإسلامية تعتمد الإسلام منهج حياة، وهو عقيدتها وبه تدين، ومن إعتمد الإسلام منهج حياة سواء كان هنا أو هناك، تنظيما كان أو منظمة أو دولة أو أي تجمع آخر، فحركة المقاومة الإسلامية لها جنود ليس إلا أن نسأل الله أن يهدينا او يهدي بنا وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق .." . (22)

﴿ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

الهوامش

1. حركة المقاومة الإسلامية حماس، ميثاق حركة المقاومة الإسلامية، وثيقة غير منشورة صادرة عن الحركة بتاريخ 1/ محرم/1409 هجرية، 1988/8/18 م، ص 4 .

2 . المصدر السابق، ص 3 .

3 . الجرباوي، علي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط 1، بيروت، دار الطليعة، نيسان 1989، ص 43 ـ 44 .

4. مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس)، أجريت بتاريخ 2002/4/10 .

5 . مقابلة مع حجازي البربار (أحد مساعدي الشيخ أحمد ياسين قبل عام 1981)، أجريت بتاريخ 2002/3/16.

6 . مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مصدر سابق .

7 . يعاري، إيهود وشيف، زئيف، الانتفاضة، ترجمة دار الجليل، ط 1، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث، عمان، 1991، ص 194 .

8. مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مصدر سابق .

9. ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، مصدر سابق، ص 1 .

10. المصدر السابق، ص 7 .

11 . المصدر السابق، ص 23 .

12 - المصدر السابق، ص 24 .

13 - المصدر السابق، ص 26 .

14 - المصدر السابق، ص 27 .

15 - المصدر السابق، ص 29 .

16 - المصدر السابق، ص 9 .

17 - المصدر السابق، ص 12 .

18 - المصدر السابق، ص 15 .

19 - المصدر السابق، ص 17.16 .

20 - المصدر السابق، ص 17 .

21 - المصدر السابق، ص 29 .

22 - المصدر السابق، ص 35 .

الهيكل التنظيمي لحركة حماس

من الصعب العسير الحديث عن الهيكل التنظيمي لحركة حماس، حيث إن الحركة لم تصدر أي بيان أو منشور أو كراس يتحدث ع هيكلها الإداري أو التنظيمي، كما أن قادة حماس رفضوا دائما الحد عن تفاصيل وهيكلية الحركة وقد لخص الشيخ أحمد ياسين كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع بقوله :

"إن حركة حماس حركة مجاهدة، علنية وسرية، ما هو مفهوم للناس فهو علني وما هو غير مفهوم للناس فهو سري، وحركة مجاهدة لا يمكن أن تكشف للناس كل أوراقها وكل ما عندها، ليس عندي إستعداد أن أقول لك ما هي سياستي وما هو نظامي الداخلي، لكنني أعمل بالشورى والنظام الصحيح والتعاوني، نحن حركة جهادية لها أعداء يتربصون بها، لا يمكن أن تكشف أوراقها لهؤلاء الأعداء، نكشف جزء منها -المناسب بالضبط- ونخبئ الباقي، تريدني أن أعطيك كل ما تريد ... غير معقول، لن أعطيك إياه". (1)

رغم هذا الفقر الشديد في المعلومات الرسمية عن هيكلية الحركة إلا أن عدداً من المصادر الإعلامية التي ورد فيها ما يتعلق بهذا الأمر قد تحدثت سواء بشكل مفصل أو عارض عن بنية الحركة .

ونستطيع من خلال رصدنا لهذه المصادر الإعلامية إضافة إلى إطلاعنا المباشر على بعض الاعترافات التي أدلى بها بعض عناصر ومسؤولي حماس للمحققين الإسرائيليين خلال فترات إعتقالهم والتحقيق معهم خلال فترة الانتفاضة، "وقد سنحت لي فرصة للاطلاع المباشر على بعض هذه الاعترافات من خلال إعتقالي عام 1993 في سجن غزة المركزي للتحقيق معي، وقد تزامن هذا الاعتقال مع وجود عدد كبير من معتقلي حماس خلال التحقيق حيث تعرفت على بعضهم أثناء هذه الفترة إضافة إلى فترة الاعتقال بعد ذلك التي أمضيناها في المعتقل". (2)

هذه المصادر قد تجعلنا قادرين على وضع أيدينا بشكل صحيح على الهيكل التنظيمي لحركة حماس والذي قد تكون ميزة التعقيد هي أهم ميزاته، فعلى سبيل المثال يلعب المسجد دورا كبيرا في الهيكل التنظيمي للحركة وقد يتواجد به نشاط لكافة أجهزة الحركة الدعوية والرياضية والأمنية والعسكرية والتمويلية والإعلامية .. إلخ، وقد يتواجد به مسؤولون على مستوى مناطقي عالي في الحركة، إلا أن المسجد في نفس الوقت يظل جزءاً بسيطا من منظومة التقسيم الجغرافي للحركة، بحيث أن منطقة جغرافية ما قد يوجد بها أكثر من ثلاثة أو أربعة مساجد .

وحتى نستطيع أن نفهم الهيكل التنظيمي بشكله الصحيح، فإننا سنقوم بتقسيم العمل التنظيمي لحماس إلى عدة أصناف هي :

أولا : الهيكل التنظيمي السياسي للحركة :

تعتمد حركة المقاومة الإسلامية (حماس) نظام الشورى كأساس لعملها التنظيمي ويتم ذلك من خلال مجلس شورى للحركة يعتقد أنه

يتكون من 50 إلى 70 شخصا في كافة أماكن تواجد الحركة، ويقول الشيخ أحمد ياسين عن الشورى ومجلسها في حركته : "إنني أعمل بالشورى والنظام الصحيح والتعاوني، والدليل على ذلك أنه لا يوجد بيننا أي إنشقاقات رغم تعدد أماكننا، والشورى من المشاورة، عندما يكون القرار كبيرا سيفير أو يؤثر في سياسات الحركة فإننا نحتاج إلى التشاور مع عدد كبير، أما عندما يكون القرار بسيطا وجزئيا يكفي مشاورة عدد قليل، إن أي خيار إستراتيجي يحتاج إلى جمع عدد كبير من أجل أن يقولوا رأيهم في الموضوع، أما في الأمور العادية فإنني أكتفي بوجود القيادة العادية، خمسة أو ستة، فقرار إستراتيجي مثل وقف عمليات القتال لا يمكن أن يؤخذ في غزة أو الضفة أو الخارج، بحيث يتم التشاور في جميع المواقع، هذه إستراتيجية، وتأكد أنه لا يوجد لدى حماس فردية، بمعنى أن يأخذ شخص قرار فردي على عاتقه" . (3)

يعتبر وجود مجلس شورى للحركة جزءاً هاماً في هيكلها التنظيمي ولكن كما إتضح سابقا من أقوال الشيخ ياسين ونظرا لتعدد أماكن الحركة وسرية عملها أيضا، فان إنعقاد هذا المجلس بشكل دائم لاتخاذ قرارات، أمر غاية في الصعوبة والتعقيد، ونظرا لان حماس حركة تتفاعل مع الشارع وتطوراته المتسارعة فقد كان من اللازم إيجاد هيئة تنظيمية أخرى أقل عددا تستطيع إتخاذ قرارات سريعة وعاجلة تهم الحركة، ويمثل هذه الهيئة ما يعرف في الحركة باسم المكتب السياسي.

المكتب السياسي :

يعتبر المكتب السياسي أعلى سلطة سياسية تنظيمية في الحركة بحيث يتمثل في هذا المجلس كافة قطاعات الحركة في الخارج

والداخل، ونعتقد أنه يمكن أن نقسم القطاعات التي تتمثل في المكتب السياسي بـ :

- الداخل : ويضم غزة والضفة والسجون، وقد يمثل كل من هذه التقسيمات صوتا في المكتب السياسي وقد يزيد حجم تمثيل منطقة عن أخرى بمعنى أن غزة من الممكن أن يكون لها صوتان في المجلس وقد تكون الضفة كذلك، نظرا لكثافة وثقل الحركة في هاتين المنطقتين .

- الخارج : في إعتقادنا أنه يضم ساحات العمل الرئيسة وهي الأردن ولبنان وإيران وقد يضاف له مناطق أخرى مثل "أوروبا وأمريكا" كوحدة، وبقية الدول الأخرى كوحدة أخرى، ونعتقد أن كل من هذه المناطق أو الساحات على إختلاف تسمياتها لها تواجد ويمثلها صوت في المكتب السياسي .

- الجهاز العسكري : نعتقد أن الجهاز العسكري في حماس يحاول بقدر الإمكان الابتعاد عن أجهزة الحركة الأخرى خاصة من له منها صلة بالجمهور أو الإعلام، ولكن من المؤكد أن هذا الجهاز له إرتباطه بالحركة الام فهو أولا وآخرا جزء من هذه الحركة، يمثل سياستها، المعلن منها أو السري، وبالتالي فإننا نعتقد أن الجهاز العسكري للحركة نظرا لأهميته فان له من يمثله في المكتب السياسي كصوت .

وبناء على هذا التمثيل يتم إتخاذ القرارات في الحركة بأغلبية أصواتها، ويرأس هذا المكتب السياسي بشكل واضح السيد خالد مشعل، كما أنه يضم في عضويته كل من الدكتور موسى أبو مرزوق (مؤسس هذا المكتب و أول رئيس له)، إضافة إلى المهندس عماد

العلمي ممثل الحركة في إيران، كما أنه كان سابقا يضم السادة محمد نزال وإبراهيم غوشة من الأردن، ولكننا نعتقد أنهم قد تم إنهاء عضويتهم وإستبدالها بعد أن قرروا الابتعاد عن ساحة العمل السياسي كل لاسبابه .

اما ممثلو الداخل في هذا المجلس فإننا لا نستطيع تحديد هوياتهم لان عضويتهم تعتبر سرا من أسرار الحركة ولم يسبق أن ذكرت وسائل الإعلام أن أي من قادة حماس في الداخل هو عضو في المكتب السياسي للحركة، ولكننا يمكننا الاعتقاد بأن الشيخ أحمد ياسين هو أحد هؤلاء القادة لما يمثله من أهمية في الحركة كشخصية إعتبارية وتنظيمية .

ويرجع تأسيس المكتب السياسي إلى الدكتور موسى أبو مرزوق الذي أعاد بناء حركة حماس بعد الضربة الأمنية التي تلقتها الحركة على أيدي قوات الأمن الإسرائيلية عام 1989 والتي أدت إلى إعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد كبير جدا من قيادات وعناصر الحركة وتفكيك أجهزة الحركة وخاصة جهازيها العسكري والأمني، وقد كان أبو مرزوق قد وصل إلى قطاع غزة قادما من أمريكا والأردن في بداية سبتمبر عام 1989 وإلتقى عددا من قيادات حماس في الضفة والقطاع، و أعاد بناء هيكلية الحركة، وقد فضل أبو مرزوق بعد أن أعاد بناء الحركة من جديد إضافة لجان جديدة للهيكل التنظيمي بهدف بقاء ثقل الحركة في الخارج، وقد كان أحد أهم لجان هذه الهيكلية هو تشكيل المكتب السياسي للحركة، والذي حددت مسؤولياته بـ :

- رسم سياسة الحركة .

- تمثيل الحركة في علاقاتها الخارجية .
- تمثيل الحركة والمفاوضة باسمها مع منظمة التحرير الفلسطينية ورؤساء الحركات الإسلامية في دول الغرب والدول العربية .

كما تم إقامة لجنتين آخرتين للحركة، كانت إحداهما لجنة الدعوة أو اللجنة العالمية، أما الثانية فكانت لجنة الجهاد .

ثانيا : الهيكل التنظيمي المناطقي (الجغرافي) للحركة :

إعتمد هذا التقسيم على الأساس الجغرافي للمناطق الفلسطينية في الضفة والقطاع، بحيث إعتبرت كل منطقة جغرافية منطقة عمليات مستقلة، لها مسؤولها العام الذي بدوره يكون مسؤولا عن مسؤولي الأجهزة الفرعية (العملياتية) لهذه المنطقة .

وقد قسم الشيخ أحمد ياسين قطاع غزة منذ بداية تشكيل حركة حماس إلى خمس مناطق جغرافية هي :

(شمال غزة ـ جنوب غزة ـ الوسطي ـ خان يونس ـ رفح)، أما الضفة الغربية فقد قسمت فيما بعد إلى سبع مناطق هي : (الخليل ـ بيت لحم ـ القدس ـ رام الله ـ نابلس ـ طولكرم ـ جنين)، وقد تم إعتماد هذا التقسيم الجغرافي أيضا من قبل الدكتور موسى أبو مرزوق عندما أعاد بناء الحركة بعد إعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد كبير من قيادات حماس إثر الضربة الأمنية عام 1989 .

ثالثا : الهيكل العملياتي (أجهزة الحركة) :

كانت قيادة المجمع الإسلامي قد شكلت عام 1986 وقبل تأسيس حركة حماس بعام ونصف تقريبا منظمة الجهاد والدعوة كجهاز أمني للحركة وكنواة للجهاز العسكري فيما بعد، وفعلا فبعد تأسيس حركة

حماس شكّل هذا الجهاز دعامة للجهاز العسكري الذي تم تأسيسه أيضا بعد إنطلاقها. وسيتم الحديث عن الجهازين الأمني والعسكري في فصل مستقل.

ومع الظروف الخاصة التي فرضتها طبيعة المواجهة مع قوى الاحتلال التي تمثلت بمواجهة الاحتلال بدباباته وجنوده ومدرعاته وآلياته بالحجر والمتراس، كان لزاما على حركة حماس أن تشكل أجهزتها بناء على هذه الطبيعة. وقد إستطاعت حماس أن تتناغم مع طبيعة الانتفاضة وأن تتطور مع تطورها فشكلت حماس مع بداية الانتفاضة عددا من الأجهزة التي شكلت الجهاز التنظيمي العملياتي للحركة وهي :

جهاز الأحداث :

يعتبر جهاز الأحداث هو الجهاز الخاص للتعامل مع الأحداث اليومية أو البرنامج العملياتي اليومي للانتفاضة، بحيث تركز عمل أعضاء هذا الجهاز على تفعيل النشاطات الخاصة بالعمل اليومي مثل المظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية والإضرابات وفعاليات المواجهة، مثل إقامة الحواجز أو إشعال الإطارات المطاطية و إلقاء الحجارة وتعليق الأعلام والتكبير والتهليل لتشجيع المواطنين وحثهم على المشاركة وتشييع الشهداء والمشاركة في جنازاتهم ...الخ كما ألقي على عاتق هذا الجهاز الحفاظ على الحياة اليومية للمواطنين مثل منع تشويش العملية التعليمية ومساندتها بإقامة دورات تقوية للطلاب من خلال المساجد، والاهتمام بتنظيم حركة المرور في لحظات الطوارئ والأزمات، إضافة إلى دعم لجان الإصلاح في تنفيذ قراراتها .

وقد أوكل لهذا الجهاز أيضا تنفيذ عمليات الردع والقمع التي كانت تنفذ ضد مروجي المخدرات ومتعاطيها والمشبوهين بتعاملهم مع قوات الاحتلال، حيث كانت تتبع لهذا الجهاز مجموعات ضاربة نفذت هذه المهمات أطلق عليها (قوات الصاعقة الإسلامية) .

ونستطيع القول هنا أن هذا الجهاز كان متخصصا بدعم وتفعيل البرنامج اليومي للشارع الفلسطيني على إختلاف فعالياته وقد كان مشابها للجان الشعبية التي أسستها القيادة الوطنية الموحدة .

وقد إرتبط عمل هذا الجهاز من الناحية القيادية بالقيادة الميدانية لحركة حماس بحيث كان يتم تشكيله في مناطقها مع إرتباطه بالقيادة المركزية للحركة في إطارها العام، وقد إرتبط عمل هذا الجهاز بخصوصية المنطقة التنظيمية ووضعها .

إستمر عمل هذا الجهاز منذ بداية نشاط الحركة وحتى قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية حيث تم حل هذا الجهاز بعد قدوم السلطة الوطنية وتسلمها زمام الأمور في الأراضي الفلسطينية .

جهاز الدعوة :

يعتبر جهاز الدعوة في حركة حماس من أهم أجهزة الحركة العاملة، فهو الجهاز الذي يناط به تجنيد العناصر للحركة من خلال نشاطات الجهاز التي يمارسها في المسجد، ورغم أن نشاطات هذا الجهاز هي نشاطات بسيطة تتمثل في عقد الجلسات والندوات والحلقات سواء التنظيمية أو العامة في المسجد أو خارجه، إلا أن أهميته تكمن في أنه هو الجهاز الذي يقوم بترشيح معظم العناصر لأجهزة الحركة الأخرى والتي من ضمنها الجهازين الأمني والعسكري،

وسيتضح لنا لاحقا عندما نتناول الحديث عن المسجد ودوره أن مسؤول جهاز الدعوة في المسجد هو أهم المسؤولين .

كما أننا نعتقد أن هذا الجهاز كان قائما قبل تأسيس حركة حماس من خلال مرحلة الدعوة التي كان يقوم بها نشطاء المجمع الإسلامي وإن لم يكن قد أخذ شكله التنظيمي المطلوب في ذلك الوقت، بحكم محدودية الوسائل التي كان يمارس من خلالها المجمع الإسلامي نشاطاته، وقد تم تطوير عمل هذا الجهاز خلال فترة الانتفاضة لما طرأ من جديد على هذه الوسائل بعد إنطلاقة حماس .

اجهزة الحركة الأخرى :

قامت حماس أيضا بتشكيل عدة أجهزة أخرى مثل الجهاز الإعلامي والجهاز العسكري، وطورت عمل أجهزة أخرى كانت قائمة مثل الجهاز الأمني، وجهاز المؤسسات، ليكتمل بذلك الهيكل التنظيمي للحركة، وسيتم تناول هذه الأجهزة بالتفصيل في الفصول القادمة .

الهوامش

1 . مقـابلة مع الشيـخ أحـمـد ياسين (مؤسـس حـركة حمـاس)، أجـريت بتاريخ 2002/4/10.

2 . مقابلة الباحث للعديد من أعضاء التنظيم الهيكلي لحـركة المقـاومة الإسـلامـيـة حـمـاس، سـجن غـزة المركـزي مـارس 1993، مـعـتـقل كتسيعوت،مايو 1993 .

3 . مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مرجع سابق .

حماس والأمن

الجهاز الأمني

إتسمت الفترة التي عمل بها قادة الإخوان المسلمين قبل تأسيس حماس بالعمل الدعوي الذي كان يتطلب بروزا لقائد المسجد أو للشيخ الذي يمارس الدعوة والتنظير من خلال المسجد أو الجامعة أو أية مؤسسة أخرى من مؤسسات المجمع الإسلامي، لذلك فإننا نجد أن قادة الإخوان في تلك الفترة التي إبتدأت من أوائل السبعينيات حتى أوائل عام 1986 والتي إستمرت زهاء خمسة عشر عاما لم يهتموا بالعمل الأمني بل نستطيع القول أنهم لم يدركوا ضرورة الأمن في العمل التنظيمي، وقد يكون عدم الإدراك هذا قد ساهم في كشف أول تجربة لامتلاك وتخزين أسلحة قام بها الشيخ أحمد ياسين من قبل المخابرات الإسرائيلية .

خرج الشيخ أحمد ياسين من المعتقلات الإسرائيلية عام 1985 وقد إزدادت خبرته الأمنية شيئا كثيرا نتاج تجربته مع المحققين الإسرائيليين، إضافة إلى ما إطلع عليه خلال هذه الفترة من تجارب من سبقه من المعتقلين الذين إلتقاهم في المعتقلات، ورغم قساوة السجن خاصة مع ظروف مرضية مثل الإعاقة المصاب بها الشيخ

أحمد ياسين فان هاجس الجهاد لم يتغير ولم يتزحزح من فكر الشيخ ياسين، بل قد تكون تجربة المعتقل والاحتكاك المباشر مع قوات الاحتلال من خلال السجن والتحقيق والاعتقال زادت الشيخ ياسين إصرارا على مواجهة الاحتلال مواجهة عسكرية، من أجل ذلك شعر الشيخ أحمد ياسين أنه يجب العمل على تقوية الوضع الأمني لحركته ونشاطه، حتى لا يقع في ضربة أخرى مثل الضربة الأولى التي كادت أن تقضي على التنظيم لولا أنهم لم يكونوا قد إستخدموا الأسلحة بعد.

منظمة الجهاد والدعوة (مجد):

بعد خروج الشيخ ياسين من المعتقل عام 1985 بدأ يتردد عليه بعض قادة المجمع الشباب من طلبة الجامعة الإسلامية، وقد تدارس الشيخ ياسين مع هؤلاء الشباب الذين كان منهم الطالب يحيى السنوار والطالب خالد الهندي الذي رشحه الشيخ ياسين لقيادة مجلس طلبة الجامعة الإسلامية بعد الشيخ حجازي البريار، تدارس الشيخ ياسين مع هؤلاء الشباب أحوال قطاع غزة الأمنية وخاصة ما تعلق منها بالمتعاونين مع السلطات الإسرائيلية، إضافة إلى الأمور المخالفة للتعاليم الإسلامية .

قام الشيخ ياسين مع بداية عام 1986 بتكليفهم بتجنيد بعض الأشخاص الثقات بهدف جمع المعلومات عن المتعاونين وعن تجار المخدرات وأصحاب محلات الفيديو، وعن أي أمور أخرى تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، كانت هذه التكليفات بمثابة أول خطوة إتخذها الشيخ ياسين نحو تشكيل جهاز أمني عرف فيما بعد بـ (منظمة الجهاد

والدعوة "مجد")، ويقول الشيخ أحمد ياسين حول تأسيس جهاز (مجد) :

" أسست مجد لعمل تنظيمي أمني داخلي يبني أمناً للمواطن الفلسطيني ولابن الحركة". (1)

بالفعل قام المكلفون بتجنيد بعض الشباب البارز من نشيطي المجمع للعمل في هذا الجهاز، وقد قسم الشيخ أحمد ياسين قطاع غزة إلى منطقتي عمل هما : منطقة الجنوب وأشرف عليها بشكل مباشر الطالب يحيى السنوار و منطقة الشمال وأشرف عليها الشيخ روحي مشتهى .

بدأ أعضاء تنظيم مجد بجمع المعلومات حول محلات بيع أشرطة الفيديو التي تروج الأفلام الجنسية وقرروا إحراق هذه المحلات في مناطق مختلفة من القطاع، كما قاموا بخطف والتحقيق مع عدد من الأشخاص الذين تجمعت معلومات عنهم تفيد بتعاونهم مع السلطات الإسرائيلية .

إتسع التنظيم مع قيامه بمباشرة عمله خلال عام ونصف بشكل كبير وعندما بدأت أحداث الانتفاضة الفلسطينية عام 1987 وتأسست حركة حماس كان هذا التنظيم جاهزا للاستمرار في عمله الأمني الجهادي، ومع إتساع نشاط الإخوان من خلال حركة حماس فقد بات واضحا أن هذا التنظيم سيكون له دور هام في الحركة على الصعيد الأمني الذي ستزداد متطلباته يوما بعد يوم مع إستمرار الانتفاضة .

تأسست حماس ومع تأسيسها والإعلان عنها كحركة مقاومة أدرك قادة الإخوان أن المعالم الأمنية للمرحلة القادمة يجب أن تتغير كلية،

بحيث يجب تغيير مفاهيم التعامل في الجوانب الأمنية ويجب إتباع قواعدوقوانين أمنية تضمن لهم الاستمرار وتوفر لهم الحماية من متابعة القوات الإسرائيلية المحتلة التي أدرك قادة حماس أنها ستلاحقهم وأنهم سيصبحون أهدافا لنشاطات جهازها الأمني المعروف باسم الشين بيت بمجرد صدور أول بيان سيحمل توقيع الحركة، فكيف إذا ما تم تشكيل جهاز عسكري وبدأت حماس تمارس عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال !؟ .

من أجل ذلك كله بدأ قادة حماس بابتداع منظومة أمنية وأغلب الظن أنها كانت وليدة تجارب ذاتية وشخصية لقادة وعناصر الإخوان، ومع مرور الوقت وتزايد هذه الخبرة وجدنا أن هذه المنظومة الأمنية تتسع شيئا فشيئا إلى أن وصلت إلى درجة أصبح لدى حماس فيها القدرة ليس فقط على مواجهة تحديات المتابعة من قبل جهاز الشين بيت الإسرائيلي بل مهاجمته ومباغتته في عقر داره ضمن ما يسمى بالأمن المضاد .

ويتحدث كتاب الانتفاضة لايهود يعاري وزئيف شيف عن المراحل الأمنية الأولى لحماس ذاكرا : " كان أحد الأهداف الفورية لزعماء حماس هو إطلاع رجالهم على خطورة العمل السري وضرورة الانضباط الشديد والحرص على الأسرار ... وفي ضوء النجاح الذي كان يحققه الشاباك في التغلغل في صفوف المنظمات الفلسطينية، طلب مساعدو الشيخ ياسين بلورة نظرية خاصة بهم لمنع تجنيد عملاء في أوساط عناصر حركة حماس" .(2)

من أجل ذلك كله فقد بدأ قادة حماس بنشر التوعية الأمنية بين عناصرهم من خلال عدة أساليب كان منها :

1 . توزيع نشرات ومنشورات أمنية حول مفاهيم العمل الأمني ومقوماته وطرق الإسقاط التي تقوم بها المخابرات الإسرائيلية لإسقاط الشباب والشابات في براثن العمالة .

2 . توزيع الكتيبات والدراسات الأمنية التي تشرح بالتفصيل المفاهيم الأمنية وقواعد العمل السري التنظيمي .

3 . إقامة جلسات وحلقات أمنية داخل السجون والمعتقلات من أجل التوعية الأمنية، وحيث أن خبرة عناصر حماس الأمنية كانت ضعيفة مقارنة بخبرة عناصر وقادة فصائل منظمة التح[illegible]ن، فقد إستعان عناصر وقادة حماس في السجون مع ب[illegible]ت الانتفاضة الأولى بإخوانهم من فصائل المنظمة في المجال الأمني وإستفادوا من أرشيفهم ومن تجربتهم الأمنية .

وقد كان من أشهر الكراسات والدراسات الأمنية التي وزعتها الحركة في مجال التوعية الأمنية :

(فرسان الشهادة، صراع الأدمغة، مصائد الشيطان، المجاهد في التحقيق والتعذيب).

وقد تناول الكاتبان الإسرائيليان زئيف شيف و إيهود يعاري الجانب الأمني لحماس بمزيد من التفصيل :

"في البداية تبين أن الإيمان الديني العميق يمنح قوة ذاتية ونفسية للإنسان يجعله قادرا على مواجهة المحققين الإسرائيليين، فقد تبين أن أعضاء حركة حماس يصعب كسرهم حتى بعد إعتقالهم، وكثير منهم عرفوا كيف يحافظون على صمت مطبق خلال التحقيق الطويل الذي كان يجريه الإسرائيليون معهم ... ورد في دليل مكتوب ومنشور وزعت

منه نسخ كثيرة في شباط 1988 توجيه من قبل زعماء حركة حماس لرجالهم حول كيفية التصرف منذ أول لحظة يستدعى أحدهم لمقابلة رجال الشاباك الإسرائيلي ... وجاء في هذا الدليل المرشد أن رجل المخابرات الإسرائيلي يريد أولا معرفة نوعية ومستوى شخصية محدثه ومن ثم يجس نبضه، ومن ثم يحاول ربطه به بصفة مخبر، ولكي يضعف الإسرائيليون الشخص المرشح للتجنيد كمخبر يتركونه ينتظر لعدة ساعات قبل مقابلته، حتى أنهم يرسلون إليه أشخاصا ليثيروا الرعب لديه ويخوفونه من التعذيب ... وخلال المقابلة نفسها إعتاد الضابط الإسرائيلي أن يصرخ على فترات في وجه المعتقل ويهدده بحرمانه مثلا من التقدم لامتحانات الثانوية العامة، أو يمنعه من السفر إلى الخارج، أو بالمس بمصدر رزق أسرته والهدف من ذلك هو تخويف الشاب المعتقل وتهيئته للاستسلام ... وكعلاج لهذا الأسلوب نصح زعماء حماس رجالهم بأن يتذكروا بأنه لا يجوز أبدا ولا بأي حال من الأحوال أن يسمحوا للخوف بأن يسيطر عليهم، ويجب عليهم أيضا عدم الرد على الأسئلة الأدبية المهذبة والتي تبدوا ساذجة من قبل المحقق، لان التفاهم مع المحقق ظاهريا سيؤدي بالتأكيد إلى تكليف الشباب بمهام بسيطة ثم تصبح هذه المهام أخطر وأعقد ..لذلك أورد الدليل خطوطا عامة وواضحة لتصرفات المعتقل أثناء التحقيق على النحو التالي :

- إذا إلتقيت بضابط مخابرات إسرائيلي أجبه بنعم أو لا ولا تتحدث أكثر من ذلك .
- إظهر أمامه إنسانا صلبا وليس شخصية لينة .
- لا تعطه أية معلومة، حتى لو كانت بسيطة جدا ولا تقدم له أية خدمة .

- لا تدل في مكتبه بأية بيانات ولا توقع على وثائق .
- لا توافق على لقاءات أخرى معه، قل له أنا بين يديك الآن، خذ ما تريده، كن مصرا على موقفك وليكن ما يكون .
- لا يجوز لك أن تشرب عنده مشروبا باردا أو ساخنا أو أن تذوق الطعام عنده، من المحتمل أن تحتوي هذه المشروبات أو المأكولات على مواد مخدرة أو منومة، أو مادة مثيرة للغريزة الجنسية، وهذه المواد قادرة على إضعافك وإفشالك .
- إجعلهم يشعرون بأنك تكرههم، وأنك لست على إستعداد للتعاون معهم .
- لا تخف من التهديد باعتقالك، إن الاعتقال أفضل من خسر ر، هذا العالم والعالم الآتي أيضا.

وقد ورد في منشور آخر أن رجال الشاباك يمكن أن يصوروا فتيات فلسطينيات وهن بالملابس الداخلية فقط أثناء قيامهن بقياس الملابس في المحلات التجارية بدون علمهن، ثم يهددوهن بالفضيحة إذا لم يرضخن للتعاون مع المخابرات . وكذلك نصح المنشور الشباب بأن المخابرات الإسرائيلية تلجأ لاستخدام المخدرات والمشروبات الروحية كوسيلة لإيقاع ضحاياها في الشرك . لذلك يجب على الشباب والفتيات الفلسطينيين التمسك الشديد بأخلاق الإسلام" .(3).

وقد تفسر العبارة الأخيرة المتعلقة بالتمسك الشديد بأخلاق الإسلام المنطلقات التي إنطلقت منها حماس في تحديد مفاهيمها للأمن، وقد يوضح بعض هذه المنطلقات ما كتبه الشيخ وجيه ياغي عضو المجلس التشريعي - المعروف عنه قربه من حماس - تحت عنوان

(الأمن مفهومه ودعائم تحقيقه): "إن مفهوم الأمن عميق شامل، يتناول الإنسان نفسا وروحا وجسدا، يشمل دنياه وأخراه، بمعنى أنه يمثل عملية توازن بين جوانب حياة الإنسان بحيث لا يطغى جانب على آخر ولا يضعفه أو يقلل من أهميته، وهو بهذا يحمي الإنسان من كل عواصف القلق والمزاجية التي تتنازعه، والصراعات التي يتعرض لها. وهذا يعني الالتزام بفطرة الله والثبات عليها، لان تغيير هذه الفطرة يؤدي إلى ضياع النفس البشرية وتشتتها. كما أن الأمن يعني التقدم والرقي والتطلع إلى كل ما يحقق للنفس طموحها و آمالها، وبالتالي تحقيق الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي". (4)

اما دعائم منهج تحقيق الأمن فقد أوجزها الشيخ وجيه ياغي في خمسة بنود هي :

1 . الأمن للعقيدة : إذ لا إكراه في الدين .

2 . الأمن للنفس البشرية : برعاية حقوقها وتطهير ضمائر المجتمع.

3 . الأمن للعقل : بحمايته بالبعد عن المسكرات التي تذهب به، وبدعوته إلى التحول بالفكر السليم إلى الآفاق، ومخاطبته وفق مستواه وبما هو أهل له .

4 . الأمن للعرض : بصونه وحمايته من الوقوع في الرذيلة .

5 . الأمن للمال : بتشديد العقوبة على من يتعدى على الملكية الفردية أو العامة أو يحتكر السلع أو يتعامل بالغش أو الرشوة أو إستغلال الضعفاء . (5)

إستمرت حماس بتوجيه وتدريب أعضاءها وأفرادها أمنيا داخل السجون وخارجها وكان واضحا أن الوعي الأمني لدى عناصر حماس

وقادتها يزداد يوما بعد يوم وأن الخبرة التي يكتسبها الفرد تنقل إلى الآخر وتصقل وتكبر مع مرور الزمن .

كانت أوائل العمل الأمني تهدف إلى متابعة عناصر الحركة أنفسهم وعناصر الفصائل الأخرى وتحركاتهم إضافة إلى العمل الرئيسي وهو متابعة المنحرفين والساقطين ورفع تقارير حول سلوكهم وأدائهم .

شعر الإسرائيليون الذين إعتقدوا أن التيار الإسلامي تحت سيطرتهم بخطر هذا التيار الذي إتسمت نشاطاته يوما بعد يوم، من أجل ذلك قام جهاز الأمن الإسرائيلي في أواخر عام 1988بتوجيه رسالة كانت أشبه بالرسالة التحذيرية إلى نشيطي المجمع الإسلامي وحماس من خلال حملة إعتقالات طالت قرابة مائة وعشرين عضواً من قادة حماس، كان منهم الدكتور عبد العزيز الرنتيسي أحد المؤسسين والدكتور إبراهيم اليازوري أحد المقربين جدا من الشيخ أحمد ياسين، ورجل الاتصال بين الضفة الغربية وغزة الشيخ جميل حمامي، ومسؤول الجهاز العسكري للحركة الشيخ صلاح شحادة، كما شملت حملة الاعتقالات مداهمة عدد من أماكن التنظيم ومقراته السرية التي كانت تطبع فيها المطبوعات والمناشير الخاصة بالحركة .

لكن حماس التي أعاد الشيخ أحمد ياسين تنظيم صفوفها بشكل سريع أغمضت عينيها عن هذه الرسالة الإسرائيلية وواصلت نشاطاتها ولكن بشكل آخر هذه المرة، حيث تجاوزت هذه النشاطات جوانب الدعوة ومواجهة الجيش بالحجارة وتنسيق أعمال الانتفاضة إلى جانب التنظيمات والفصائل الفلسطينية الأخرى بل تعدتها إلى إقدام حماس على خطف جنود إسرائيليين .

مثلت حادثتا خطف الجنديين الإسرائيليين (أفي سبورتس وآيلان سعدون) خروجا عن المألوف من قبل حماس في علاقتها مع القوات الإسرائيلية، وقد مثلت هاتان الحادثتان تحديا واضحا ليس فقط للجيش الإسرائيلي الذي خطف جندياه، بل أيضا لجهاز الأمن الإسرائيلي الذي عثر على جثة المختطف الأول الرقيب أفي سبورتس، الذي إختطفه بتاريخ 17 / 2 /1989 أعضاء من المجموعة (101) التي شكلت نواة عمل جهاز حماس العسكري الأول الذي عرف باسم (المجاهدون الفلسطينيون) برئاسة الشيخ صلاح شحادة الذي كان يحمل الرمز " 101 " في الحركة، عثر جهاز الأمن الإسرائيلي على جثة الرقيب أفي سبورتس بعد عمليات تمشيط وبحث واسعة النطاق إستخدم فيها آلاف الجنود والمتطوعين والكلاب وقصاصي الأثر، أما المختطف الثاني وهو الجندي آيلان سعدون الذي إختطف في الثالث من مايو من نفس العام 1989 فلم يتم العثور على جثته بتاتا، ولم يفك لغز جثة سعدون الذي خرج خاطفوه بعد خطفه إلى ليبيا ومنها إلى السودان، إلا بعد قدوم السلطة الفلسطينية التي إستطاعت من خلال مفاوضات ولقاءات مع قادة من حركة حماس إستمرت قرابة العامين، الاستدلال على مكان جثة الجندي المذكور وتسليم خرائط للإسرائيليين حول مكان الدفن بتاريخ 25/5/ 1996 . (6)

جهاز الأمن الإسرائيلي (الشين بيت) الذي إعتبر خطف الجنديين ضربة قوية وجهت إليه من قبل حماس، بادر على الفور بتوجيه ضربة قوية لقيادة حماس حيث إعتقل الشيخ أحمد ياسين بتاريخ 1989/6/15 وعدداً كبيراً من قادة الحركة بلغوا مائتين وستين عضوا وأثناء التحقيق إعترف الشيخ أحمد ياسين على تأسيسه حركة

المقاومة الإسلامية حماس، وتمكن المحققون الإسرائيليون من تفكيك أجهزة الحركة من خلال الاعترافات التي أدلى بها مئات المعتقلين .

إعتقد الإسرائيليون أن حماس ستنتهي بعد هذه الضربة القوية التي أطاحت بقادتها ومؤسسيها وكشفت أجهزتها الأمنية والعسكرية والسياسية، إلا أن بيانات حماس وفعالياتها إستمرت بعد فترة قصيرة من حملة الاعتقالات التي نفذها جهاز الأمن الإسرائيلي، عندها أدرك الإسرائيليون أن حماس قد خرجت عن إطار السيطرة وهذا يوجب العمل بشكل أوسع من أجل الحد من نشاطاتها وفعالياتها، خاصة ما يتعلق بالعمل العسكري الذي كان يمثل الهاجس الأكبر للأمن الإسرائيلي .

حماس التي تلقت ضربة قاسمة إستعادت وعيها بسرعة وإستطاع من تبقى من قادة ومسؤولين خارج المعتقلات بمساعدة ودعم من مناصري الحركة في الخارج بناء الهيكل التنظيمي بشكل سريع والاستمرار في فعاليات الحركة المعتادة، وكان واضحا أن هذه الضربة ستزيد حماس قوة أكبر لانها ستأخذ العبر منها وستستفيد مما حدث في تطوير أدائها وفعلها الانتفاضي في مواجهة الاحتلال .

الإسرائيليون الذين شعروا بأن حماس إستعادت تنظيمها وقوتها مرة أخرى وجهوا ضربة ثانية لحماس مع أواخر عام 1990 وبداية 1991 حيث إعتقلت سلطات الاحتلال ما يقارب ألف وسبعمائة عضو من نشطاء حماس في الضفة الغربية وغزة .

حماس التي كانت قد إستفادت من تجربتها الأولى في تقوية أواصر تنظيمها والإعداد لأي طارئ قد تمثله الاعتقالات الإسرائيلية

سواء العشوائية أو المنظمة كان واضحا أنها مستعدة لتلقي مثل هذه الضربة، حيث تبين أن فعاليات حماس قد إستمرت بقوة بعد هذه الضربة .

كانت المعركة الأمنية على أوجها بين حماس وجهاز الأمن الإسرائيلي، فمسؤولو جهاز الأمن الإسرائيلي سعوا بكافة الطرق إلى تتبع نشاطات حماس وقادتها ومسؤوليها وفعالياتها من أجل توجيه ضربات موجعة لقادة حماس كلما توفرت الإمكانيات لذلك، وقد إستخدم الإسرائيليون في ذلك العملاء الذين باعوا ضمائرهم للشيطان الإسرائيلي وقاموا بالإبلاغ عن نشطاء الانتفاضة الفلسطينية من كافة الفصائل ومن ضمنها حماس .

أما قادة حماس على الطرف الآخر فقد تعلموا من أخطائهم وإستفادوا من تجاربهم وكان أداؤهم الأمني يزداد تحسنا يوما بعد يوم، وكانت التحقيقات التي تتم مع العملاء الذين يتم كشفهم من قبل القوى الفلسطينية والمعلومات التي أدلى بها هؤلاء العملاء لمحققيهم من حماس وغيرها من القوى الفاعلة في الانتفاضة تزيد من معرفة العدو وطرق إسقاطه، والجوانب التي يرغب بمعرفتها عن نشطاء الانتفاضة وتنظيماتها وبالتالي فقد شكلت دروسا أمنية إستفادت منها حماس، وجعلتها تتخذ كافة الاحتياطات اللازمة لسد هذه الثغرات الأمنية التي كانت تجدها، مما أهلها للمحافظة على هيكلية التنظيم وبنائه إذا ما تعرض لضربات إسرائيلية، وقد إستخدمت حماس في ذلك أسلوبا قياديا كان متبعا لدى الفصائل الفلسطينية الفاعلة في الانتفاضة ألا وهو قيادات الظل أو البدائل، الذين كانوا ينشطون فور حدوث أي طارئ لبدائلهم .

حماس التي أصبحت قوة أمنية لايستهين بها الإسرائيليون أقدمت على تحدي جهاز الأمن الإسرائيلي مرة أخرى من خلال خطف جندي إسرائيلي في الثالث عشر من ديسمبر عام 1992بهدف مقايضته بالشيخ أحمد ياسين، وقد أعطى الخاطفون للإسرائيليين مهلة 24 ساعة من أجل إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين و إلا فان الجندي المختطف (نسيم طوليدانو) سيقتل، لم ترضخ إسرائيل لمطلب حماس، لذلك فقد قتل الجندي الإسرائيلي .

رابين الذي إعتبر حادثة خطف الجندي وقتله خطيرة بكل المقاييس وهي تحدٍّ ليس فقط لجهاز الأمن الإسرائيلي أو للجيش، بل هى تحدٍّ مباشر للقيادة السياسية في إسرائيل التي أصرت على أنها لن ترضخ لمطالب حماس ولن توافق على إبتزازها أمنيا وسياسيا . رابين رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت إجتمع مع قيادات الدولة الأمنية والسياسية وإتخذ قراره الهام بإبعاد كافة قادة ومسؤولي حماس إلى جنوب لبنان .

جلب هذا القرار كما ثبت فيما بعد فشلا ذريعا للسياسة والأمن الإسرائيليين فإسرائيل التي أصدرت قرارها بإبعاد قادة حماس لمدة عامين معتقدة أنهم سيتبخروا في الشتات بين الدول العربية، وافقت على تقليص مدة الإبعاد فيما بعد إلى سنة واحدة وعودة المبعدين على دفعتين .

أما جهاز الأمن الإسرائيلي الذي أيقن أن كافة الضربات التي وجهها لحماس من خلال حملات الاعتقال التي طالت عدداً كبيراً جدا من عناصر وقيادات الحركة منذ إنطلاقتها وحتى هذا الوقت، لم تفلح

بالقضاء عليها، إعتقد بأن إبعاد قياديي حماس سوف يفتت الحركة ويقضي عليها، وقد ثبت فيما بعد أن التوقعات الأمنية الإسرائيلية كانت خاطئة، وأن الإبعاد كانت له نتائج إيجابية عديدة لحماس كما سنذكر لاحقا في باب الإبعاد .

لم تكتف حماس خلال مقارعتها جهاز الأمن الإسرائيلي بموقف الدفاع الأمني بل تعدته في أحيان كثيرة لتباغت جهاز الأمن الإسرائيلي بضربات موجعة، كان من هذه الضربات ما نشر تحت عنوان (أسماء وعناوين وأرقام هواتف قادة الجيش الإسرائيلي) في كتيب لدى حركة حماس وقد ورد فيه: "ذكرت مصادر صحفية إسرائيلية أن عائلة إسرائيلية من نتيبوت بعثت برسالة إلى أوساط أمنية بخصوص أحد أفراد العائلة وهو ضابط برتبة رائد يقدم للمحاكمة اليوم بتهمة التنكيل بمواطنين عرب وبتصرفات لا تتوافق مع رتبته... وورد في الرسالة بأنه عثر في إحدى عمليات الاقتحام التي قامت بها وحدة عسكرية إسرائيلية خاصة قبل عامين لاحد المساكن السرية لأعضاء حماس في حي القصبة في مدينة نابلس على كتيب يتضمن أسماء وعناوين وأرقام هواتف جميع قادة الجيش الإسرائيلي من رتبة رائد وحتى عميد خدموا في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة... هذا وأدى الكشف عن الكتيب والتفاصيل الكاملة بما في ذلك التفاصيل الشخصية التي يعتبر بعضها سريا عن ضباط الجيش إلى ذهول أوساط في المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) والجيش" . (7)

وقد إستطاعت حماس من خلال عمليات التفجير الاستشهادية داخل إسرائيل أن تحرز انتصارا على جهاز المخابرات الإسرائيلية حيث أن نجاح هذه العمليات لم تقتصر نتائجه على تكبيد العدو خسائر

مادية و معنوية فقط، بل كان يعتبر أيضا انتصارا أمنيا خاصة عندما كانت هذه العمليات تنطلق من قطاع غزة . ومن يعرف مداخل إسرائيل المطلة على قطاع غزة ويعرف أن قطاع غزة أشبه بسجن من الناحية الجغرافية، فالبحر يحده من جهة الغرب، أما الجهة الجنوبية فتشترك حدوده مع الحدود المصرية، أما من ناحية الشرق فخط الهدنة ذو الأسلاك الشائكة والمنطقة المعزولة والمكشوفة والتي يتواجد على طرفها الآخر دوريات إسرائيلية راجلة وثابتة و أبراج مراقبة على مدار الساعة، أما جهة الشمال فهي المعبر الوحيد لقطاع غزة على إسرائيل وهي عبارة عن منطقة حدودية مكشوفة تحدها الأسلاك الشائكة والمستوطنات والمواقع الأمنية بإستثناء منطقة معبر بيت حانون (معبر ايرز) التي بها المعبر الحدودي الذي يفرض فيه الإسرائيليون إجراءات أمنية معقدة لا تسمح بإدخال ذرة رمل دون معرفة الإسرائيليين .

من يعرف كل هذه الحقائق يدرك أن مجرد تسلل مواطن فلسطيني أعزل إلى إسرائيل يعتبر نصرا أمنيا على أجهزة الأمن الإسرائيلي فكيف إذا ما كان هذا المتسلل يحمل متفجرات يصل بها إلى العمق الإسرائيلي في تل أبيب أو نتانيا أو حيفا أو .... الخ ثم يقوم بتنفيذ عملية في حافلة أو سوق أو مستوطنة ... إنها بلا شك إنتصارات أمنية للمنفذين ومن خلفهم و إخفاقات أمنية لأجهزة الأمن الإسرائيلي.

كما إستطاعت حماس أن توجه ضربة موجعة لجهاز الأمن الإسرائيلي في عملية إعتبرت من أخطر حالات الاختراق لجهاز الشين بيت، وذلك حين قام المجاهد ماهر أبو سرور بإبلاغ جهاز حماس الأمني بأن أحد الضباط الإسرائيليين قام بتجنيده للعمل ضد حماس

وإستطاعت حماس أن تستدرج الضابط الإسرائيلي في الفخ الذي نصب له، حيث أعطيت التعليمات لأبو سرور بمقابلة الضابط الإسرائيلي في المكان المعتاد والزمان المحدد، ومن ثم قتل الضابط الإسرائيلي أثناء اللقاء، وبالفعل إستطاع أبو سرور أن يقتل ضابط الأمن الإسرائيلي (حاييم نحماني) بتاريخ 1993/1/3، كما إستطاع أبو سرور أخذ سلاح الضابط وأوراقه .

أما الإسرائيليون على الطرف الآخر وخاصة جهاز (الشين بيت) المعني بالأمن الداخلي والمختص بمتابعة نشاطات التنظيمات الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية، فقد سعى جاهدا لمواجهة حماس أمنيا مستخدما كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة وإستطاع في عدة مرات أن يحقق إنتصارات في هذا المضمار، حيث أفلح ضباط المخابرات الإسرائيلية بتجنيد بعض المسؤولين في حماس كما إستطاع بعض العملاء من متابعة قياديين في حماس والنيل منهم، وكانت أقسى الضربات التي وجهها جهاز الأمن الإسرائيلي لقادة حماس بمساندة العملاء هو إغتيال مسؤول الكتائب الأول والمطلوب رقم واحد لإسرائيل في ذلك الوقت، الشهيد يحيى عياش (المهندس)، إضافة إلى عملية إغتيال الشهيد عماد عقل التي تبين فيما بعد تورط أحد مسؤولي حماس فيها بعد أن تم إعتقاله من قبل السلطة الفلسطينية وإثر إستجوابه إعترف بارتباطه مع جهاز الأمن الإسرائيلي منذ فترة طويلة .

كما أن جهاز الموساد الإسرائيلي الذي نشط أيضا في متابعة حماس على الصعيد الخارجي كاد أن يفلح في توجيه ضربة قاسية لحماس في الأردن عندما حاول إغتيال خالد مشعل مسؤول المكتب

السياسي في الحركة ولكن إعتقال منفذي العملية من عناصر الموساد أدى إلى فشلها .

إذن باستطاعتنا القول أن المعركة الأمنية بين حماس والأجهزة الأمنية الإسرائيلية مفتوحة منذ إنطلاقة الحركة يحاول كل طرف تحقيق الانتصارات على الآخر، ولكن إذا ما أردنا المقارنة من منطلق الإمكانيات المتاحة للإسرائيليين كجهاز أمن وكدولة تمتلك خبرة وتكنولوجيا ومصادر معلومات وقدرة على الاختراق والتصنت والمتابعة، وبين حماس كحركة مقاومة المفروض أنها تتلقى ضربات العدو وتدافع عن نفسها من أجل تحقيق أي إنتصار على العدو، فإننا سنكون منصفين عندما نسجل أن أجهزة الأمن في حماس قد حققت إنتصارا على أجهزة الأمن الإسرائيلي .

الهوامش

1. مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس)، أجريت بتاريخ 2002/4/10 .

2 . يعاري، إيهود وشيف، زئيف، الانتفاضة، ترجمة دار الجليل، ط1، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث، عمان، 19991، ص198 .

3 . المصدر السابق ص 198 .200 .

4 . ياغي، وجيه، الأمن مفهومه ودعائم تحقيقه، صحيفة القدس، بتاريخ 1996/5/19.

5 . المرجع السابق .

6 . صحيفة الحياة الجديدة، بتاريخ 1996/8/3 .

7 . صحيفة القدس، بتاريخ 1996/8/30 .

حماس والجهاد

الجهاز العسكري

ذكرنا في ما مضى أن قادة الإخوان المسلمين في فلسطين آمنوا بفكرة الإخوان ونهجهم الدعوي لتحقيق أهدافهم ، ولان المشروع الإسلامي كان أشبه بالوليد بعد نكسة 1967 فقد سعى قادة الإخوان خلال مسيرة دعوتهم إلى عدم التصادم مع أي شخص أو تنظيم أو حزب أو سلطة لكي لا يؤثر هذا الصدام على تقدم المشروع الإسلامي، وقد بين الشيخ احمد ياسين هذا الأمر بشكل جلي عندما قال : «عندما بدأنا عملنا لنشر الدعوة حددنا إستراتيجيتنا بأننا لا نريد الصدام مع أي من التنظيمات أو الأحزاب الفلسطينية أو العربية أو الحكومات، وقد حددنا عدوا واحدا هو الذي سنواجهه ونهاجمه، ولكن عدونا الذي نريد مواجهته عدو متمكن ويمتلك آلة وقوة، في نفس الوقت إمدادات حركتي ضعيفة فإذا ما تمت المواجهة فانه سرعان ما يقضي عليها وتنتهي، لذا فإنني وزنت الأمر، وتساءلت هل ادخل المعركة الآن ؟ هل أؤجلها غدا ؟ هل ما أملكه من رصيد يستطيع أن يستمر لو تم ضربه أم لا يستطيع ؟ كانت هذه التوازنات هي التي تقرر تأجيل دخول الصراع مع العدو الإسرائيلي، لقد كان تقديرنا أن معركة طويلة مع هذا العدو تحتاج إلى إعداد كبير ، وأعتقد أننا نجحنا

فها نحن عندما بدأنا في حماس كحركة مقاومة بدأنا بداية قوية تعاظمت ولم تتراجع رغم تعرضها لضربات عديدة من قبل قوات الاحتلال و أثبتت الحركة أنها على مستوى المسؤولية بجهادها وتاريخها» . (1)

ذكرنا سابقا أن زيادة شعبية الحركة قد أدى عام 1980 إلى قيام الشيخ حجازي البريار بالخروج عن المألوف وعدم الانصياع لتعليمات قيادة الإخوان من خلال المظاهرات التي تزعمها وهوجم فيها عدد من الأماكن والمحلات بغزة إنطلاقا من الفكرة التي آمن بها والتي تعتبر جوهر وروح الجهاد ألا وهي تغيير المنكر باليد .

لم ينل هذا الحادث إستحسان الشيخ أحمد ياسين لذا فقد قام بإصدار تعليماته بتحجيم دور البريار وقد أفلح الشيخ ياسين في ذلك ، ورغم هذا إلا أننا يجب أن نقف هنا وقفة لرؤية الحقيقة من جانبيها ، حيث إن الشيخ ياسين قد شعر إثر هذه المظاهرات بمدى النتائج التي حققت على صعيد الشارع الفلسطيني وعلى صعيد إظهار الحركة كقوة فاعلة ميدانيا ، يبدوا أن هذا الشعور قد أدركه الشيخ ياسين جيدا ، وإذا ما أضفنا أن الشيخ ياسين أدرك أيضا من تجربته مع الشيخ البريار والمتعلقة بثورة الحماس لدى الشباب الجدد الذين يدخلون الحركة ويتعمقون فيها ، أن هؤلاء الشباب كلما كثر عددهم وزاد إنتماءهم فإنهم سيشكلون مزيدا من الضغط على قيادة الإخوان في المستقبل من أجل دفعهم لاقرار المواجهة مع الآخر ، إذا ما أضفنا هذا إلى ذاك فان النتيجة قد تفسر لنا قيام الشيخ أحمد ياسين بشراء و إقتناء كمية من البنادق وتخزينها منذ أواخر عام 1980 .

أدرك الشيخ ياسين أن المواجهة لا بد وأن يأتي يومها حتى وإن طالت المدة ، لذا فانه يجب الاستعداد لها جيدا ولكن ضمن نفس الإطار المتبع ، ألا وهو عدم المساس بالمشروع الإسلامي الإخواني الدعوي وعدم تعريض الحركة لأي خطر كان ، لذلك بدأ الشيخ أحمد ياسين عام 1980 في عملية غاية في السرية كانت تهدف لشراء وتخزين السلاح إستعدادا للمواجهة .

سعى الشيخ لشراء السلاح وتخزينه لمدة زادت عن الثلاث سنوات ، ثم اعتقل هو ومساعدوه في أبريل عام 1984 وحكم عليه بالسجن لمدة 13 عاما أمضى منها 11 شهرا ثم خرج ضمن صفقة تبادل الأسرى التي أبرمت بين منظمة التحرير و إسرائيل ، وقد روجت المخابرات الإسرائيلية بعد إعتقاله بفترة أن الشيخ أحمد ياسين قد إعترف على أن صفقة السلاح هذه ليست لمواجهة اليهود إنما هي لمواجهة وقتل الوطنيين ، وقد إستهجن الشيخ ياسين ذلك ووصفه بأنه محاولة من إسرائيل للفتنة بين الشعب الفلسطيني وفي هذا يقول:

" حاول الإسرائيليون بعد إعتقالي أن يروجوا أنني أردت قتل بعض الوطنيين بهذا السلاح وقد أبلغوا بعض الشخصيات الوطنية بأنهم عثروا على قائمة فيها أسماءهم للتصفية و أنني قد إعترفت أن هذا السلاح لم يتم جمعه لليهود بل للوطنيين ،وهذا الكلام لم يحدث مطلقا وقد كانت التهم الموجهة لي والتي حوكمت عليها هي جمع السلاح وتخزينه من أجل إزالة دولة إسرائيل ، وقد رفض المحامي فايز أبو رحمة في ذلك الوقت زيارتي في السجن عندما كنت قد طلبته للدفاع عني لانهم كانوا قد أبلغوه أنه كان من ضمن الوطنيين الذين كنت أنوي قتلهم ، وعندما خرجت من السجن إلتقيت معه و أوضحت له أن هذا

الكلام غير صحيح وأن الإسرائيليين حاولوا من خلاله خلق فتنة في صفوف شبعنا الفلسطيني ، وقد تفهم الأمر تماماً ".(2)

خرج الشيخ أحمد ياسين من المعتقل وبعد خروجه بفترة قام بتأسيس جهاز (مجد) الأمني كبداية هامة إستعدادا للعمل العسكري، وقد إتسع تنظيم مجد مع قيامه بمباشرة عمله خلال عام ونصف بشكل كبير وعندما بدأت أحداث الانتفاضة الفلسطينية عام 1987 وتأسست حركة حماس كان هذا التنظيم جاهزا للاستمرار في عمله الأمني الجهادي ، ورغم هذه الجاهزية إلا أن الشيخ أحمد ياسين الذي أدرك من خلال خبرته التي مر بها خلال هذه الفترة الطويلة من العمل التنظيمي ضرورة الفصل بين العمل العسكري الذي يشكل الخطر الحقيقي على الإسرائيليين وبين أي عمل تنظيمي آخر حتى ولو كان أمنيا، فقد قرر الشيخ ياسين تشكيل جهاز عسكري جديد ومنفصل عن جهاز مجد الأمني ، مع إمكانية وجود تنسيق فيما بينهما .

قام الشيخ أحمد ياسين بتكليف الشيخ صلاح شحادة بقيادة هذا الجهاز الجديد بهدف جعله نواة للعمل العسكري لحركة حماس ، وقد أطلق عليه اسم (المجاهدون الفلسطينيون)، ورغم أن هناك كتابا قد خلطوا بين جهاز (مجد) و ما تم تنفيذه من عمليات وبين جهاز (المجاهدون الفلسطينيون) حيث نسبوا بعض ما تم تنفيذه من عمليات من قبل (المجاهدون الفلسطينيون) إلى جهاز (مجد)، فقد أكد الشيخ ياسين الفصل بين الجهازين . (3)

المجاهدون الفلسطينيون :

قام الشيخ صلاح شحادة المعروف بصلابته بتجنيد عناصر جديدة لهذا التنظيم الجديد ، وقد كان من بين هؤلاء العناصر الشاب محمد المصري الذي سيعرف فيما بعد ب (الضيف) والذي سيصبح المطلوب رقم واحد لإسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد إستشهاد يحيى عياش (المهندس).

كانت التعليمات الملقاة إلى المجندين الجدد تتعلق بممارسة نشاطات عسكرية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي ، وبالفعل إستطاع الأعضاء الجدد للتنظيم تنفيذ عدة عمليات، منها حادثة إطلاق نار أصابت إحداها أحد الإسرائيليين الذين كانوا يعملون في أحد مشاريع البناء في منطقة الشيخ رضوان في غزة بتاريخ 1988/3/17،كما أصابت عملية أخرى نفذت في منطقة جباليا بتاريخ 1988/8/1 سيارة إسرائيلية .

ما كاد عام 1988 يهل حتى تلقت حماس أولى ضرباتها الأمنية من قبل جهاز الأمن الإسرائيلي الذي إعتقل عددا من قياديي حماس كان منهم الشيخ صلاح شحادة، مسؤول الجهاز العسكري لحماس ، فقام الشيخ أحمد ياسين بإعادة بناء أجهزة الحركة من جديد بمساعدة عدد من نشيطي الحركة الذين جمعهم الشيخ أحمد وكلفهم بقيادة الحركة في مناطقها الخمس وهي : منطقة غزة ، منطقة خانيونس ، منطقة المعسكرات الوسطى، منطقة رفح ، منطقة جباليا ، وقد عين الشيخ أحمد ياسين أحد قادة الحركة كمنسق لجميع المناطق ومساعدا له .

إستطاع الشيخ أحمد ياسين إعادة ترتيب أمر الحركة وخاصة على صعيدها العسكري ، فاستمر التنظيم في ممارسة عمله وقام بتنفيذ

عمليتي خطف وقتل لجنديين إسرائيليين اعتبرتا من أشد وأخطر العمليات ضد قوات الاحتلال ، فقد خطف أعضاء تنظيم (المجاهدون الفلسطينيون) بتاريخ 1989/2/17 الرقيب أفي سبورتس وقتلوه و أخفوا جثته ، ثم قاموا بتاريخ 1989/5/3 بخطف الجندي إيلان سعدون وتمكنوا من قتله و قاموا بإخفاء جثته أيضا .

إثر هذه العمليات وجهت إسرائيل ضربة قوية للجهاز التنظيمي البنيوي لحركة حماس، فقامت بإعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد كبير من قادة حماس، وتم أثناء التحقيق معهم تفكيك أجهزة حماس خاصة جهازها العسكري، كما تم إعتقال بعض الأشخاص الذين قاموا بتنفيذ العمليات العسكرية ضد الإسرائيليين .

أثرت هذه الضربة القوية على نشاط الحركة وكادت أن تقضي عليها لولا تدخل بعض مناصري حماس ومؤيديها من الخارج وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والأردن ، حيث قرر هؤلاء مساندة الحركة في الداخل بعد هذه الضربة وإعادة بناء هيكلها التنظيمي .

إستعادت حماس عافيتها التنظيمية عام 1990 واستطاعت من خلال قطاع الأمن الذي أسسه الدكتور موسى أبو مرزوق ووضع على رأسه أحد قادة حماس الخمسة الذين قادوا الحركة في قطاع غزة بعد ضربة الشيخ ياسين ورفاقه عام 1989، استطاعت حماس من خلال قطاع الأمن أن تزاول بعضا من نشاطها الأمني والعسكري حيث كلف هذا القطاع بجمع المعلومات عن تجار المخدرات والدعارة ، وعن نشيطي الحركة وأعضائها ، وعن الجيش الإسرائيلي وتحركاته ، والمشتبه بتعاونهم مع سلطات الاحتلال ، و نشيطي المنظمات

الفلسطينية الأخرى وقادتها ، وقد تميزت فترة عمل هذا القطاع حتى عام 1991 بالعمل الأمني حيث لم يسجل أي نشاط عسكري حقيقي ملحوظ لحركة حماس في هذه الفترة ، وقد يرجع ذلك إلى نقص الإمكانيات لدى الحركة لبناء خلايا عسكرية بعد الضربة التي تعرض لها جهازها العسكري ، و قد يكون عدم إنتهاج الانتفاضة للعمل العسكري حتى ذلك الوقت الدور الأكبر في تجميد هذا النشاط العسكري لحماس في تلك الفترة .

كتائب عز الدين القسام :

كان بشير حماد أحد نشيطي حركة حماس من سكان منطقة جباليا عضوا فاعلا وبارزا ورئيسيا للتنظيم العسكري لحماس، لذلك فقد عيّن في مايو من عام 1991 مسؤولا عن الجهاز العسكري للحركة ، بعد تعيينه سعى حماد لتشكيل جهاز عسكري جديد فقام بتكليف الشاب (وليد عقل) أحد نشيطي حماس ورئيس تنظيمها العسكري في المعسكرات الوسطى بتشكيل خلايا لجهاز حماس العسكري الجديد الذي تقرر تسميته بـ (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

قام وليد عقل بتجنيد ثمانية من أعضاء ونشيطي حماس ليكونوا نواة الجهاز العسكري الجديد وقد عيّن هؤلاء الثمانية كقادة لمناطق قطاع غزة التي إتسعت لتصبح ثمانية مناطق عمل بدلا من خمس، وقد قام كل قائد من هؤلاء بتجنيد خلية ضمت أربعة أفراد ، وقد مثل هؤلاء أعضاء التنظيم العسكري الجديد لحماس .

تميز أسلوب أعضاء التنظيم العسكري الجديد لحماس بخطف المشتبه بتعاونهم مع سلطات الاحتلال والتحقيق معهم ومن ثم قتل من

تثبت إدانته ، وقد نفذت أولى هذه العمليات في شهر يونيو من عام 1991 في مخيم النصيرات حيث قامت الخلية العاملة هناك باختطاف أحد المشتبه بتعاونهم مع السلطات وبعد التحقيق معه تم قتله و إلقاء جثته في إحدى أطراف المخيم ، ثم كتب على الجدران أن عملية القتل هذه نفذتها كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس ، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يكتب بها اسم كتائب عز الدين القسام على الجدران بشكل علني .

بعد هذه العمليات قام أعضاء خلايا القسام بتنفيذ عدة عمليات خطف وقتل للمتعاونين مع سلطات الاحتلال وصلت إلى 19 عملية من بداية يونيو حتى ديسمبر من عام 1991 ، ولم يكتف مسؤولو الكتائب بالإعلان عن مسؤوليتهم عن هذه العمليات من خلال الكتابة على الجدران بل قاموا بتوزيع بيانات تضمنت بعض إعترافات المتهمين. (4)

بداية نشاط الكتائب ضد قوات الاحتلال :

بعد أن قامت كتائب القسام بعملياتها ضد المتعاونين مع السلطات الإسرائيلية خلال الستة أشهر الأولى من تأسيسها ، أرادت الكتائب تغيير نمط عملياتها بتنفيذ عمليات ضد قوات الاحتلال ، و مع بداية شهر أغسطس من عام 1991 قام قائد إحدى مجموعات الكتائب بإعداد عبوتين ناسفتين لتفجيرهما ، وقد نجحت العملية فقامت المجموعة بإعداد 15 عبوة ناسفة وتم وضعها بجوار معسكر النصيرات في الأماكن التي إعتادت دوريات جيش الاحتلال الإسرائيلي المرور بها، ورغم نجاح عمليات تفجير العبوات إلا أن النتائج لم تكن مشجعة ومرضية .

شهد عام 1991 إنعقاد مؤتمر السلام الدولي في مدريد ، وقد رفضت حركة حماس هذا المؤتمر ومن أجل تأكيدها على هذا الرفض قام مسؤول كتائب القسام بإعطاء أوامره بتنفيذ عملية عسكرية ضد المستوطنين ، وقد نجح بعض أفراد إحدى مجموعات القسام من قتل المستوطن (دورون شورشان) عندما أطلقوا النار على السيارة التي كان يستقلها بالقرب من مستوطنة كفار داروم في صبيحة أول يوم من عام 1992، لتكون هذه العملية هي أول عمليات كتائب القسام ضد القوات الإسرائيلية والمستوطنين .

بعد نجاح هذه العملية غيرت حماس من أسلوبها العسكري فتخلت عن إعداد العبوات الذي لم يأت بأي فائدة وركزت على عمليات إطلاق النار على الإسرائيليين .

تميزت عمليات كتائب القسام مع بداية صيف عام 1992 بالعنف والجرأة فقد إستطاعت كتائب القسام تنفيذ عدة عمليات ضد قوات الجيش الإسرائيلي ورجال الشرطة وحرس الحدود ، وقد حظيت هذه العمليات التي تميزت بجرأتها وقوتها بتأييد الشارع الفلسطيني مما أكسب حماس وكتائبها شعبية كبيرة، وقد برز من بين عناصر كتائب القسام في هذه الفترة شاب في مقتبل العمر إستطاع أن يكتسب شعبية كبيرة أهلته فيما بعد ليصبح رمزا ومعلما هاما في مسيرة كتائب القسام ،كان هذا الشاب هو عماد عقل.

عماد عقل :

ولد عماد حسن إبراهيم عقل في التاسع عشر من يونيو عام 1971 بمنزل والده الكائن في مخيم جباليا بقطاع غزة ، وقد أثر والده الذي

كان يعمل مؤذنا لمسجد الشهداء في المخيم بتربيته ، فنشأ عماد نشأة إسلامية في أحضان المساجد ، خاصة مسجد النور القريب من مدرسة الفالوجة حيث كان يدرس عماد ، أنهى الطالب المتفوق عماد عقل دراسته الابتدائية والإعدادية بتفوق كبير وقد كان واضحا من نتائجه تمتعه بذكاء خارق ، فقد أنهى دراسته الثانوية محرزا تفوقا على مستوى منطقة شمال قطاع غزة التعليمية .

بعد إنهائه الثانوية العامة حاول عماد عقل الالتحاق بمعهد الأمل للدراسات والذي كان قد إفتتح قسما لدراسة الصيدلة إعتبر الأول من نوعه على مستوى مدينة غزة ، ولكن إعتقاله من قبل الاحتلال حال دون إكماله تعليمه .

إعتقل عماد عقل لاول مرة بتاريخ 1988/9/23 وحكم عليه بالسجن لمدة 13 شهرا بتهمة الانتماء لحركة حماس والمشاركة في تنفيذ فعاليات كتابة على الجدران و إلقاء زجاجات حارقة ، وقد كان عماد عقل قد إنضم إلى مجموعات حركة حماس مع بداية الانتفاضة وتأسيس حركة حماس .

أمضى عماد عقل فترة إعتقاله وخرج من المعتقل في مارس 1990 وقد عاد على الفور لمزاولة نشاطه ضمن صفوف حركة حماس مما أدى إلى إعتقاله مرة أخرى ولكن لمدة شهر واحد .

بعد خروجه من المعتقل مرة ثانية حاول عماد عقل -الذي إستفاد خبرة أمنية وتنظيمية عالية من خلال فترة إعتقاله- الاتصال بخلايا العمل العسكري لحماس ، حيث وضع نصب عينيه هدفا ساميا هو طرد الاحتلال أو الاستشهاد في سبيل الله .

إستطاع عماد عقل أن يتصل بالمجموعات العسكرية الأولى لحركة حماس ولانه كان مميزا ومحبوبا ومتفانيا في عمله التنظيمي الحركي فقد تم إلحاقه بمجموعة (الشهداء) وهي مجموعة عسكرية تكونت في منطقة شمال قطاع غزة قبل تأسيس كتائب القسام بفترة قليلة ، وبمجرد الإعلان عن تأسيس كتائب القسام كجهاز عسكري لحركة حماس إنضم أفراد هذه المجموعة للعمل تحت لواء الكتائب .

أبدى عماد عقل منذ الوهلة الأولى التي عمل فيها ضمن الخلايا العسكرية لحركة حماس فطنة ويقظة وقدرة عالية على التعامل ضمن مفاهيم العمل الأمني الذي تطلبه العمل العسكري في ذلك الوقت ، ورغم صغر سنه في ذلك الوقت حيث لم يتجاوز الواحد والعشرين إلا أن مسؤولي العمل العسكري في الحركة وثقوا به ثقة كاملة فجعلوه مسؤولا عن الاتصال بين خلايا الحركة العسكرية في غزة والضفة الغربية .

وصل عماد عقل في أغسطس عام 1991 إلى جامعة الخليل كمبعوث من غزة لمقابلة أحد نشيطي حركة حماس في الضفة الغربية والذي كان قد جند من قبل أحد قادة حماس عام 1991 ودعي لاقامة سية لجهاز عسكري في الخليل ، وقد أبلغ عماد عقل المسؤول العسكري لحماس في منطقة الخليل أن العمليات العسكرية التي ستنفذ في الضفة سيتم تنفيذها بالتنسيق المباشر معه ، وقد كان حتى ذلك الوقت يمارس عمله الجهادي بشكل سري .

في السادس من أغسطس عام 1991 إستطاعت السلطات الإسرائيلية القبض على اثنين من أعضاء خلية الشهداء حينما حاولوا اجتياز الحدود الفلسطينية المصرية، وأثناء التحقيق معهما إعترف

أحدهما وهو (مجدي حماد) على أعضاء الخلية الذي كان عضوا فيها وكان من ضمن إعترافاته أن عماد عقل كان ضابط إتصال للمجموعة، بلغت أخبار الاعترافات إلى عماد عقل فأصبح منذ ذلك الوقت مطلوبا للسلطات الإسرائيلية .

زاد عدد المطلوبين من أعضاء الجهاز العسكري لحماس فقررت الحركة إرسال بعضهم إلى الخارج لتخفيف العبء ومنع أي ضربات جديدة للجهاز في حالة إعتقال أحدهم ،ونقل جزء آخر للعمل في الضفة الغربية حيث كان الجهاز العسكري لحماس ما يزال غير ناشط مثل قطاع غزة ، كان عماد عقل أحد هؤلاء ولكنه رفض مغادرة أرض الوطن وفضل البقاء حتى يرى بأم عينيه لحظات النصر على المحتل الغازي أو نيل الشهادة فيها .

إستطاع عماد عقل في مايو 1992 الانتقال عبر حاجز إيرز وهو المعبر الوحيد الذي يربط بين قطاع غزة والضفة الغربية وبقية المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948 ، وصل عماد عقل إلى مدينة القدس وبعد إستقراره فيها لفترة إستطاع عدد آخر من مطاردي الجهاز العسكري الوصول إليه فقرروا الانتقال إلى الضفة الغربية حيث إستأجروا في مدينة رام الله شقتين للإقامة .

حاول مطاردو القسام تنفيذ عمليات في مدينة القدس ولكن حملة إعتقالات طالت بعضهم منعتهم من ذلك ، فقد نجحت أجهزة الأمن الإسرائيلي في إعتقال ثلاثة من مطلوبي القسام بتاريخ 29/7/ 1992 في رام الله ، إثر هذه الاعتقالات إنتقل من تبقى من مطاردي القسام في رام الله إلى مدينة الخليل ، وقد إستطاع بشير حماد قائد أول مجموعات لكتائب القسام ومعه طلال نصار إضافة إلى عماد عقل من

الوصول إلى مدينة الخليل وقد تم تزويدهم هناك بالأسلحة الرشاشة والمسدسات إستعدادا لمرحلة جديدة من العمل العسكري .

عيّن عماد عقل مسؤولا لخلايا كتائب القسام في مدينة الخليل بينما إنتقل المطلوبان الآخران إلى مدينة نابلس لبناء خلايا عسكرية هناك .

أثناء إقامته في مدينة الخليل إستطاع عماد عقل تكوين عدة خلايا عسكرية قامت بتنفيذ بعض العمليات العسكرية وقد شارك عماد عقل في تنفيذ عمليتين عسكريتين من هذه العمليات .

إثر إزدياد النشاط العسكري لحماس في الضفة الغربية نشط جهاز الأمن الإسرائيلي لمتابعة هذه الظاهرة الجديدة للعمل العسكري في الضفة الغربية ، وقد إستطاع جهاز الأمن الإسرائيلي إعتقال بعض نشطاء حماس الذين كانت لهم علاقة مع الجهاز العسكري للحركة مما أدى إلى كشف التنظيم العسكري في مدينة الخليل ، هذا الأمر أدى بعماد عقل إلى إتخاذ قرار بالعودة إلى مدينة غزة حيث أن إجراءات قوات الاحتلال الإسرائيلي قد بدأت في تضييق الخناق على تحركات أعضاء الجهاز العسكري للحركة في مدينة الخليل .

وصل عماد عقل الذي تخفى في زي مستوطن إسرائيلي إلى مدينة غزة قادما من خليل الرحمن في الثالث والعشرين من نوفمبر 1992 ، ورفض مرة أخرى مغادرة أرض الوطن وفضل البقاء فيها لمواصلة عمله الجهادي وقد قال لمسؤوليه الذين طلبوا منه المغادرة في ذلك الوقت "سأبقى في فلسطين حتى أنال الشهادة وأدخل الجنة" .

حصل عماد عقل الذي تمتع بجرأة وذكاء وقدرة عالية على تنفيذ المهمات على بندقية بشير حماد من نوع إم 16 أمريكية الصنع كتقدير

و مكافأة له على شجاعته بعد أن قرر بشير حماد ترك قطاع غزة والتوجه إلى الخارج ،خوفا من إعتقاله و إستجوابه بعد أن أصبح الرجل الأول في كتائب القسام .

إستطاع عماد عقل أن ينفذ 12 عملية عسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة أثناء فترة عمله في الجهاز العسكري لحركة حماس والتي إستمرت قرابة الثلاث سنوات تمكن من خلالها قتل أحد عشر ضابطاً وجندياً إسرائيلياً وإصابة أكثر من 30 جندياً آخرين ، كما أعطب خلال عملياته عدداً كبيراً من العربات العسكرية الإسرائيلية، كما تمكن أيضاً من إغتنام بندقيتين عسكريتين من نوع إم 16 بعد أن قتل ثلاثة جنود في إحدى العمليات .

مثّل عماد عقل ظاهرة خطيرة أقلقت مضاجع الجنود الإسرائيليين وقادتهم ، وقد قال عنه أحد الجنرالات الإسرائيليين في مؤتمر صحفي " إن جنوده يخشون مواجهة عماد عقل ليلا ".(5)

كما وصفه بعض قادة الجيش الإسرائيلي بأنه "ذو الأرواح العشرة".(6)

وأذكر هنا حينما كنت معتقلا في معتقل أنصار 2 على شاطئ بحر غزة عام 1993 ، تلك العبارات التي وصف بها أحد عناصر القوات الخاصة الإسرائيلية عماد عقل بقوله: "إنه بطل حقيقي ، وهو الوحيد الذي نخاف مواجهته إضافة إلى أنه هو الشخص الوحيد الذي يبلغنا قادتنا باسمه قبل التوجه إلى أي عملية نقوم بها لقتله لكي نأخذ الحيطة والحذر ، فهو لا يخاف مواجهتنا بل ينقض علينا مثل إنقضاض النمر على فريسته ، وقد تابعناه أكثر من مرة وحاولنا قتله

ولكننا لم نستطع النيل منه ، إنه مقاوم عنيد وصلب وذو عشرة أرواح).(7)

شكل الشهيد عماد عقل أسطورة لدى المقاومين الفلسطينيين على إختلاف فصائلهم فرغم إنتمائه لكتائب القسام فقد كان محبوبا من قبل جميع فصائل المقاومة الفلسطينية وقد إعتبره الشارع الفلسطيني بأكمله بطلا حقيقيا ، وقد يكون إختيار عماد عقل للجنود الإسرائيليين كأهداف لعملياته سببا مباشرا في نيله هذا الحب الكبير ، فقد فضل الشهيد عماد عقل أن يجعل من جنود الاحتلال أهدافه المباشرة ولم يقتنع بالعمل ضد العملاء ، إذ إعتبر أن هؤلاء الجنود هم الأسباب الرئيسية التي تخلق العملاء لذا فان قتلهم أولى من قتل العملاء .

تمتع الشهيد عماد عقل بقدرة فائقة على إختيار أهدافه وقد كان يفضل دائما معاينة مكان العملية قبل تنفيذها ، وقد وصف الشهيد عوض سلمي هذه الميزة التي تمتع بها الشهيد عماد عقل في مذكراته حول عملية الزيتون البطولية . التي نفذها الشهيد عماد عقل حيث تعتبر من أنجح العمليات العسكرية ضد وحدات حرس الحدود الإسرائيلي الذي يعتبر من خيرة قوات الجيش الإسرائيلي ، إذ تمكن عماد عقل بمفرده من قتل ثلاثة جنود إسرائيليين وخطف سلاح اثنين منهم . بقوله : "إثر هذه المعلومات تم عقد عدة إجتماعات ، وتم وضع العديد من الخطط العسكرية ، لكن القائد عماد عقل رحمه الله لم يعتمد أيا منها ، حيث أصر أن يقوم بنفسه بمعاينة مكان العملية ، وقد تم ذلك فعلا ، وأستقر الأمر على وضع الخطة العسكرية التي تم تنفيذها" . (8)

إثر هذا النجاح الكبير الذي حققه عماد عقل في إصطياد قادة وجنود الاحتلال، جنّدت قوات الاحتلال العسكرية والأمنية كافة جهودها من أجل النيل منه وقتله ، وقد أطلقت قوات الاحتلال أكثر من صفة على العمليات التي قامت بها في متابعة عماد عقل ومحاولة إعتقاله أو قتله فكانت (عمليات صيد الحرباء أو الشبح أو العقرب).(9)

ما كاد مساء 1993/11/24 يهل حتى كانت قوات الاحتلال تحاصر منطقة سوق الجمعة في حي الشجاعية مستخدمة عدداً كبيراً من العربات العسكرية ومئات الجنود وأعضاء القوات الخاصة الإسرائيلية، إضافة إلى طائرة مروحية كانت تحوم في سماء المنطقة .

شددت قوات الاحتلال بقيادة قائد المنطقة الجنوبية الجنرال متان فلنائي حصارها حول أحد منازل عائلة فرحات الذي كان يتواجد فيه عماد عقل ، وقد تمكن عماد عقل الذي كان قد تناول طعام إفطاره قبل لحظات حيث كان صائما في ذلك اليوم من الصعود إلى سطح المنزل الذي كان يتواجد فيه بعد أن شعر بمحاصرة المنزل ، وبمجرد صعوده إلى السطح قام بأداء ركعتين لله سبحانه وتعالى .(10)

بعد إحكام الحصار على المنزل والمنطقة المحيطة قامت طائرة الهليوكويتر العسكرية بقصف المنزل بعدة صواريخ ، كما قام الجنود الإسرائيليون بقصف المنزل بقذائف مضادة للدبابات وأمطروا المنزل بنيران أسلحتهم الرشاشة ، مما أدى إلى إصابة عماد عقل برصاصة في رجله ، ورغم إصابته فقد إستطاع عماد عقل القفز من سطح المنزل إلى الأرض وهو يطلق الرصاص من مسدس كان يحمله تجاه الجنود الغزاة .

سلط مئات الجنود الإسرائيليين نيران أسلحتهم وقذائفهم تجاه البطل الذي قفز عليهم من السماء فأصابت إحدى القذائف المضادة للدروع الشهيد عماد عقل إصابة مباشرة في منطقة الرأس ، مما أدى إلى تناثر عدة قطع من رأسه على الأرض. سقط عماد عقل شهيدا كما تمنى ولكنه أصر حتى في لحظات موته أن ينال من جنود الاحتلال فأوقع منهم بعض الإصابات قبل أن ينالوا منه . (11)

صباح يوم 27/ 92/11 كان صباحا قاسيا ومؤلما في قطاع غزة حيث خرج آلاف المشيعين للمشاركة في عرس الشهيد عماد عقل ، ولانه كان مميزا ومحبوبا من الجميع فقد شارك عدد كبير من مسلحي حماس وحركة فتح في تشييعه مطلقين النيران في الهواء تحديا وإعلانا لقوات الاحتلال بأن المقاومة الفلسطينية المسلحة ستظل متقدة طالما بقي فلسطيني واحد على قيد الحياة ، ولمكانته الخاصة في نفوس أعضاء الكتائب، قررت كتائب القسام إثر إستشهاده إعداد خطة لتنفيذ عشر عمليات عسكرية ردا على إستشهاده ، وقد قتل في إحدى هذه العمليات التي تم تنفيذها من قبل كتائب القسام قائد الوحدة الخاصة التي قامت بتنفيذ عملية قتل الشهيد عماد عقل. (12)

سقط عماد عقل واقفا شامخا وظلت معه المقاومة المسلحة لحركة حماس متواصلة حيث حصل (عوض سلمي) أحد أعضاء الجهاز العسكري لحماس والمقرب من الشهيد على بندقيته من نوع إم 16 والتي كان قد أخذها من قائد الكتائب بشير حماد في إشارة لتواصل العمل المسلح لحماس من قائد إلى آخر ومن شهيد إلى شهيد ، وقد إستشهد عوض سلمي في أواخر عام 2001 إثر محاولته زرع عبوة ناسفة لدورية عسكرية إسرائيلية شرق مدينة غزة أثناء إنتفاضة الأقصى المباركة .

العمل العسكري لحماس في الضفة الغربية :

لم تتميز الضفة الغربية منذ إنطلاق حركة حماس بنشاط عسكري مثل قطاع غزة ، فقد قامت حماس حتى منتصف عام 1992 بعمليات محدودة في الضفة الغربية ، وقد إعتمدت هذه العمليات على العبوات الناسفة إذ لم يكن للحركة بنية عسكرية منظمة. ونتيجة لهذا الضعف للنشاط العسكري في الضفة الغربية أرادت حماس نقل نشاطها من غزة إلى الضفة ، فتم إرسال ضابط الاتصال (عماد عقل) في أغسطس عام 1991 لمقابلة صلاح العاروري، مسؤول العمل العسكري في الضفة الغربية .

إثر هذا اللقاء قام العاروري ببناء خلايا عسكرية قامت بتنفيذ عدة عمليات إستخدمت فيها العبوات الناسفة ، ولكنها لم تكن عمليات ذات جدوى كبيرة وفاعلية .

في مايو 1992 إنتقل عدد من قادة العمل العسكري في قطاع غزة، وتحديدا أعضاء مجموعة الشهداء المطلوبين للسلطات الإسرائيلية من غزة إلى الضفة وقد تمركز بعضهم في الخليل بينما تمركز آخرون في نابلس .

في يوليو 1992 شعرت قيادة حماس في الخارج بضرورة تفعيل العمل العسكري في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخاصة الضفة الغربية ، لذلك فقد إجتمع رئيس المكتب السياسي لحماس وقائدها العملي الجديد في الخارج الدكتور (موسى أبو مرزوق) مع محمد صوالحة مسؤول العمل العسكري لحماس في الخارج إضافة إلى شخص ثالث كان يدعى محمد صالح ، وقد قرر المجتمعون زيادة العمليات في الضفة الغربية وناقشوا السبل الكفيلة لذلك .

في أوائل أغسطس من نفس العام وصل محمد صالح إلى القدس ومنها قام بعقد عدة إجتماعات في قطاع غزة والضفة الغربية ، إلتقى محمد صالح كلا من صلاح العاروري في الخليل وعادل عوض الله في البيرة وطلب منهم إقامة خلايا مسلحة لكتائب القسام في الضفة الغربية ، وإثر تقديم المساعدات المالية من محمد صالح إستطاع العاروري شراء أسلحة لتزويد الخلايا العسكرية بها .

ساهم وجود عدد من مطاردي القسام في الخليل و نابلس ، تفعيل العمل العسكري في الضفة الغربية حيث تم تنفيذ عدة عمليات بطولية وناجحة ، ولكن تعرض خلايا القسام للمتابعة والاعتقال في الخليل وغيرها من مدن الضفة وعودة مطاردي القسام إلى غزة ساهم في إعادة تهدئة الأوضاع في الضفة الغربية على الصعيد العسكري حتى أواخر عام 1992 حيث كان يصعد في الأفق نجم مطلوب جديد لكتائب القسام في الضفة الغربية ، هذا المطلوب كان يدعى يحيى عياش .

يحيى عياش (المهندس) :

ولد يحيى عبد اللطيف عياش في قرية (رافات) الواقعة في الضفة الغربية بين مدينتي نابلس وقلقيلية في 1966/3/22 ، وقد ولد لعائلة متدينة محافظة ، فنشأ في طاعة الله وبدأ في حفظ القران الكريم منذ صغر سنه ، وقد تميز رحمه الله بالخجل والهدوء والفطنة والدقة.

أنهى يحيى عياش دراسته الابتدائية في مدرسة القرية بتفوق كبير ثم أكمل دراسته الإعدادية فالثانوية حيث حصل على معدل 89.2%

في القسم العلمي ، هذا المجموع المرتفع مكنه من الالتحاق بجامعة بيرزيت في رام الله ليدرس الهندسة الكهربائية (قسم الإلكترونيات)، وقد أحب إلى جانب دراسته الهندسة الكهربائية مادة الكيمياء فتمكن منها بالقدر الذي تمكنت منه .

تخرج يحيى عياش من جامعة بيرزيت التي أصبح فيها أحد نشطاء الكتلة الإسلامية ، وحاول بعدها السفر إلى المملكة الأردنية الهاشمية لاكمال دراسته العليا إلا أن السلطات الإسرائيلية منعته من السفر.

تزوج يحيى عياش من ابنة عمه بعد أن أنهى دراسته الجامعية ، وقد رزقه الله مولوده البكر فسماه البراء فلقب (بأبي البراء).

كان أبو البراء أحد نشيطي الكتلة الإسلامية في بيرزيت وكان مثل بقية نشطاء الكتلة يمارس عمله التنظيمي في إطار نشاطه الطلابي في الجامعة ، ولكنه لم يكتف بهذا النشاط فبمجرد إنطلاق العمل العسكري لحماس وتشكيل مجموعات لكتائب القسام في مدن وقرى الضفة الغربية عام 1992 ، أبرق أبو البراء لقادة الكتائب إستعداده وجاهزيته للانضمام إلى صفوفهم ، فأصبحت مهمته فور إنضمامه للكتائب إعداد العبوات الناسفة والسيارات والحقائب المفخخة .

إستمر يحيى عياش في عمله السري حتى أواخر عام 1992 حين تم إدراجه في قائمة المطلوبين للسلطات الإسرائيلية بعد أن تم إكتشاف سيارة مفخخة في منطقة (رمات أفعال) الإسرائيلية .

ظل يحيى عياش بعد ذلك يمارس عمله في صفوف الكتائب متخفيا ومتنقلا بين مدن وقرى الضفة الغربية يعد السيارات المفخخة والعبوات الناسفة ، وقد إستطاع بمساعدة إخوانه في الكتائب من

تنفيذ 3 عمليات بطولية حتى 1994/2/25 عندما قام يهودي متطرف يدعى (باروخ جولدشتاين) بفتح نيران سلاحه الحاقد على المصلين في الحرم الإبراهيمي في منتصف شهر رمضان بمدينة الخليل ، سقط عدد كبير منهم بين قتيل وجريح في مذبحة يندى لها الجبين ، ليدخل بها جولدشتاين تاريخ المجرمين السفاحين من قتلة الأنبياء والرسل .

كانت رصاصات جولدشتاين الحاقدة التي إخترقت رؤوس وأجساد الساجدين لله ، هي الشرارة الحقيقة التي ألهبت الدماء في عروق (أبو البراء) الذي قرر الانتقام لهؤلاء المصلين في بيت الله وحرم نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام ،فقام أبو البراء بإعداد حقيبة مفخخة بتاريخ 1994/4/6 في ذكرى الأربعين لشهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي إنطلق بها الاستشهادي (رائد زكارنة) إلى منطقة العفولة حيث فجرها في حافلة للركاب فقتل 9 من الصهاينة و أصاب 50 آخرين بجروح .

بعد أقل من أسبوع وبالتحديد بتاريخ 1994/4/13 إنفجر الاستشهادي (عمار عمارنة) في مدينة الخضيرة فقتل 5 و أصاب 130 آخرين من اليهود الصهاينة .

حاول الإسرائيليون بعد هذه العمليات القضاء على يحيى عياش بكل الوسائل وكاد أن يقع بين أيديهم في 1993/8/6 في قرية دير بلوط بالضفة الغربية ، حين إصطدمت السيارة التي كان يستقلها بحاجز عسكري إسرائيلي مما أدى إلى إستشهاد أحد إخوانه الذين كانوا معه و أعتقل آخر بينما نجح المهندس بالفرار .

وفي منطقة حي القصبة في مدينة نابلس قامت القوات الإسرائيلية بقصف أحد المنازل التي كان يتواجد بها يحيى عياش وبعض إخوانه بتاريخ 1994/7/11 ، وبعد مقاومة باسلة وتبادل لاطلاق النار إستمر عدة ساعات إستشهد كل من (علي عاصي وبشار العامودي) حيث فضلا تأمين إنسحاب المهندس الذي أفلح بالفرار من قبضة ملاحقيه من أفراد الأمن الإسرائيلي وقوات جيشه .

لم تمنع المتابعة وتشديدها أو إستشهاد زملاء المهندس من مواصلة تنفيذ العمليات ، ولم تسلم مدينة تل أبيب (أهم المدن الإسرائيلية) من هجماته فقام الاستشهادي (صالح نزال) بتاريخ 1994/10/19 بتفجير حقيبة من إعداد المهندس في شارع (ديزنغوف) أحد أهم شوارع مدينة تل أبيب فقتل 22 يهوديا و أصاب 47 آخرين في عملية إعتبرت من أخطر وأشد الهجمات التي تلقتها إسرائيل ، أصيب رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إسحق رابين بصدمة مروعة إثر سماعة نبأ العملية وشدتها فقطع زيارته التي كان يقوم بها لخارج إسرائيل وعاد إلى تل أبيب ليجتمع مع مجلس وزراءه المصغر بحضور القادة الأمنيين ليقول لهم بالعبرية " إيفو هممهندس " أو أين المهندس ؟؟؟

إثر هذه العملية كثفت قوات الأمن الإسرائيلي عملها في ملاحقة يحيى عياش وقد إستطاعت الإجراءات الأمنية والبحث المشدد الذي قام به رجال الأمن الإسرائيليين شل حركة المهندس ، فقرر التوجه إلى مدينة غزة هربا من المتابعة الإسرائيلية ومواصلة لعمله الجهادي .

إستطاع يحيى عياش الوصول إلى مدينة غزة في أواخر عام 1994،فاستقبله مطاردو وقادة القسام بأذرعهم المفتوحة مرحبين به

بطلا وقائدا ومهندسا ، وبعد أن إستقر به الحال وشعر بالأمان ولو النسبي بدأ المهندس في معاودة نشاطه ، فقام بتاريخ 1994/12/25 بإعداد حقيبة مفخخة إنطلق بها الاستشهادي (أيمن راضي) من مدينة خانيونس ليفجرها قرب مباني الأمة في مدينة القدس ليقتل ضابطا ويصيب 13 ضابطا آخر من ضباط سلاح الطيران الإسرائيلي.

وواصل المهندس عملياته فجهز بتاريخ 1995/4/9 سيارة قادها الشهيد (عماد أبو أمونه) ليفجرها قرب مستوطنة نتساريم في قطاع غزة فيقتل 9 ويصيب 43 آخرين .

وإستمر المهندس في إعداد العبوات الناسفة والحقائب والسيارات المفخخة، وإستطاع بعد هذه العملية الإعداد لتنفيذ 3 عمليات أخريات أدت إلى مقتل أكثر من 10 إسرائيليين و أصابت أكثر من 140 آخرين .

كانت آخر هذه العمليات هي العملية التي فجر فيها الاستشهادي (سفيان جبارين) نفسه في مستوطنة (رمات أشكول) في القدس بتاريخ 1995/8/21 .

كانت السلطة الوطنية الفلسطينية قد قدمت إلى قطاع غزة تطبيقا لاتفاق غزة أريحا أولا منذ أكثر من عام ، وقد أحرجت العمليات الاستشهادية التي أعد لها المهندس السلطة الوطنية الفلسطينية كثيرا الأمر الذي دعاها إلى محاولة الوصول إلى المهندس وعقد إتفاق سري بعدم تنفيذ أي عملية أخرى داخل إسرائيل لاعطاء السلام فرصة مع ضمان عدم المتابعة والملاحقة .

ساد الهدوء المدن الإسرائيلية لبضعة أشهر قبل أن يتمكن جهاز الأمن الإسرائيلي من الوصول إلى المهندس يحيى عياش وتنفيذ عملية

تفـجير لجـهاز الهـاتف النقـال الذي كان يجـري منه بعض الاتصـالات أحيانا .

سقط يحيى عياش وتناثرت بعض أجزاء وجهه صبيحة الخامس من يناير 1996 لينضم إلى قوافل شهداء الحق والعدل الفلسطيني .

ظن جهاز الأمن الإسرائيلي أن يحيى عياش قد إنتهى وإنتهت معه أسطورة الجهاد ، ولكن الأمر كان عكس ذلك، فيحيى عياش الذي ظن الإسرائيليون أنه قد قتل كان قد ولد من جديد قبل مقتله بأسبوعين تقريبا حينما رزق الله (أم البراء) مولودها الثاني (يحيى) وكأنها كانت تشعر أن زوجها (أبو البراء) سيبتعد عنها قريبا وإلى الأبد ففضلت أن يظل اسمه دائما معها فأطلقت على مولودها الجديد اسم يحيى، أما أبو البراء فكان قد خرج من مدرسته مهندسون جدد ، تمكنوا من حمل رسالة الجهاد مرة أخرى وتفانوا في إعداد الحقائب والسيارات المفخخة ليثبتوا للأمن الإسرائيلي أن المهندس يحيى عياش ما زال بينهم يقض مضاجعهم الظالمة ويكسر جبروتهم كمحتلين حتى بعد أن تمكنوا منه .

حزنت غزة كما حزنت الضفة كثيرا على فقدانها يحيى عياش، وقد مثلت جنازة الشهيد التي لم يسبق لها مثيل والتي ضمت أكثر من ربع سكان قطاع غزة (ربع مليون شخص) مقدار هذا الحب لهذا الشهيد، وقد أدانت السلطة الوطنية الفلسطينية عملية الاغتيال وأصدر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات تعليماته لتشكيل لجنة تحقيق مشتركة مع حماس لكشف ملابسات الحادث ، كما قام الرئيس بزيارة بيت عزاء الشهيد وقدم واجب العزاء لحركة حماس في شهيدها البطل .

رؤية تحليلية للجهاز العسكري:

لم يكن إستشهاد يحيى عياش سوى مرحلة جديدة من عمل حماس العسكري الذي إستمر بعد عام 1996 حتى أيلول من عام 2000 حين إنطلقت شرارة إنتفاضة الأقصى .

وقد شهد العمل العسكري في هذه الفترة مراحل مد وجزر إرتبطت بعلاقة حماس بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، ففي الوقت الذي سادت فيه علاقة حميمية و إتفاقات كان الهدوء سيد الموقف ، أما حين كانت الأمور تتصاعد وتتوتر فان العمل العسكري كان يتصاعد معها ، ونستطيع من خلال النظر في جدول عمليات حركة حماس العسكرية منذ إنطلاقها وحتى إنتفاضة الأقصى أن نقسم هذا العمل العسكري إلى عدة مراحل ، تميزت كل مرحلة بميزات خاصة وعكست حالة الحركة ووضع جهازها العسكري ، وهذه المراحل هي (13):

المرحلة الأولى : منذ بداية إنطلاقة الحركة حتى نهاية 1991

1 ـ يلاحظ في هذه المرحلة أن عدد العمليات العسكرية خلال فترة 4 سنوات بلغ (16) عملية عسكرية فقط، وهو عدد قليل كما سيلاحظ فيما بعد .

يرجع السبب هنا في إعتقادنا إلى أن الانتفاضة الفلسطينية قد بدأت كمواجهات جماهيرية مع قوى الاحتلال الصهيوني ، وقد إستخدمت الجماهير في مواجهاتها سلاحاً واحداً فقط هو الحجر وكان من مظاهر المواجهة (المتراس)، كما أننا نعتقد أن حماس في هذه الفترة لم تكن قد سعت لامتلاك السلاح لاستخدامه في حالة توفره ، وقد يدلل على ذلك وجود عمليتي إطلاق نار فقط خلال هذه الفترة .

2 ـ تميزت هذه الفترة بعمليات الطعن حيث بلغت عمليات الطعن (9) عمليات ، بمعدل 56.25 ٪ من النسبة الإجمالية للعمليات .

وقد يرجع السبب هنا إلى أن عدداً كبيراً من هذه العمليات لم تكن عمليات منظمة، إنما كانت تأتي كردود فعل على إقتحام قوات الجيش الإسرائيلي للمنازل الفلسطينية ومهاجمة سكانها ، الأمر الذي كان يدفع هؤلاء السكان للدفاع عن أنفسهم باستخدام الأسلحة البيضاء التي كانت تتوفر لديهم في منازلهم ، مثل السكاكين والسواطير والسيوف .

3 ـ نلاحظ أيضا أن أكثر من نصف العمليات قد تركزت داخل إسرائيل حيث بلغت هذه العمليات 9 عمليات أي بما نسبته 56.25% . وقد يفسر لنا هذا الأمر سهولة التحرك إلى داخل إسرائيل في هذه الفترة مع صعوبته داخل الأراضي الفلسطينية التي يتواجد فيها الاحتلال ، ورغم أن إسرائيل حاولت خلال هذه الفترة فرض سياسة جديدة للدخول إلى إسرائيل من خلال البطاقة الممغنطة ، إلا أن دخول إسرائيل كان ما زال سهلا مقارنة بالفترات اللاحقة .

4 ـ شهدت هذه المرحلة حادثتي خطف هامتين لجنديين إسرائيليين إعتبرتا بمثابة الانطلاقة الفعلية للعمل العسكري لحماس ، وقد تأسس في هذه المرحلة أول جهاز عسكري لحماس وهو المجاهدون الفلسطينيون.

المرحلة الثانية : من بداية 1992 وحتى بداية 1994

تعتبر هذه الفترة من أهم فترات العمل العسكري لحماس حيث أعلن فيها عن تأسيس كتائب القسام كجهاز عسكري للحركة وقد تميزت هذه الفترة بـ :

1. إرتفاع عدد العمليات العسكرية التي نفذتها حماس خلال هذه الفترة ففي عام 1992 بلغت (18) عملية بما يزيد عن عدد العمليات التي جرت خلال الثلاث سنوات السابقة ، كما أن عدد هذه العمليات إرتفع بصورة كبيرة للغاية في عام 1993 ليسجل أعلى نسبة عمليات في تاريخ الحركة حيث بلغت العمليات (52) عملية عسكرية.

وقد يفسر لنا إرتفاع عدد العمليات في السنة الأولى من هذه الفترة هو إنطلاقة الجهاز العسكري لحماس بشكل فعلي وعلني حيث شهد عام 1992 الإعلان عن تأسيس كتائب الشهيد عز الدين القسام كجهاز عسكري لحركة حماس ، أما زيادة نسبة العمليات في عام 1993 فقد يكون سببها الرئيسي هو عملية الإبعاد التي قامت بها إسرائيل مع نهاية عام 1992 لعدد كبير من قادة حماس إلى مرج الزهور في جنوب لبنان ، الأمر الذي زاد من شعبية حماس ومن رغبة عناصرها للالتحاق بالجهاز العسكري لتنفيذ عمليات تؤكد لإسرائيل أن عملية الإبعاد لن تفلح بالقضاء على حركة حماس وأن جنودها وقادتها ما زالوا موجودين .

2 . تميزت هذه الفترة أيضا بارتفاع عدد العمليات التي نفذت من خلال الأسلحة النارية، فعمليات إطلاق النار بلغت (50) عملية بنسبة 71.4 ٪ من إجمالي عمليات هذه الفترة، وقد يفسر هذا الأمر ذلك التحول الكبير الذي إتخذته قيادات الانتفاضة من فصائل مقاومة فلسطينية باعتماد الكفاح المسلح مع بداية 1992 كوسيلة من وسائل مقاومة الاحتلال .

كما يدلل ذلك على نجاح حماس في إمتلاك ترسانة من الأسلحة النارية التي سعت للحصول عليها مع بداية عام 1992 لمواكبة النهج الجديد للانتفاضة .

3 ـ يلاحظ خلال هذه الفترة أن أعلى نسبة للعمليات العسكرية قد جرت في قطاع غزة ، حيث بلغت هذه العمليات (36) عملية عسكرية أي بنسبة 51.5 ٪ ، وقد يرجع هذا الأمر إلى أن جهاز حماس العسكري قد إنطلق فعليا من مدن قطاع غزة .

4 ـ شهدت هذه الفترة تحولا جديدا في العمل العسكري لحماس حيث بدأت كتائب القسام باستخدام أسلوب جديد هو عمليات التفجير داخل إسرائيل ، الأمر الذي رفع عدد الضحايا ليبلغ (77) قتيلاً و (172) جريحاً، الأمر الذي إعتبر رقما قياسيا في عدد القتلى والجرحى في ذلك الوقت ، حيث لم تشهد إسرائيل سقوط مثل هذا العدد من القتلى منذ نهاية عملية إجتياح لبنان عام 1982 وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت .

المرحلة الثالثة : من بداية عام 1994 وحتى نهاية عام 1997

1 ـ يلاحظ في هذه الفترة تراجع العمليات العسكرية لحماس منذ بداية عام 1994 حيث بلغت العمليات (15) عملية، أما عام 1995 فقد بلغت العمليات (7) عمليات فقط ، وفي عام 1996 فقد بلغت (8) عمليات، أما عام 1997 فقد بلغت (4) عمليات.

وقد يفسر لنا قدوم السلطة الوطنية وإنسحاب إسرائيل من عدد كبير من المناطق التي إحتلت عام 1967 هذا الأمر ، فقد بدأت السلطة منذ قدومها متابعة الفصائل الفلسطينية ومنها حماس من أجل منعها

من تنفيذ عمليات ضد إسرائيل تنفيذا لاستحقاقات أوسلو الأمنية التي ترتبت على السلطة الوطنية الفلسطينية.

2 . شهدت هذه الفترة زيادة كبيرة في عدد القتلى الإسرائيليين مقارنة بعدد العمليات حيث زاد عدد القتلى عن (189) قتيلاً والجرحى عن (984) جريحا، ذلك من خلال عمليات التفجير التي تصاعدت في إسرائيل والتي تعتبر أهم معالم هذه الفترة حيث بلغت عمليات التفجير (21) عملية من مجموع العمليات، وقد يفسر ذلك هو قدرة الجهاز العسكري لحماس على التحرك داخل أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية بشكل مريح لتنسيق عملياته داخل إسرائيل، رغم الضغوطات التي كانت تتم من قبل السلطة، وقد تكون هذه الضغوطات هي السبب الرئيسي لنقل حماس عملياتها من أراضي السلطة، لعدم إحراجها سياسيا أمام إسرائيل، إلى داخل الأراضي الإسرائيلية التي تعتبرها حماس أراضي فلسطينية محتلة .

المرحلة الرابعة : منذ بداية عام 1998 وحتى أواخر عام 2000

نلاحظ هنا عدم تنفيذ أي عملية خلال هذه الفترة التي تجاوزت عامين ونصف ، وقد يرجع ذلك إلى التناغم والتفاهم والاتفاقيات السرية بين حماس والسلطة ، من أجل إعطاء العملية السلمية فرصة للنجاح .

المرحلة الخامسة : إنتفاضة الأقصى

تبدأ هذه الفترة مع بداية إنتفاضة الأقصى في أيلول عام 2000 ، وقد تميزت هذه العمليات بمواجهة الإسرائيليين في عقر دارهم

وتكبيدهم خسائر بشرية ومالية ونفسية كبيرة جدا ويلا حظ أن هذه الفترة تميزت بـ :

1 . تفوق أمني لحركة حماس على أجهزة الأمن الإسرائيلية حيث إستطاعت كتائب القسام تنفيذ 7 عمليات تفجير داخل إسرائيل خلال عام 2001 .

2. إنتقال ثقل العمل العسكري من قطاع غزة إلى الضفة الغربية ، وقد يفسر ذلك صعوبة التحرك من قطاع غزة إلى داخل إسرائيل حيث الوضع الجغرافي الصعب الذي يقع ضمنه قطاع غزة ، على خلاف الضفة الغربية التي تسمح لها جغرافيتها المفتوحة مع إسرائيل بالتحرك بحرية كبيرة داخل إسرائيل .

3 . شهدت هذه الفترة تنسيقا كبيرا أو تناغما في العمل العسكري بين حماس وبقية الفصائل الفلسطينية المقاومة للاحتلال ، خاصة حركة فتح بعكس الفترات السابقة التي كانت تسودها التوترات بين الطرفين وقد تم تنفيذ بعض العمليات المشتركة بين الطرفين، كما أعلنت وسائل الإعلام العالمية ووسائل الإعلام الخاصة بالحركتين .

الهوامش

1. مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس)، أجريت بتاريخ 2002/4/10 .
2. المصدر السابق .
3. المصدر السابق .
4. مركز أطلس للتوثيق والإعلام ، ملف حركة حماس ، بيانات الحركة .
5. حركة المقاومة الإسلامية حماس ، مذكرات عوض سلمي ، وثيقة غير منشورة .
6. المصدر السابق .
7. لقاء للكاتب مع رجل القوات الخاصة الإسرائيلية ، معتقل أنصار 2، يونيو 1993 .
8. مذكرات عوض سلمي ، مصدر سابق .
9. حركة المقاومة الإسلامية حماس ، عمالقة القسام ، كراس خاص ، غير منشور .
10. معاينة الكاتب لمكان اغتيال الشهيد عماد عقل ، نوفمبر 1993 .
11. المصدر السابق .
12. مذكرات عوض سلمي ، مصدر سابق .
13. مركز أطلس للتوثيق والإعلام ، ملف حركة حماس ، العمل العسكري .

حماس والإعلام

الجهاز الإعلامي

لعب المسجد الدور الأساس في إعلام الإخوان المسلمين، إضافة إلى مؤسسات الحركة مثل المجمع الإسلامي، والجمعية الإسلامية، والجامعة الإسلامية، وقد إقتصر النشاط الإعلامي للإخوان المسلمين على الإعلام الداخلي الخاص بالحركة، ولم يسجل لهم أي اهتمام بالمجال الإعلامي بشكل كبير إلا بعد تأسيس حركة حماس، حيث لوحظ أن قادة حماس قد إهتموا بالإعلام منذ لحظة تأسيسهم الأولى للحركة، حيث إنهم قد عانوا كثيراً من النقص في توفر أدوات الإعلام لديهم طيلة فترة عملهم التي سبقت الانتفاضة، ويذكر الدكتور زياد أبو عمر : "يشكو قادة الإخوان مما يعتقدون بأنه عملية تعتيم إعلامي متعمدة تمارس بحقهم من قبل الصحف التي يسيطر عليها الاتجاه الوطني. لقد سدت كل منافذ الإعلام أمامنا وخاصة في صحف ومجلات الأرض المحتلة في الوقت الذي فتحت على مصراعيها للشيوعيين لينشروا أكاذيبهم وافتراءاتهم على الناس ويحرضوا على ضرب الإسلام والمسلمين . ولم يكتف الشيوعيون بذلك بل نشروا سفاهاتهم في كل مكان حتى على جدران المنازل، يحدث هذا كله في مؤامرة مرسومة لطمس الحقائق وتضليل الأمة وتشويه سمعة الشرفاء

المخلصين الذين يحال بينهم وبين الرد على الأكاذيب ولو بإعلان مدفوع الثمن".(1)

وقد صرح بذلك الشيخ أحمد ياسين: " لم يكن لدينا وسائل إعلام ولا جرائد، كانت جريدة الفجر لهم، ولم يكن بمقدوري سوى إصدار بيانات أعبر بها عن موقفي". (2)

ومن خلال تتبع مراحل العمل الإعلامي لحركة حماس نستطيع القول أن حركة حماس قد إنتهجت نهجا إعلاميا جديدا، إختلف عن الفترة التي سبقت تأسيس الحركة. وقد إعتمد هذا المنهاج على ثلاثة محاور.

المحور الأول : الإعلام الداخلي

ونقصد هنا بالإعلام الداخلي هو الإعلام الخاص بحركة حماس وعناصرها والذي إرتكز على توعية عناصر حماس في شتى المجالات التي إرتكز عليها عمل الحركة وهي :

أولا: المجال الدعوي :

فقد إعتمدت حركة حماس في نشر دعوتها ومبادئها وأفكارها لعناصرها من خلال الكتيبات والنشرات الداخلية التي كانت تصدرها الحركة وتوزعها على عناصرها بشكل سري أحيانا و أحيانا أخرى من خلال الجلسات التنظيمية التي كانت تتم إما في المسجد، أو في مناطق أخرى مثل البيوت أو الأماكن العامة، حيث كان مسؤول الحلقة، أو المجموعة يقوم بإيصال الأفكار المطلوبة للعناصر من خلال اللقاء المباشر معهم .

ثانيا: المجال التنظيمي :

اعتمدت حماس لكي تنقل التعليمات التنظيمية لعناصرها على الوسائل الإعلامية البسيطة والأولية التي كانت تستخدم قبل قيام الحركة مثل التعميمات الداخلية أو النشرات الخاصة، أو التعميمات الشفوية، التي كانت تبلغ مباشرة للعناصر بواسطة مسؤوليهم، أو بواسطة تعليمات مكتوبة، وقد لعب المسجد هنا أيضا دورا ومحورا هاما لنقل هذه التعليمات حيث كانت المساجد تعتبر أفضل النقاط لتسليم أو إستلام مثل هذه النشرات سواء عن طريق (النقاط الميتة) داخل المسجد أو من خلال الاتصال المباشر بين العناصر.

ثالثا : المجال الأمني:

تركز الإعلام في المجال الأمني على النشرات التوجيهية والكراسات الأمنية التي تحمل بعض المفاهيم والإرشادات الأمنية التي كانت تهم عناصر الحركة، مثل كيفية التعامل في التحقيق أو كيفية التعامل عبر (النقاط الميتة) أو طرق ووسائل الإسقاط التي تستخدمها أجهزة الأمن الإسرائيلية لإسقاط الشباب الفلسطيني في براثن العمالة والتعاون معها ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وقد كانت هذه النشرات توزع على عناصر الحركة بشكل سري من خلال الاتصال المباشر بين المسؤولين والعناصر أو من خلال النقاط الميتة، و إضافة إلى الطرق سالفة الذكر في كيفية إيصال هذه التعليمات الأمنية لعناصر الحركة فقد لعبت السجون والمعتقلات دورا هاما وبارزا في ذلك من خلال الحلقات والجلسات الأمنية التي كانت تتم في السجون أو من خلال الدراسات والنشرات والكتيبات التي كانت تتوفر بشكل كبير .

المحور الثاني : الإعلام الخارجي

ونقصد هنا بالإعلام الخارجي الإعلام المتعلق بالجمهور المستهدف من خارج الحركة، من أمثال المؤيدين والمناصرين والمتعاطفين مع الحركة وبقية الجماهير الفلسطينية والعربية والعالمية، ويمكننا تقسيم هذا المحور إلى نوعين من الجمهور المستهدف: الأول هو الجمهور الفلسطيني الداخلي (أي الذي يعيش داخل الأراضي الفلسطينية)، والثاني هو الجمهور الذي يعيش خارج الأراضي الفلسطينية (وهو الجمهور العربي والدولي) .

أولا : الإعلام الخاص بالجمهور الداخلي :

حيث إن حماس حركة مقاومة وحيث الانتفاضة الجماهيرية الفلسطينية هي مشاركة شعبية واسعة النطاق ضد الاحتلال بكافة هيئاته ومؤسساته، كان لا بد من الفصائل والقوى الفلسطينية التي تعنى بمواجهة الاحتلال ومقاومته أن تخاطب الجماهير بشكل مباشر من أجل تنسيق الأمور الميدانية والكفاحية ضد الاحتلال، ولأنّ حماس هي إحدى هذه القوى المتواجدة على الساحة الفلسطينية، ولانها تشارك في المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي كان لا بد لحماس أن تتوجه للجماهير الفلسطينية بخطابها الإعلامي الذي يتضمن عبره الفعاليات التي تقرها الحركة وتدعو جماهيرها ومناصريها وجماهير الشعب الفلسطيني لتنفيذها، من فعاليات مواجهة وإضرابات واعتصامات وتصدٍ للمستوطنين، وقوات الاحتلال وكل الفعاليات التي كانت تمارس في الانتفاضة الفلسطينية، كما كان يتضمن الخطاب الإعلامي لحماس هنا إعلام الجمهور الفلسطيني عن الفعاليات التي تقوم بها أذرع الحركة مثل عمليات الردع، والقمع لبعض المتعاونين مع

قوات الاحتلال، أو العمليات العسكرية التي كانت تنفذ من قبل أجهزة الحركة ضد قوات الاحتلال والمستوطنين.

وقد إتخذت وسائل الإعلام هنا عدة اشكال منها :

1- **البيان** : كان البيان الشهري الذي تصدره حركة حماس نموذجا هاما للوسيلة الإعلامية التي تعرب فيها الحركة عن نشاطاتها وفعالياتها ضد الاحتلال والتي تطالب فيه الجماهير المشاركة في هذه الفعاليات، كما كان البيان وسيلة أخرى للإعلان عن الفعاليات الخاصة التي تقوم بها أجهزة الحركة المقاومة من عمليات ردع وقمع وعمليات عسكرية ضد العمـ ا وقوات الاحتلال .

2- **مجلة الحائط** : كانت مجلات الحائط التي كانت تنتشر في كافة المساجد نموذجا آخر للوسيلة الإعلامية التي إستطاعت حماس عبرها أن تصل برسالتها الإعلامية على إختلاف أهدافها إلى أكبر قدر من قطاعات الشعب الفلسطيني، وقد كانت مجلات الحائط أشبه بالصحيفة الشاملة حيث كانت تحتوي على عدد كبير من المواضيع منها السياسية والإرشادية التعليمية والأمنية والإخبارية والتعبوية، وقد إستطاعت هذه المجلات أن تستقطب جمهورا كبيرا من المهتمين والمناصرين والمؤيدين لحركة حماس .

3- **الكتابة على الجدران** :كانت الكتابة على الجدران إحدى أهم معالم الانتفاضة الفلسطينية المباركة، كما كانت إحدى أهم الوسائل الإعلامية التي كانت تستخدمها الفصائل الفلسطينية ومنها حركة حماس من أجل إيصال رسالتها الإعلامية للجمهور

الفلسطيني على إختلاف مضمون هذه الرسائل، وقد كانت الكتابة على الجدران تمثل حالة نضالية من الدرجة الأولى جعلت قوات الاحتلال الصهيوني تقوم أحيانا بحملات مداهمة وملاحقة للمنازل وللشباب الفلسطيني من أجل مسح الكتابات على الجدران .

4 - **الصحف والمجلات:** لم تكن الصحف تلعب دورا بارزا في أهمية الرسالة الإعلامية التي نتحدث عنها في هذا المجال حيث إن حماس لم تكن تمتلك أيّاً من هذه الصحف التي كانت تصدر في القدس وتوزع في كافة المناطق الفلسطينية، ولم يكن لحماس منفذ في هذه الصحف سوى صحيفة واحدة هي صحيفة (صوت الحق والحرية)، التي كانت تهتم بشكل مباشر بالإعلام الإسلامي، وخاصة إعلام حركة حماس. وقد كانت تصدر في مناطق الـ (48) الفلسطينية المحتلة وتوزع في الضفة الغربية وغزة إضافة إلى مناطق إصدارها .

كما أن صحيفة النهار المقدسية كانت تهتم اهتماما واضحا بنشاطات وفعاليات حركة حماس إلا أننا لا نستطيع أن نصنفها بأنها جريدة حركية حمساوية أو جريدة تابعة لحماس حيث إن الهامش المسموح للصحف العربية التي كانت تحصل على ترخيصها من مدينة القدس على أن توزع في شتى المناطق الفلسطينية كان هامشا محدودا للتعبير عن القضايا الوطنية بشكلها المطلوب ذلك لأنّ مقص الرقيب الإسرائيلي حاضر وجاهز دائماً لأي خروج عن المألوف الذي يريده الإسرائيليون أو يسمحون به حيث يعتبرون الخروج عنه مخالفة تندرج تحت بند التحريض أو المقاومة، الأمر الذي كان من غير المسموح لهذه

الصحف ممارسته أو الإقدام عليه عبر أخبارها أو مقالاتها أو تقاريرها .

أما المجلة الوحيدة التي نستطيع أن نطلق عليها لقب المجلة المركزية لحماس فهي مجلة (فلسطين المسلمة) التي كانت تصدر في لندن، وكان يوزع منها عدد كبير من النسخ في الأراضي الفلسطينية سواء النسخ الأصلية التي كانت تصل من خلال الموزعين، أو من خلال تصوير عدد كبير من مواضيعها وتوزيعها أو نشرها من خلال مجلات الحائط في المساجد أو من خلال عناصر حماس أنفسهم ، وقد كانت هذه المجلة تعنى بالمواضيع الإسلامية وخاصة المواضيع التي تهم حركة حماس .

ثانيا : الإعلام الخاص بالجمهور الخارجي

ذكرنا في بداية الحديث عن الإعلام لدى حركة حماس أنها قد إهتمت إهتماما كبيرا بالإعلام وترجع ذروة ذلك إلى رغبتها في إتساع نطاقها كحركة مقاومة من المحلية إلى العالمية أو الدولية كما تطرح في ميثاقها :

"بحكم إنتشار المسلمين الذين ينهجون منهج حركة المقاومة الإسلامية في كل بقاع العالم، ويعملون على مناصرتها، وتبني مواقفها، وتعزيز جهادها، فهي حركة عالمية، وهي مؤهلة لذلك لوضوح فكرتها، ونبل غايتها، وسمو أهدافها". (3)

ومن أجل الوصول بأفكار حماس وفعالياتها ونشاطاتها إلى هذا الجمهور العالمي سواء العربي منه أو الغربي سعت حماس بكل جهدها إلى توسيع دائرة الإعلام لديها لكي تصل إلى أكبر قدر من هذا الجمهور العالمي المستهدف ومن أجل ذلك قامت بـ :

1 - فتح مكاتب إعلامية :

قامت حركة حماس من خلال عناصرها الفاعلين والمؤهلين للعمل الإعلامي بفتح مكاتب إعلامية لها في كافة مناطق قطاع غزة والضفة الغربية منذ البدايات الأولى للانتفاضة، ورغم أن هذه المكاتب كانت مكاتب شخصية يمتلكها أفراد ولم تكن تحمل صفة أو اسم حماس لأن هذا كان كفيلا بإغلاقها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، إلا أن انتماء هؤلاء الأشخاص لحركة حماس وإنسجامهم مع خطها الإعلامي الذي كانت تهدف إلى تحقيق أهدافها الإعلامية المرجوة من خلاله كان واضحا. وقد عملت هذه المكاتب من خلال العلاقات الشخصية والجهود الإعلامية لاصحابها أو من خلال علاقات حركة وقياديي حماس في الداخل أو مناصريهم ومؤيديهم في الخارج إلى أن يتسع نطاق عمل هذه المكاتب من أجل الحصول على وكالات لمراسلة عدد كبير من الصحف العربية والأجنبية إضافة إلى وكالات الأنباء العالمية .

وقد نشطت المكاتب الإعلامية لحركة حماس في عملها وإستطاعت في مرحلة من المراحل أن تصل إلى الذروة في السيطرة الإعلامية على معظم الصحف الصادرة في القدس ومناطق الـ (48) الفلسطينية وقد كان لمعظم الصحف مراسلون من أصحاب المكاتب الإعلامية الحمساوية باستثناء صحيفة الفجر التي كانت كلية تتبع لمنظمة التحرير في أدائها الإعلامي .

ورغم هذا التوسع في إطار الصحف المحلية إلا أننا يجب أن نشير إلى أن هذه الصحف في مجملها لم تستطع أن تصل إلى درجة الصحف التنظيمية أو الصحف التابعة بوضوح إلى أي من هذه

الفصائل والحركات الفلسطينية حيث كان مقص الرقيب الإسرائيلي يحضر دائما -كما أسلفنا سابقا- من أجل منع هذه الصحف من أن تصل إلى مرحلة التنظير للفصائل الفلسطينية، أو التحريض على الإسرائيليين .

وقد إستطاع بعض عناصر حماس الذين نشطوا في المجال الإعلامي، ومن خلال سعيهم لتطوير أداء الحركة الإعلامي من السيطرة على عدد من مكاتب وكالات الأنباء العالمية مما كان له دور بارز في إتساع قدرة حماس على نشر فعالياتها ونشاطاتها على الصعيد الإعلامي العالمي .

2- فتح مكتب إعلامي و إبراز قيادات إعلامية :

كان واضحا أن حركة حماس قد إتخذت قرارا إستراتيجيا بتفعيل دورها الإعلامي، لذلك وجدناها تستفيد من التطور التكنولوجي الحاصل في مجال الإعلام خاصة بعد قدوم السلطة الفلسطينية. فقد قامت حماس بفتح مكاتب إعلامية لها في مناطق السلطة الفلسطينية، باشرت من خلالها عملها الإعلامي التنظيمي حيث أبرزت بعضاً من شخصياتها القيادية كناطقين إعلاميين، أو متحدثين باسم الحركة، أمثال الدكتور محمود الزهار والدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشيخ إسماعيل أبو شنب من غزة، والشيخ حسن يوسف من الضفة الغربية .

3- الاهتمام بالتطور التكنولوجي الحاصل في مجالات الإعلام :

إهتمت حماس بالتطور التكنولوجي الحاصل على صعيد الإنترنت، فأقامت عدداً من المواقع الخاصة بالحركة، ورغم أن بعض هذه المواقع لا يعرف نفسه بأنه موقع لحماس إلا أن اهتمامه البالغ بفعاليات حماس على شتى الصعد دون غيرها يجعله منبرا واضحا وخاصا

لحماس، كما قامت حماس بإنشاء مواقع خاصة بالحركة مثل موقع القسام على الإنترنت .

4. الاستفادة من اي وسيلة إعلامية اخرى متاحة :

رغم أن حماس لم تحصل على أي ترخيص من قبل السلطة الفلسطينية لاقامة صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون خاص بها كحركة إلا أنها استفادت بشكل كبير من صحيفة (الرسالة) التي صدرت بترخيص خاص لحزب الخلاص الإسلامي، حيث إن هذه الصحيفة قد اهتمت بشكل كبير بالنشاطات الإسلامية الخاصة بحزب الخلاص وبحركة حماس على السواء. ولأنها صنفت على أنها الصحيفة الناطقة باسم حركة حماس من قبل عدة جهات أمنية ومسؤولة في السلطة الفلسطينية، فقد تم إغلاقها أكثر من مرة على خلفيات تصاعد الأمور وتوترها بين السلطة وحماس .

وكما إستفادت حماس من مجلة (فلسطين المسلمة) في إعلامها الداخلي فقد استفادت منها أيضا في إعلامها الخارجي، حيث إن هذه المجلة توزع في عدد كبير من الدول العربية والإسلامية .

وقد ساهم إنتشار الفضائيات العربية بشكل واسع في العالم إثر التطور التكنولوجي الإعلامي في إتساع الدائرة الإعلامية لحركة حماس حيث كانت حركة حماس هدفا إعلاميا لهذه الفضائيات التي أخذت تهتم بحركة حماس على صعيد الصوت والصورة والخبر والتحليل، مما أدى إلى اتساع نطاق التأييد لحركة حماس في شتى دول العالم، الأمر الذي حقق لحماس بعدها العالمي الذي أقرته في ميثاقها.

الهوامش

1 . أبو عمر، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، عكا، دار الأسوار، 1989، ص 74. 75 .

2 . مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس)، أجريت بتاريخ 2002/4/10.

3 . حركة المقاومة الإسلامية حماس، ميثاق حركة المقاومة الإسلامية، وثيقة غير منشورة صادرة عن الحركة بتاريخ 1/ محرم/ 1409هجرية، 1988/8/18م، ص 5 .

مؤسسات حركة حماس

إعتمد التيار الإسلامي للإخوان في فلسطين من خلال قيادته التي أرادت أن تستمر في عملها السياسي والتنظيمي بعد نكسة عام 1967 على فكرة إنشاء المؤسسات، لكي تستطيع الانطلاق من هذه المؤسسات لتحقيق أهدافها، فقد أدرك هؤلاء القادة أن المؤسسات هي المحرك الأساسي لتحقيق أهدافهم التي يسعون إليها، لذلك وجدناهم يقدمون على إنشاء المؤسسات الإسلامية أو الجمعيات الإسلامية، كجمعيات (عثمانية) يتم الحصول على ترخيص رسمي لها من السلطات الإسرائيلية في ذلك الوقت، لمزاولة نشاطات إجتماعية من خلالها .

مثل المجمع الإسلامي والجمعية الإسلامية أول المنابر التي إنطلق منها صوت هؤلاء الذين مثلوا في ذلك الوقت قادة العمل الإسلامي في فلسطين بعد عام 1967 وبالتحديد مع بداية السبعينيات .

بدأ العمل الإسلامي بسيطا وبطيئا وإعتمد في بدايته على نشر الدعوة ومحاولة تأطير الشباب من أجل الوصول إلى حالة تنظيمية ترتقي بالعمل الإسلامي، ولان نشر الدعوة الإسلامية ومبادئها يرتبط

إرتباطا مباشرا بالمسجد فقد بدأ قادة العمل الإسلامي في التركيز على المساجد كروافد ومراكز هامة للتأطير ولنشر الدعوة، وبدأ النشاط الإسلامي في الازدياد والاتساع مع مرور الوقت منطلقا من المجمع الإسلامي إلى أن تم إنشاء الجامعة الإسلامية .

أولا : الجامعة الإسلامية

تعتبر الجامعة الإسلامية أهم مؤسسة للمجمع الإسلامي وحركة حماس ، و منذ اللحظة الأولى التي أنشئت، وبدأ فيها أول فصل دراسي في مدينة غزة عام 1979بدأ النشاط الإسلامي في الازدياد ، أدرك قادة ومسؤولي المجمع الإسلامي أن وضع قدم لهم في هذه الجامعة سيمكنهم من توسيع نشاطهم وزيادة قوتهم، لان الجامعة الإسلامية هي أول الجامعات الفلسطينية التي أنشئت في قطاع غزة ، الذي لم يكن فيه حينها سوى معهد الأزهر الديني، الذي كان يرأسه الشيخ محمد عواد، وقد كانت فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية قد إنطلقت من هذا المعهد .

نبعت فكرة إنشاء جامعة في غزة من خلال رغبة الشيخ محمد عواد وطموحه بتوسيع دائرة معهد الأزهر الديني في غزة، هذا المعهد الذي كان يمنح شهادة أزهرية لغاية الثانوية العامة، وقد رغب الشيخ عواد في بداية الأمر إضافة إطار جامعي يضمن منح دبلوم عال لمدة سنتين على الأقل، وقد أفلح الشيخ محمد عواد مع بعض وجهاء قطاع غزة بإقامة الجامعة الإسلامية في غزة، وقد ضمّ مجلس أمناء الجامعة شخصيات وطنية تقليدية ووجهاء، أمثال (أحمد حسن الشوا، يوسف الهندي، راغب مرتجى، سليمان الاسطل، سيد بكر).

إفتتحت في هذه الجامعة الوليدة كليتان هما الشريعة و أصول الدين، لذلك كان بالغ الاهتمام في الإقبال على الجامعة من قبل انصار المجمع الإسلامي، الذين حاولوا تدعيم هذه الجامعة بالطلبة منذ بدايتها بهدف تخريج كوادر دينية جامعية تكون مؤهلة لاستلام مهمة الدعوة، ومن ثم السيطرة على كافة مساجد القطاع وبالتالي زيادة نفوذ المجمع وإتساع قاعدته الجماهيرية .

رأس الجامعة الإسلامية في بدايتها الدكتور عبد الحق، ثم بعد ذلك وفي أواخر عام 1980 تم ترشيح الدكتور رياض الآغا لرئاسة الجامعة الإسلامية، بناء على توصيات من قبل الشيخ (خيري الآغا) احد أقطاب الإخوان المسلمين على المستوى العالمي، وقد رشح الآغا قريبه الدكتور رياض الآغا ، الذي كان قد حصل على إجازة الدكتوراه في إدارة المؤسسات الأكاديمية من الولايات المتحدة الأمريكية . ورغم أن الدكتور رياض الآغا لم يكن أحد قيادات أو عناصر أو حتى مناصري الإخوان المسلمين أو مؤيديهم، فقد تم ترشيحه لهذا المنصب بناء على شهادته الأكاديمية ولصلة قرابته بالشيخ خيري الآغا. (1)

كان للمجمع الإسلامي نفوذ واسع في الجامعة الإسلامية، وقد عملت إدارته على تعيين أعداد كبيرة من مؤيديها في مرافق الجامعة، من أجل ضمان السيطرة على هذا المنبر الهام للغاية، وقد أفلحت إدارة المجمع بالسيطرة على إدارة الجامعة الإسلامية،خاصة الشيخ أحمد ياسين الذي كان عمليا هو الذي أدار الجامعة .

سمح الدكتور رياض الآغا رئيس الجامعة الجديد لنفسه بالصول والجول في رئاسة الجامعة من الناحية الإدارية حيث كان يعمل وفق

تخصصه، هذا الأمر لم يلق إعجاب أو إستحسان قادة المجمع الذين رأوا فيه خطرا عليهم وعلى نفوذهم في الجامعة، و شعروا أن إستلام الدكتور رياض الآغا كان خطأ كبيرا لانه كان من المفروض جلب رئيس للجامعة يعمل وفق رأي الإخوان وليس على نقيضها .

دبت الخلافات بين الدكتور رياض الآغا وبين قيادة المجمع ممثلة بالشيخ أحمد ياسين الذي كانت له اليد الطولى في الجامعة، وقد سعى الشيخ أحمد ياسين لابعاد رياض الآغا عن رئاسة الجامعة .

الدكتور رياض الآغا الذي أدرك موقف قادة الإخوان تجاهه، حاول الاستفادة من بعض الشخصيات التي كانت تمثل تيارا مغايرا للمجمع في الجامعة، هذه الشخصيات كانت قد عادت من مصر وهي تحمل فكرة الجهاد بدلا من الدعوة ، أمثال عبد العزيز عودة ورمضان شلح وفتحي الشقاقي، الذين إنشقوا عن الإخوان بعد ذلك وشكلوا نواة لتنظيم سيعرف فيما بعد بحركة الجهاد الإسلامي .

التقى الدكتور رياض الآغا مع هؤلاء لضمهم إلى جانبه في الجامعة، قادة المجمع اعتبروا هذا اللقاء أمرا خطيرا وجريمة لا تغتفر من قبل الدكتور رياض الآغا .(2)

بدأت الجامعة الإسلامية في الاتساع وبدأت كلياتها بالازدياد لتشمل عدداً من الكليات التي تخرج عن أطر الشريعة و أصول الدين، مثل التجارة و الآداب، لذلك فقد بدأ عدد من الطلاب من غير مؤيدي أو مناصري المجمع الالتحاق بالجامعة بهدف إكمال دراستهم الجامعية.

منظمة التحرير أدركت خطورة تحكم الإخوان في الجامعة، خاصة وأنها كانت على إطلاع على ما يحدث في الجامعة بين الدكتور رياض

الآغا وقادة المجمع. من أجل ذلك قررت قيادة المنظمة تشكيل مجلس امناء جديد يضم عدداً من الشخصيات المعروفة بانتمائها للمنظمة، وكان على راس هذه الأسماء الدكتور حيدر عبد الشافي، كما اقترحت المنظمة تغيير اسم الجامعة من الجامعة الإسلامية إلى جامعة غزة، الشيخ عواد الذي بلغه الأمر قرر تقديم استقالته، وقد حاول ذلك في السادس من يناير 1980، ولكن حشود الطلبة، ومناصري المجمع الذين إجتمعوا في الجامعة وطلبوا منه إلغاء هذه الاستقالة، ثم خرجوا في مسيرتهم المشهورة التي أحرق خلالها الهلال الأحمر وبعض الأماكن الأخرى، ويعتقد بعض المقربين من الشيخ أحمد ياسين، بأن الشيخ هو الذي أوعز للشيخ محمد عواد بالإعلان عن تقديم إستقالته، من أجل إيجاد ذريعة لتجمع طلبة الجامعة ومناصري المجمع لكي يعربوا عن رفضهم لقرار المنظمة، وبالتالي تمرير إقتراحات جديدة حول الجامعة سيكون على رأسها تغيير الدكتور رياض الآغا. (3)

إستمر هذا الوضع بين شد ورخي، بين قيادة المجمع ورئاسة الجامعة وبين التيارات التي وجدت في الجامعة حتى أواخر 1982 حين حققت قيادة المجمع غايتها، عندما تم إستجلاب الدكتور محمد صقر من الأردن وهو فلسطيني من أقطاب الإخوان المسلمين في الأردن بدلا من الدكتور رياض الآغا .

رغم إحكام هذه السيطرة بعد التخلص من الدكتور رياض الآغا، إلا أن أمران آخران في الجامعة أقلقا قادة المجمع، مثل أحدهما حركة التمرد أو الانشقاق الجديدة التي أقدم عليها عدد من عناصر الإخوان المسلمين السابقين والذين إختلفوا مع المجمع حول قضية الجهاد، هؤلاء الذين مثلوا تيارا قويا في الجامعة في بادئ الأمر أقلق قيادة المجمع .

أما الأمر الآخر فكان بروز الحركة الوطنية في الجامعة، التابعة لمنظمة التحرير على إختلاف فصائلها (فتح، شعبية، ديموقراطية، حزب شيوعي ....الخ)، وقد كان مصدر القلق الحقيقي وشعور قيادة المجمع بالخوف على نفوذها في الجامعة هو إلتقاء التيارين السابقين (الإسلامي الثوري) و (الوطني الثوري) على قاعدة العمل الوطني ومواجهة الاحتلال .

لم تكن قيادة المجمع مستعدة لمواجهة هذين التيارين مواجهة ديموقراطية كما حدث في السنتين الماضيتين من عمر الجامعة، حيث كانت وجهات النظر رغم إختلافها يتم التعبير عنها بطرق ديموقراطية، من خلال المهرجانات الانتخابية والخطابات والبيانات والملصقات ومختلف النشاطات الطلابية، لذا فان سياسة المجمع ستختلف في التعامل لاحقا مع أية جهة ستعارض نهج المجمع أو ستشكل خطرا عليه.

بدأت الجامعة تؤتي أكلها حيث إزداد عدد الشباب الذين إلتحقوا بها للدراسة، والذين بدأوا في الانخراط إما تحت راية العمل الإسلامي أو تحت راية منظمة التحرير على إختلاف فصائلها، ومع مرور الوقت زاد نفوذ أنصار المجمع أو الكتلة الإسلامية في الجامعة كما أطلق عليهم، كما كان لمنظمة التحرير وأنصارها أيضا نفوذ قوي، سعى قادته إلى زيادته في مقابل تيار الكتلة الإسلامية، هذا الأمر أدى فيما بعد إلى حدوث توترات، زادت حدتها في بعض الاحيان ووصلت إلى حد المواجهة والاقتتال بين الطرفين .

في 4 يونيو من عام 1983 وقعت صدامات بين أنصار المجمع الإسلامي و أنصار المنظمة، وتعتبر هذه الصدامات أهم حلقة في

سلسة المواجهة بين الطرفين، حيث أصيب من جرائها أكثر من مائتي (200) طالب من أنصار منظمة التحرير بجروح، عندما هاجمهم أنصار المجمع بالجنازير و العصي والأسلحة البيضاء الحادة.

إستغل قادة المجمع مقتل الدكتور إسماعيل الخطيب عام 1994 -الذي كان يعمل عميدا لشؤون الطلبة والتسجيل في الجامعة-في تصعيد المواجهات والصدامات مع الفصائل والقوى الأخرى، حيث إتهموا تنظيم فتح بقتل الدكتور الخطيب، ولم يقتصر إستخدام الأسلحة البيضاء والعصي في مواجهات عناصر المجمع لمناصري الفصائل الوطنية، بل تعداها ليشمل التيار الإسلامي الجهادي الآخر الموجود في الجامعة .

في الخامس من مارس عام 1985 قامت أعداد كبيرة من أنصار الكتلة الإسلامية بالاعتداء على عدد من مؤيدي و أنصار منظمة التحرير في الجامعة، وخاصة مؤيدي حركة فتح الذين كان يطلق عليهم (مؤيدو حركة الشبيبة)، وقد أصيب عدد كبير منهم بإصابات بالغة .

كانت هذه الأحداث بمثابة إعلان تفرد لانصار المجمع الإسلامي بالجامعة الإسلامية، حيث لم يسجل بعد هذا التاريخ وحتى هذا اليوم أي إنتصار لانصار منظمة التحرير، في أي انتخابات جرت في الجامعة لمجلس الطلاب، وبقي الانتصار بنسبة أعلى لأنصار حماس الحاليين أو الكتلة الإسلامية قبل ذلك .

ونستطيع القول أنه منذ أواخر 1982 وحتى عام 1987 كان التوتر هو الحالة السائدة بين أنصار المجمع الإسلامي وأنصار منظمة

التحرير خاصة حركة فتح، حيث إن حركة فتح هي التي كانت تتصدى لانصار المجمع في الجامعة الإسلامية، بل في كافة المؤسسات الأخرى التي كان يلتقي فيها أنصار المجمع وفصائل المنظمة .

وقد تناول الدكتور زياد أبو عمر هذه النقطة بقوله :"تجدر الإشارة إلى أن حركة فتح ممثلة في حركة الشبيبة الطلابية، هي التي تصدت عمليا للكتل الإسلامية التابعة لجماعة الإخوان المسلمين في مختلف المواقع الطلابية وفي معظم المواجهات التي وقعت بين الاتجاهين الوطني والإسلامي" .(4)

مع بداية الانتفاضة أغلقت الجامعة الإسلامية من قبل قوات الاحتلال، ومنعت الدراسة فيها، وقد تحولت الدراسة إلى المساجد، في عام 1992 تم التوصل بين الدكتور أحمد أبو حلبية الذي عين قائم مقام رئيس الجامعة و السلطات الإسرائيلية إلى إتفاق تم بموجبه فتح الجامعة الإسلامية من جديد، وقد عادت الجامعة بذلك لمزاولة نشاطها ليس فقط الأكاديمي بل والتنظيمي أيضا، وقد إستمرت الجامعة في ممارسة هذا الدور حتى قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث بدأت الجامعة في زيادة نشاطها التنظيمي ووصلت إلى مرحلة أصبحت فيها الجامعة قلعة حماس التنظيمية الأولى بلا منازع، لذلك فقد قامت السلطة بمداهمة الجامعة وتفتيشها عدة مرات، خاصة في الفترة التي إكتشف فيها التنظيم السري لحماس، ورغم ذلك فقد ظلت الجامعة وما زالت تمثل أقوى منابر الحركة التنظيمية والتعليمية .

رغم هذا الفهم الذي دعمته إجراءات عملية من قادة المجمع، في سبيل إقامة أكبر قدر من المؤسسات للتيار الإسلامي، إلا أنهم لم

يستطيعوا أن يحققوا قدرا كبيرا في هذا المجال، منذ بداية السبعينيات وحتى السنة الأولى من الانتفاضة المباركة على صعد أخرى غير صعيد الدعوة، فباستثناء الجامعة والمجمع والجمعية الإسلامية وبعض دور الحضانة ورياض الأطفال،لم يسجل للعمل الإسلامي أي إنجاز في بناء مؤسسات إقتصادية أو صحية أو إجتماعية نسوية أو إعلامية، أما المسجد فرغم أهميته إلا أنه لم يكن قد وصل إلى الحد الذي يلعب فيه دورا رئيسيا للحركة، خاصة وأن الحركة الإسلامية قد إهتمت ببعض المساجد في ذلك الوقت، ولم يكن الأمر يستهدف كافة المساجد في قطاع غزة والضفة الغربية مثل حدث بعد ذلك في الانتفاضة .

حافظ قادة حماس بعد إندلاع الانتفاضة على نفس النهج ونفس الفكر الذي مارسوه سابقا في فهمهم لطبيعة المؤسسات وأهمية الدور الذي تلعبه في مستقبل أي حركة أو تنظيم .

لكن إتساع حركة حماس بعد إنطلاقتها في شهر ديسمبر من عام 1987 وإختلاف الدور الذي ستلعبه هذه الحركة عما سبق من أنماط العمل الإسلامي، حيث إنها جاءت كحركة وليدة للانتفاضة الفلسطينية المباركة التي فرضت واقعا جديدا للتعامل مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، هذا الواقع فرض المواجهة اليومية مع قوات الاحتلال بعكس الفترات السابقة للانتفاضة، حين كان أنصار المجمع الإسلامي يركزون جهودهم على بناء الفرد وتعبئة الأنصار بمفاهيم ومبادئ تخدم أيدلوجيتهم، هذه التعبئة خلت من مفهوم مواجهة الاحتلال في ذلك الوقت، بل إن مواجهة الاحتلال كانت تعتبر أمرا سيئا لا يخدم هدف العمل الإسلامي، وقد كانت قضية مواجهة الاحتلال والتصدي له

ومقارعته هي أساس الخلاف ما بين أنصار المجمع الإسلامي و أنصار منظمة التحرير الفلسطينية وهذا ما أدى إلى إختلاف في الرؤية والمفهوم لطبيعة العمل الإسلامي.هذا الاختلاف جعل قادة حماس ومؤسسيها الأوائل يدركون أنه يجب الاهتمام بالمؤسسات، وتفعيل ما هو قائم منها، وإقامة مؤسسات جديدة في مجالات جديدة، وفق ما يتطلبه عمل الحركة الجديد، خاصة بعد أن قامت قوات الاحتلال بإغلاق الجامعة الإسلامية ومنع الدراسة فيها .

كان على رأس أولويات المؤسسات التي عنيت حماس بإقامتها أو تفعيلها (المساجد)، ذلك لان المسجد سيلعب دورا هاما على صعيد الحركة، كما أن المؤسسات الصحية والاجتماعية والاقتصادية أيضا سيكون لها دور هام، إذا ما أريد لحركة حماس أن تتطور وتكبر وتصبح قوة مركزية على الساحة الفلسطينية، خاصة وأنها طرحت نفسها على أنها حركة للمقاومة .

وسنتحدث هنا بالتفصيل عن هذه المؤسسات وأهميتها وفاعليتها لحركة حماس.

ثانيا : المسجد

أخذ المسجد أهميته في نظرية الدولة الإسلامية منذ اللحظة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، فالرسول ﷺ إتخذ موقع مسجده في أول لحظات وصوله إلى المدينة المنورة، ثم قام المسلمون ببناء هذا المسجد، وقد بينت كتب السيرة أن مسجد الرسول ﷺ كان نواة الدولة ومركزها كما كان موطن الدعوة وركيزتها .

عرف قادة الإخوان المسلمين هذا المفهوم الشامل للمسجد،لذا فقد وجدناهم يسارعون باتخاذ منهج جديد بخصوص توسيع قاعدة المساجد التي يسيطرون عليها أو التي تخضع لإدارتهم وإشرافهم مباشرة .

بدأت التعليمات لكافة عناصر حماس وخاصة العاملين ضمن جهاز الدعوة (وهو أحد أهم أجهزة الحركة الرئيسة) للعمل على السيطرة على المساجد بكافة الطرق والوسائل حتى ولو بالقوة .

" أذكر هنا في عام 1991 . 1992 كيف إستطاع مسؤولو حماس السيطرة على المسجد الموجود في الحي الذي أسكنه، لقد أدت الأمور بمسؤولي حماس إلى ممارسة ضغوط على شيخ المسجد وإمامه منذ أكثر من 15 عاما وهو رجل طاعن في السن زاد عمره في وقتها على الخامسة والستين، كان ذلك كله من أجل أن يترك هذا الشيخ إمامة المسجد لعناصر حماس الشباب، أفلحت المحاولة وتمت السيطرة على المسجد ".(5)

إستطاعت حماس وباستخدام كافة السبل أن تسيطر على معظم مساجد قطاع غزة التي زادت على ستمائة (600) مسجد، وعلى مساجد الضفة الغربية التي قاربت سبعمائة (700) مسجد، وقد بدأت حماس في رسم هيكلية المسجد، ذلك لان المسجد سيمثل الآن مركزا للدين والدولة .

إلى جانب الدعوة والإرشاد والدروس الدينية والمحاضرات والندوات وحلقات تحفيظ القران و أداء الصلوات المفروضة، لعب المسجد دورا تنظيميا هاما، فقد كان مركزا للإعلام عبر مجلات

الحائط والنشرات والبيانات التي كانت توزع داخله،كما كان المسجد مركزا هاما و آمنا للنقاط الأمنية (الميتة) وهى الأماكن السرية التي تستخدم لتسليم وإستلام الأشياء التنظيمية الهامة مثل التقارير أو النقود أو الأسلحة أحيانا، ولا يجب أن ننسى هنا الدور المالي للمسجد، فهو أحد أهم مركز التمويل حيث التبرعات وأموال الزكاة والصدقات .

إضافة إلى ذلك لعب المسجد أهم أدواره من خلال كونه أحد أهم المرافد لتأطير وتجنيد عناصر الحركة، وقد كان ذلك يتم من خلال الحلقات .

الحلقات : لعبت الحلقات دورا هاما ورئيسا في تأطير حماس لعناصرها، فمن خلال هذه الحلقات إستطاع مسؤولو حماس ملاحظة العناصر الجديدة التي سيتم ترشيحها، إضافة إلى أن هذه الحلقات هي المعين الأول الذي سيتلقى العنصر الجديد من خلاله مفاهيم الحركة وتعليمات العمل التنظيمي، وتقسم هذه الحلقات إلى قسمين، حلقات عامة وحلقات خاصة .

أ - الحلقات العامة :

الحلقة العامة هي عبارة عن جلسة يومية، غالبا ما تكون بعد صلاة المغرب، يتم فيها قراءة المأثورات أو سورة تبارك، ومن ثم يلقي أحد الشيوخ درسا متخصصا في الدعوة أو الأحكام أو الأحاديث، ويكون الحضور مفتوحا لكافة زوار المسجد وليس بالضرورة لعناصر حماس، بمعنى أن هذه الجلسات أو الحلقات ليست جلسات تنظيمية بحتة، إنما هي جلسات دعوية بالدرجة الأولى، تهدف إلى ربط الأبناء بالآباء

(أبناء الحركة) بعامة الناس (الحضور) وتوطيد علاقات إجتماعية تُسهّل عملية (الاستقطاب) للحركة فيما بعد .

كما كانت هذه الحلقات تهدف إلى الاستفادة من حضور كبار السن من أجل تشكيل لجان إصلاح ولجان إجتماعية للحي أو المنطقة التي يتواجد فيه المسجد، وبالتالي ستكون هذه اللجان تابعة لأمير المسجد أو مسؤول المنطقة .

ب - الحلقات الخاصة (طريقة التجنيد) :

عندما يدخل الشاب أو كبير السن المسجد يتم متابعته ومراقبة مدى مداومته على أداء الفرائض، وقد تستغرق هذه الفترة شهرا أو أكثر، بعد ذلك يتم تكليف أحد العناصر بالتقرب إليه من أجل معرفته معرفة تامة ومصادقته، من خلال المتابعة ورفع التقارير يؤخذ قرار إما بضمه أو تركه، الشخص الذي يؤخذ قرار بضمه يتم العمل معه من خلال الندوات والزيارات والجلسات، ثم يتم رفع تقرير حول سلوكه من قبل الشخص المكلف بمتابعته، ويشمل هذا التقرير كافة النواحي (الأسرية، الاقتصادية، الأمنية، الأخلاقية، السلوكية) .

وفق هذا التقرير ونتائجه يتم التعامل مع هذا الشخص، فإذا ما كانت النتائج إيجابية يتم تكليف شخص آخر بمتابعته والتقرب إليه، ذلك من أجل ضمه إلى حلقة خاصة مع أفراد آخرين، ويكون هذا المكلف بمتابعته هو أمير هذه الحلقة .

أصبح الآن يوجد مجموعة قد يصل عددها إلى خمسة أفراد ولها أمير، هذه المجموعة يتم عمل برنامج روحاني متكامل لها (قراءة قران، سنة، أحاديث، رياض الصالحين، أدعية..الخ). ويكلف كل عضو في

هذه المجموعة بتجهيز نفسه في كل جلسة أو حلقة لكي يلعب دور الأمير،حتى يتعلم فن القيادة ويصبح مؤهلا لقيادة مجموعة فيما بعد إذا ما تطلب الأمر ذلك .

هذه الحلقة التي تجتمع مرة أو مرتين كل أسبوع تكون مدعومة ماليا وإداريا من قبل مسؤول المسجد (ممثل الحركة في المسجد)، أمير الحلقة يقدم بدوره تقريرا شهريا عن حلقته، يشمل : (الحضور والغياب لكل فرد، درجة إهتمام كل عنصر، السمع والطاعة للعناصر، الالتزام، الإلقاء، المبادرة، التفاعل.. إلخ)، وبناء على هذا التقرير يتم تحديد أهمية كل عنصر من هذه العناصر. وبالتالي يتم تحديد من سيتم فرزه للعمل الميداني من العناصر، مثل كتابة الشعارات على الجدران واللجنة الإعلامية أو لجان الأحداث (وهي تعتبر مرحلة من مراحل التطور والتقدم في الحركة).

في حالة تطور الشخص إيجابيا وإكتمال عناصر القيادة والمسؤولية فيه يكلف بمتابعة بعض الأشخاص (كأمير) وضمهم إلى حلقته، هذا مع العلم بأن الحلقة التي كان هو عضوا فيها تظل كما هي، ويظل هو عضوا فيها ويظل يتلقى أوامره من خلال هذه الحلقة التي ترعرع فيها.

ولا يقتصر مكان هذه الحلقات على المسجد فقط بل من الممكن أن تعقد هذه الحلقات جلساتها في أي مكان عام مثل مطعم أو منتزه أو منزل أحد عناصرها أو أميرها أو على شاطئ البحر أو في المقابر .. الخ، كما أن هذه الطريقة ليست هي الطريقة الوحيدة لتجنيد العناصر، فقد يتم تجنيد العناصر بطرق أخرى مثل الجامعات والمعاهد العليا عن طريق النشاطات الطلابية وغيرها .

الارتقاء والتطور في الحركة :

يرتقي العنصر من مستوى لآخر وفقا لمدى إجتهاده وسعيه لتطوير نفسه من خلال إجتهاده في حفظ القران والاهتمام بالأمور الدينية الصلوات والعبادات، إضافة إلى زيادة نشاطه العملي وسعيه لزيادة هذا النشاط و إعطاء أكبر قدر من وقته في خدمة الحركة، وقد يظل العنصر لمدة عامين في مستوى الحلقة الأولى قبل أن يكلف بأعمال أخرى أكثر أهمية مثل النشاطات الأمنية (كأن يصبح مسؤول بريد أو ناقل بريد)، أو الأعمال التي تخدم الجهاز العسكري (وليس بالضرورة المسلح) بل مثل لجان الصاعقة ولجان الأحداث ولجان الإعلام الميداني.

هذه المرحلة الجديدة من التكاليف تتم بواسطة النقاط الميتة بحيث تكون التعليمات سرية وبحيث يؤدي الفرد عمله أو تكليفه دون معرفة الآخرين المشاركين له في العمل، وتعتبر هذه مرحلة هامة وبداية لمرحلة نقل العمل من داخل المسجد إلى خارجه، وهي عملية تتطلب دقة وسرية تامة .

ويبقى أن نذكر في هذا المجال أنه من الممكن أن يتم سحب أشخاص أو إبدالهم من حلقات وضمهم إلى حلقات أخرى، أو تغيير أمير أو إستبداله، هذه الأمور تعتمد على التقارير التي يتم رفعها للمسؤول الذي يقيم أمور الحلقات ونشاطاتها وفاعلية أعضائها، هذا المسؤول يكون مسؤول جهاز الدعوة في المسجد الذي يعتبر أعلى سلطة في المسجد ويكون سريا وغير معروف للعناصر .

هيكلية المسجد الإدارية :

يعتمد المسجد في هيكليته الإدارية على مجموعة من المسؤولين والنشاطات، كل نشاط منها يعمل وفقا لاحتياجاته وأهميته وهذه المسؤوليات هي :

مسؤول الدعوة : وهو أهم المسؤولين في المسجد حيث يعتبر هو أعلى سلطة في المسجد ويكون أميراً للمسجد وغير معروف للعناصر.

مسؤول امني : وهو المسؤول عن الأمن في المسجد وبالتالي عن الأمن في المنطقة التي يكون فيها المسجد .

مسؤول إعلامي : وهو المسؤول عن الإعلام في المسجد بكافة أنواعه (خاص وداخلي وخارجي).

مسؤول إجتماعي : وهو المسؤول عن النشاطات الاجتماعية التي يقوم بها المسجد وعناصره مثل الزيارات الاجتماعية للمرضى ولعناصر المسجد ومواساة أسر الشهداء والجرحى والمعتقلين ...الخ .

مسؤول رياضي: وهو المسؤول عن النشاطات الرياضية في المسجد.

هذا ويحتاج كل مسؤول في المسجد إلى فريق عمل يتم تشكيله من مختلف الحلقات، ويتم الاتصال مع مسؤول الدعوة مباشرة لترشيح عناصر لشتى المجالات المذكورة، ويتم تحديد العناصر من قبل مسؤول الدعوة بناء على التقارير الموجودة عن كل عنصر لديه .

ومن المفارقات الهامة في هذه التركيبة الإدارية للمسجد أن قادة العمل التنظيمي على إختلافه قد يكونون في حلقة واحدة أو عناصر

في حلقات مختلفة عادية أو متقدمة، ولكنهم لا يعرفون بعضهم البعض فالوحيد الذي يعرف الجميع هو مسؤول الدعوة ولا يعرفه أحد .

مع إغلاق الجامعة الإسلامية من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي ومنع الدراسة فيها بعد بداية الانتفاضة، قامت قيادة المجمع الإسلامي باستغلال المساجد للدراسة بدلا من الجامعة المغلقة، وقد إستطاعت قيادة المجمع أن تنظم جدولا دراسيا في مختلف مساجد القطاع، أدى هذا التنظيم إلى تفعيل المساجد وتفعيل دور الحركة في بناء المجتمع، وأظهر حرصها الشديد على مواصلة التعليم لابناء القطاع، الأمر الذي حسب بالإيجاب الكبير لادارة المجمع .

وقد لعبت المساجد دورا هاما في زيادة تقرب العامة من العبادات، ورجوعهم إلى الله، وإلى ممارسة الشعائر الدينية بشكل كبير في المساجد، وللحقيقة فان هذا الجهد لم يقتصر على قادة (المجمع) بل لعب فيه دوراً كبيراً عدد من الشخصيات الإسلامية المستقلة أو أعضاء الحركات السلفية الذين مارسوا رسالتهم الدعوية من خلال المساجد أيضا، سواء ضمن المساجد التي أشرف عليها (المجمع) أو تلك التي كانت تتبع للجهاد الإسلامي أو التي كانت تحسب للحركات الأصولية أو لفتح؛ فبعض المساجد وإن كانت قليلة كان يشرف عليها بعض نشطاء حركة فتح من ذوي الميول الإسلامية.

ثالثا : الجامعات والمعاهد العليا

تحدثنا عن الدور الذي لعبته الجامعة الإسلامية بغزة كمؤسسة إنطلقت منها نشاطات الإخوان المسلمين، ولكن لم يقتصر إهتمام الإخوان وقادة المجمع على الجامعة الإسلامية فقط، بل سعى قادة المجمع إلى التوسع وإيجاد مناطق نفوذ لهم في كافة المعاهد

والجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية أيضا، فكثفت حماس من وجودها في جامعتي النجاح و بيرزيت، اللتين تعتبران قلاعا هامة لمنظمة التحرير،إضافة إلى معهد البوليتكتيك والكلية العصرية والجامعة الإسلامية في الخليل وجامعة بيت لحم، وقد إستطاعت حماس أن تجد لها موطىء قدم فيها، وقد زاد نفوذ حماس كثيراً في بعض الاحيان، ووصل إلى حد فوزها بأكبر نسبة من مقاعد مجالس الطلبة في هذه الجامعات، ولكن الجدير ذكره هنا أنه لم يكن يحسم حجم حماس ونفوذها في الجامعات المذكورة القوة الفعلية لحماس وقوة تمثيلها، بل لعبت أحيانا الخلافات بين عناصر فصائل منظمة التحرير أنفسهم أو الخلافات التي نتجت عن المسيرة السلمية أو أداء السلطة في بعض الاحيان دورها في إرتفاع شعبية حماس، أو قيام بعض عناصر التيار الوطني بالتصويت لحماس دون أن ينضموا لها . ورغم ذلك فقد مثلت حماس في هذه الجامعات ثقلا معقولا ومنافسا في كثير من الأوقات للقوى الوطنية، كما أن هذه الجامعات مثلت أيضا قلاعا تنظيمية لحماس إنطلقت منها لتحقيق أهدافها التاطيرية والتنظيمية، وقد خرّجت هذه الجامعات عددا من قيادات حماس الذين وصلوا فيما بعد إلى أعلى مستويات السلم القيادي في الحركة، مثل الشهيد يحيى عياش الذي أصبح مسؤولا عن الجهاز العسكري للحركة (كتائب عز الدين القسام) وقد كان طالبا في جامعة بيرزيت .

رابعا : المؤسسات الاقتصادية

إعتمدت حركة حماس في تمويلها الأساسي على المساعدات المالية التي تأتيها من الخارج (على اختلاف مصادر هذه الأموال)، إضافة إلى أموال الزكاة والتبرعات التي كانت تجمع من المساجد، والتي تعتبر

في معظم الاحيان ميزانيات تمويلية للمساجد أنفسها من أجل تغطية نفقاتها التعميرية أو الخدماتية، ومن أجل ذلك حاولت حماس خلال الانتفاضة وفي ظل إزدياد متطلبات الحركة أن تنشئ عدداً من المؤسسات الاقتصادية، وكذلك مع بدء ظهور السلطة الوطنية الفلسطينية، وقد قامت حماس بفتح عدد من هذه المؤسسات التي نستطيع أن نقسمها إلى التالي :

1 - مشاريع صغيرة : قامت قيادة حماس بتمويل عدد من نشطائها -خاصة المحررين الذين لم يجدوا لهم وسيلة عمل داخل إسرائيل- بهدف إقامة مشاريع صغيرة كل وفق صنعته أو خبرته، فقامت بتمويل مصانع للخياطة وورش صناعية حرفية (حدادة، نجارة، ورش سمكرة، دهان ...الخ)، إضافة إلى بعض المحال التجارية، وقد كان الهدف من هذه المشاريع هو إيجاد وسيلة دخل لعناصر الحركة إضافة إلى إيجاد مصادر دخل أخرى ومجالات عمل لعدد آخر من عناصر الحركة، الذين سيعملون في هذه المشاريع أيضا، وبذلك استطاعت حماس أن تخفف عبئا ماليا عنها، مع تقليص حجم بطالة عناصرها.

ولا نستطيع القول بأن هذه المشاريع كانت تهدف لتحقيق أرباح عالية تستخدمها الحركة في نفقاتها بل إقتصر ت أهدافها على ما ذكر سابقا .

2 - مراكز خدمية إنتاجية : أقامت حماس عدداً من المراكز الخدمية الإنتاجية في نفس الوقت، فأقامت عدداً من المراكز الطبية، والعيادات، والمستشفيات، ودور الحضانة التي قدمت بدورها خدمات للجمهور وخاصة المناصر لحماس إضافة إلى تحقيقها بعض الدخل. وباستطاعتنا القول إن هذه المراكز قد حققت بعض النتائج الإيجابية على الصعيد الاقتصادي الحركي منها :

أ ـ توفير فرص عمل للكادر الحمساوي العضو أو المناصر .

ب ـ تحقيق دخل مادي ولو نسبي للحركة .

ج ـ دعم الأسر الفقيرة والمتوسطة من خلال تقديم خدمات رخيصة الثمن، وفي بعض الاحيان مجانية لهذه الأسر .

بقي أن نذكر هنا أن حماس إستفادت من التبرعات التي كانت تصلها في بعض المجالات لدعم هذه المؤسسات، خاصة من عملت في المجال الطبي .

3 ـ مؤسسات إنتاجية كبري (شركات) : قامت حماس في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية بتأسيس عدد من الشركات التجارية الكبرى التي مارست أنواع التجارة في شتى المجالات، هذه الشركات حققت أرباحاً للحركة . وما يمنعنا هنا من ذكر بعض هذه الشركات هو عدم وجود إثباتات رسمية بأنها شركات تابعة لحركة حماس، والمعروف في هذا المجال أن مثل هذه الشركات لا تُسجّل باسم الحركة أو باسم أعضاء بارزين فيها حتى لا يتم مصادرتها أو تجميد أموالها في حالة تعرضها لأي ملاحقة .

خامسا : المؤسسات الخدماتية

إهتمت حماس كثيرا منذ الانتفاضة بالمؤسسات الخدماتية ففعلّت المؤسسات التي كانت قائمة فعليا و أقامت مؤسسات أخرى عديدة خلال الانتفاضة الأولى وخلال فترة السلطة الوطنية الفلسطينية، وقد قامت هذه المؤسسات باستقبال الدعم الذي كان يقدم من شتى الجهات العربية والدولية، الرسمية والشعبية، وقد قدمت حماس من خلال هذه المؤسسات مساعدات كبيرة لعناصرها وأسرهم ومناصريها

ومؤيديها، مما أكسب الحركة مدا جماهيريا واسعا، حيث إن الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانى منها الشعب الفلسطيني في سنوات الانتفاضة الأولى جعلت تقديم هذه المساعدات جزءاً من نشاطات الحركة التنظيمية و التاطيرية، رغم أن هذه المساعدات هي تبرعات مقدمة من جهات عديدة وليست من حركة حماس، وقد كان من أهم هذه المؤسسات التي لعبت هذا الدور الكبير المجمع الإسلامي وجمعية الصلاح والجمعية الإسلامية، وسنلقي الضوء هنا على واحدة من هذه الجمعيات للتعرف عليها.

الجمعية الإسلامية :

تأسست الجمعية الإسلامية بتاريخ 1976 بهدف هداية الناس إلى الدين الإسلامي الحنيف، وتقوية ونشر المبادئ الإسلامية، والعمل روحيا بالعبادة وعقليا وبدنيا بالرياضة، وإجتماعيا بالمواساة، وتمارس الجمعية نشاطاتها من خلال :

- رياض الأطفال : حيث للجمعية مراكز لرياض الأطفال في كل من غزة، جباليا، بيت حانون، النصيرات، المغازي، خانيونس، رفح .

- برنامج كفالة الأيتام : حيث تتكفل الجمعية بدفع الرسوم المدرسية وتقديم الخدمات للأطفال الأيتام إلى جانب رعاية الأسر المستورة .

- برنامج محو الأمية .

- المخيمات الصيفية .

ويدير الجمعية مجلس إدارة ينتخب من قبل جمعيتها العمومية، وللجمعية 7 فروع في مختلف أنحاء القطاع ولكل فرع إدارته الخاصة، ويبلغ عدد الموظفين في الجمعية 230 موظفا و15 متطوعا.

ولم تقتصر هذه المؤسسات في عملها أو نوعية الخدمات التي تقدمها على هذه المؤسسات فقط، فحماس ومن قبلها قادة المجمع أقاموا منظومة من المؤسسات الخدمية التي قدمت خدمات لرعاية المسنين (جمعية الوفاء لرعاية المسنين)، و الأيتام و أبناء الشهداء (مدرسة الصلاح الإسلامية للأيتام وأبناء الشهداء)، ورعاية الأطفال اللقطاء (مبرة الرحمة لرعاية الأطفال)، وغيرها الكثير من المؤسسات التي قدمت وتقدم خدمات عديدة في شتى المجالات.(6)

سادسا : المؤسسات الصحية

إهتمت حماس إهتماما بالغا بالمؤسسة الصحية في ظل الانتفاضة، حيث إن الانتفاضة أوجدت حالة مواجهة دائمة مع قوات الاحتلال، ولما كانت المستشفيات الحكومية معرضة دائمة للاقتحام أو المداهمة من قبل قوات الجيش الإسرائيلي، فقد إحتاجت حماس إلى أماكن أخرى تتوفر فيها الخدمة الطبية من أجل إسعاف ومعالجة مصابيها النشيطين والهامين الذين قد يصابون في أحداث الانتفاضة، خاصة أعضاء الجهاز العسكري، لذلك قامت حماس بإنشاء جهاز طبي متكامل، ولعلّ ما ساعد في ذلك هو وجود قطاع كبير من الأطباء المؤطرين ضمن حركة حماس. وقد إنطلقت حماس في تأسيس المراكز الطبية وهي تعلم أن هذه المراكز سوف توفر لها عدداً من الإنجازات الهامة، والتي منها :

1 - إيجاد أماكن خاصة ومهيأة لعلاج عناصر حماس المصابين والخطرين ومما يؤكد ذلك أحداث المواجهات التي وقعت بين فتح وحماس سواء في أيام الانتفاضة أواخر 1992، أو بين

السلطة وحماس عام 1996، حيث لوحظ أن المصابين من عناصر حماس لم يتوجه عدد كبير منهم إلى المستشفيات حيث تم علاجهم في أماكن أخرى خاصة.

نعتقد نحن أن هذه الأماكن هي عبارة عن جزء من المنظومة الخاصة للجهاز الطبي لحركة حماس، وقد تكون عيادة أي طبيب مؤطر لحماس أو منزله جزءاً من هذه المنظومة .

2 ـ إيجاد مصدر دخل مالي للأفراد العاملين في هذه المؤ، ات وللحركة، عن طريق الدخل الناتج عن هذه المؤسسات .

3 ـ تقديم خدمات قليلة الثمن ورخيصة أو مجانية في بعض الاحيان لعائلات وأسر نشيطي الحركة من خلال هذه المؤسسات .

ويمكن القول إن حماس إستطاعت من خلال هذا الفهم لضرورة العمل الصحي من إيجاد مؤسسات طبية خاصة لها تستفيد منها في عملها التنظيمي، إضافة إلى إقامة مستشفى و عدد من المنشآت الطبية والعيادات الشعبية والجماهيرية التي قدمت خدمات طبية للجمهور عالية المستوى، وقد فاقت هذه الخدمات، الخدمات المقدمة حكوميا في كثير من الاحيان .

سابعا : المؤسسات الرياضية

إنطلقت بواكير العمل الرياضي من المجمع الإسلامي، حيث ضم المجمع نادياً رياضيا، وقد كانت النشاطات الرياضية من أهم النشاطات التي مارسها قادة المجمع من أجل إيجاد التفاف شبابي

حـول الإخـوان، ومن خـلال المسـاجـد تم إقـامـة منظومـة رياضـيـة متكاملة،حيث إعـتبـر كل مـسـجد بمثابة نادٍ رياضي مـستقل، كان له نشـاطاته الرياضـية المستقلة في كرة القـدم وتنس الطاولة والكاراتيه . وقـد ألحق في مـعظم المسـاجـد التي كانت بهـا أمـاكن مـتوفـرة غـرفـة خاصـة للرياضة،كانت تحتوي على طاولة للتنس -على الأقل- إضـافة إلى المعدات الرياضية الأخرى .

إستطاع قـادة المجـمع أن يجـعلوا من نادي المجـمع ونادي الجـمـعيـة الإسـلامـيـة ونادي جـمـعيـة الصـلاح الإسـلامـيـة نـوادي لهـا حـضـورها الرياضي على صـعيـد المؤسـسات الرياضـيـة الكبـرى والهـامـة في قطاع غـزة والضـفـة الغـربيـة، فكـان نادي المجـمـع الإسـلامـي من أكـثـر النوادي تفـوقـا في لعبـة تنس الطـاولـة، وكـان غـالبـا مـا يفـوز أعـضـاءه ببطولات الضـفة والقطـاع، إضـافة إلى أن فريق كرة القدم للجمعية الإسـلامية في مـعسكر الشـاطئ، كان فـريقاً لامعاً وضمّ عدداً من اللاعـبين الذين لعبوا في منتخب قطاع غزة فترة الانتفاضة .

لقـد أفلح قـادة المجـمع من إتخاذ الرياضـة كمشـروع تربوي تأطيـري تنظيمي من الدرجة الأولى، وقـد كانت الفـعـاليات التي أقامـها المجـمع من مبـاريات وبطولات بين المسـاجـد حـالة رياضـيـة كـبـرى بين بعـضـها بعضا، أشبه بحالة الدوريات العامة بين الأندية في الدول المنظمة، وقد حقق المجـمع نتـائج كثيـرة إثر هـذا النشـاط، كـان أهم هذه النتـائج هو زيادة شـعـبيـة المجـمع بين عنـاصـر الشـبـاب والطلائع الذين أصـبحـوا يتـرددون على المساجد من أجل ممارسة الرياضـة أو اللعب -على الأقل في البـداية- فـتـتلقـفـهم أيادي المشـرفين على المسـجـد والذين كـانوا يبدأون بتوجيه إهتمامهم نحو العبادة ومن ثم نحو التأطير الحركي .

وقد تكون فترة الانتفاضة الأولى عام 1987 قد حدّت من النشاطات الرياضية للمساجد حيث إن الحركة الرياضية بشكل عام قد ضربت في مقتل في هذه الفترة، إلا أن فكرة النشاط الرياضي لم تغب للحظة عن تفكير قادة المجمع، فوجدنا بعض محاولات من نشطاء وقادة ومقربين من حماس بعد قدوم السلطة لفتح نوادٍ رياضية خاصة، وقد حصل بعضهم على تراخيص بذلك من السلطة الفلسطينية، وعادت المساجد لتلعب دورها الهام إلى جانب ما تبقى وما أنشئ مراكز رياضية ونوادٍ قدمت للمجمع الإسلامي خدمات كبيرة وحققت له إنجازات عظيمة على طريق التاطير السياسي والفكري، وعلى طريق العمل التنظيمي .

ثامنا : المؤسسات النسوية

إهتم الإخوان المسلمون منذ بداية إنطلاقة عملهم عندما أسسوا المجمع الإسلامي بالنشاطات النسوية، لانهم أيقنوا الدور الهام الذي تلعبه المرأة في تنشئة الفرد والأسرة والمجتمع، لذلك وجدناهم يلحقون بالمجمع منذ بدايته مركزاً للنشاط النسائي وتأهيل الفتيات، ومن خلال هذا المركز بدأت المرأة الفلسطينية الانخراط في العمل الإسلامي، ونظرا لزيادة الإقبال النسوي على النشاطات الإسلامية وخاصة المتعلقة منها بالدعوة و تعلم العبادة والعودة إلى الدين الصحيح، فقد وجدنا قيادة المجمع تسارع لاستيعاب هذا النشاط المتزايد للمرأة الفلسطينية بإقامة أماكن للنساء في المساجد، لم تقتصر هذه الأماكن على تأدية الصلاة فقط بل أدت أدوارا أخرى، تعليمية وتربوية وتثقيفية وإجتماعية، فأصبح كل مسجد يمثل مؤسسة مستقلة للمرأة، ومما يحسب للتيار الإسلامي الذي كان الإخوان عنصراً رئيساً فيه هو

إستطاعته الوصول للمرأة الفلسطينية وتغيير مسار حياتها، من حياة الترف والبذخ و اللامبالاة بالتعاليم الدينية -خاصة في الفترة التي سادت من أوائل الستينيات وحتى منتصف السبعينيات- إلى العودة إلى المسار الديني الصحيح، حيث بدأت ظاهرة الحجاب بالتوسع والازدياد بعد أن كانت من النوادر في الفترة السابقة.

ولان دور المرأة كبر وتطور فقد قامت قيادة المجمع بإقامة جمعية للشابات المسلمات من أجل تسهيل إنخراط المرأة في الحياة المجتمعية التنظيمية والإدارية.

جمعية الشابات المسلمات :

تأسست جمعية الشابات المسلمات في قطاع غزة عام 1981 كجمعية خيرية نسائية تتميز برسالتها السامية التي تسعى بكل ما أوتيت من جهد لتؤديها على خير وجه، تلك الرسالة التي يتمركز عملها كليا حول المرأة في المجتمع الفلسطيني، المرأة طفلة كانت أم شابة، زوجة أو أم .

وتمارس الجمعية نشاطاتها التثقيفية والتعليمية والتربوية للمرأة من خلال :

- مركز جمعية الشابات المسلمات : وهو مركز مرخص من قبل وزارة التربية والتعليم، وهو خاص بتقديم دورات كمبيوتر وطباعة وسكرتارية ودروس التقوية للطلاب .

- إقامة الدورات المختلفة: مثل الخياطة، الصوف، التريكو، صناعة وتنسيق الزهور و دورات محو الأمية، وذلك في مختلف أنحاء قطاع غزة .

- المركز الرئيسي للقرآن : و يتفرع عنه مركز تعليم التلاوة وتحفيظ القرآن الكريم .

- مكتبة الطفل والناشئة .

- رياض الأطفال : تشرف الجمعية أيضا على إدارة حضانة أطفال في رفح .

ويشرف على إدارة الجمعية ونشاطاتها مجلس إدارة من غير موظفيها . (7)

وبهذا إستطاع الإخوان المسلمون منذ بدايتهم في المجمع الإسلامي وإنتقالهم إلى حماس كحركة مقاومة إقامة نظام مؤسساتي كبير، قام بنشاطات عديدة للحركة سواء على الصعيد التنظيمي أو على مختلف الصعد الأخرى .

الهوامش

1 ـ مقابلة مع الشيخ حجازي البريار (أحد مساعدي الشيخ أحمد ياسين) قبل عام 1981، أجريت بتاريخ 2002/3/16 .

2ـ المصدر السابق .

3 ـ المصدر السابق .

4 ـ أبو عمر، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، عكا، دار الأسوار، 1989، ص 73 ـ 74 .

5 ـ مقابلة الكاتب لإمام المسجد الذي تعرض للحادثة، بتاريخ 1992 .

6ـ الأمم المتحدة، دليل المؤسسات غير الحكومية في قطاع غزة،مكتب المنسق الخاص للأمم المتحدة في الأراضي المحتلة، 1998، ص 70 .

7 ـ المصدر السابق، ص 189 .

مصادر التمويل

لا شك أن الحديث عن مصادر تمويل حركة حماس أمر في غاية الصعوبة ، ذلك لان كافة الإجراءات المالية التي تتعلق بتمويل الحركة تعتبر من أهم أسرار الحركة التي لا يتم الحديث عنها سواء بين عناصر حماس أو في الأوساط الإعلامية .

وقد حرصت حركة حماس على إعتبار كل ما يتعلق بعملها المالي من الأمور الشديدة السرية والتي يجب أن يحافظ عليها بدرجة عالية من أجل عدم فضحها وبالتالي مواجهتها سواء من قبل سلطات الاحتلال أثناء الانتفاضة أو من قبل السلطة الفلسطينية بعد إتفاق أوسلو حيث إن الجانب المالي يلعب دورا هاما في بقاء الحركة و إستمراريتها وتطوير عملها .

ورغم هذه الصعوبة إلا أن بعض الجوانب التي تم كشفها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي أو من قبل الحكومة الأمريكية بعد أحداث 11/أيلول عام2001، أو تلك المعلومات البسيطة التي يمكن تداولها في الشارع السياسي الفلسطيني بين الفصائل الفلسطينية التي تتواجد على الساحة الفلسطينية -والتي واجهت نفس الأوضاع التي واجهتها حماس- نستطيع من خلالها تسليط الضوء على بعض جوانب هذا الدعم أو التمويل المالي لحركة حماس كما أنها ترشدنا

إلى مصادر التمويل والإنفاق في الحركة والتي يمكن أن نجملها في التالي :

أولا : التبرعات و أموال الزكاة من الفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية

ساهمت التبرعات وأموال الزكاة التي كان يتبرع بها السكان الفلسطينيون المقيمون في الضفة الغربية وقطاع غزة والتي كانت تقدم لقيادة حركة حماس ، ساهمت في تمويل نشاطات الحركة خلال الانتفاضة المباركة خاصة في بداياتها حيث إن الاحتياجات المالية والنفقات قد زادت فور الإعلان عن تأسيس حركة حماس و إتساع نطاق عملها في مقاومة الاحتلال ، فالخلايا التي تعمل في مجالات الكتابة على الجدران وطباعة وتوزيع البيانات والتي سيلقى على كاهلها في ما بعد مهام أخرى كثيرة إحتاجت إلى كثير من الأموال في بداية عمل الحركة ، الأمر الذي تطلب توفير هذه الأموال بشكل سريع ،هذا الأمر يجعلنا نعتقد بأن هذه الأموال قد أتت من خلال التبرعات وأموال الزكاة التي سعى قادة حماس لزيادتها من أجل تمويل نشاطات الحركة في بداياتها .

ثانيا : الجمعيات والمؤسسات الخيرية داخل مناطق الـ (48) الفلسطيني

مع إستمرار الانتفاضة وزيادة الحصار الإسرائيلي للسكان في الضفة والقطاع وفرض حظر التجوال بشكل واسع على العديد من المناطق الفلسطينية وخاصة المخيمات التي كانت تعتبر أكثر البؤر السكانية توترا ومواجهة للاحتلال ، بدأ الوضع الاقتصادي الفلسطيني

يسوء شيئا فشيئا ، الأمر الذي أدى إلى قيام العديد من المؤسسات والهيئات الخيرية والإنسانية في مناطق الـ (48) الفلسطينية لنجدة إخوانهم الذين يعانون من تدهور إقتصادي شديد ، وقد قدمت هذه المؤسسات والجمعيات التبرعات العينية من مواد غذائية وتموينية إلى أبناء الشعب الفلسطيني من خلال التنظيمات الفلسطينية واللجان الشعبية والجماهيرية والشخصيات الوطنية التي كانت تدير الأمور في الأراضي الفلسطينية ، وقد كان لحركة حماس نصيب كبير من هذه التبرعات التي قامت بتوزيعها على عناصرها ونشطائها ومؤيديها ومناصريها والفقراء والمحتاجين من أبناء الشعب الفلسطيني الأمر الذي ساهم في تخفيف العبء المالي عن الحركة حيث إن الأعباء المالية والاحتياجات المالية بدأت تزداد يوما بعد يوم خاصة مع بروز ظاهرة المعتقلين إذ أن حماس كانت مطالبة بسد الفراغ الاقتصادي الذي سوف يخلفه المعتقل لأسرته خاصة إذا ما كان هذا المعتقل رب الأسرة أو أحد أفرادها المنتجين إقتصاديا .

ساهمت هذه التبرعات في سد إحتياجات عدد كبير من الأسر الفلسطينية التي كان أبناؤها من عناصر حماس أو من مؤيديها .

ثالثا : المؤسسات المالية والمشاريع التي أقامتها حركة حماس

سعت حركة حماس إلى محاولة إنتهاج سياسة إقتصادية مالية منتجة من أجل توفير بعض الأموال التي تحتاجها الحركة لسد أعبائها ونفقاتها المالية ، ورغم أن حركة حماس إستطاعت أن تقيم عددا لا بأس به من المشاريع الاقتصادية البسيطة مثل مصانع الخياطة وبعض المحلات التجارية ومراكز توزيع الدواء و الصيدليات وبعض الورش الصناعية ، إلا أن هذه المشاريع التي تعتبر مشاريع صغيرة إقتصاديا وغير مدرة للربح الوفير ،لم تستطع أن تحقق غاية كبيرة على صعيد

تمويل الحركة ، بل لن نغالي إذا قلنا أنها لم تستطع في أي وقت من الأوقات أن تكون مشاريع يمكن أن نطلق عليها مصطلح تمويلية للحركة حيث إن معدل الدخل الذي كان ينتج عن هذه المشاريع يعتبر دخلا بسيطا للغاية ، ورغم ذلك فان هذه المشاريع حققت نجاحا كبيرا على صعيد توفير دخول متواضعة ومقبولة لاصحابها الذين كانوا يديرونها، إضافة إلى العمال الذين كانوا يعملون بها ، ومعظمهم أو غالبيتهم من عناصر الحركة ، ناهيك عن أنها ساهمت في الحد من البطالة التي كان يعاني منها الشعب الفلسطيني بشكل كبير ومن ضمنهم عناصر حركة حماس ونشيطوها وخاصة المحررين منهم والذين لا يسمح لهم بالعمل في إسرائيل أو حتى دخولها ، خاصة بعد أن إنتهجت إسرائيل سياسات أمنية جديدة تمثلت في عمل البطاقة الممغنطة التي كانت تمثل حالة أمنية حيث إن الإسرائيليين كانوا يرفضون منحها لأي مشتبه أمني أو لأي معتقل إلاّ بعد مرور ستة أشهر على الأقل على خروجه من المعتقل، هذا بعد أن يثبت أنه لم يتورط في أي عمل أمني ضد إسرائيل ، وبالتالي فقد واجه المعتقلون الفلسطينيون ومنهم معتقلو حركة حماس أزمة بطالة حقيقية خاصة وأن معظم مجالات العمل كانت تتركز في داخل إسرائيل باستثناء أعمال الخياطة والبناء داخل المناطق الفلسطينية والتجارة المحلية وهي في معظمها تجارية إستهلاكية (إستيراد)، أما الصناعة فهي قليلة ومحدودة بل باستطاعتنا أن نقول إنها نادرة للغاية خاصة في قطاع غزة .

رابعاً : الجمعيات والمؤسسات والهيئات الإسلامية الدولية

كشفت بعض المصادر الإسرائيلية الأمنية عن أن هناك بعض المؤسسات الدولية الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تقوم بتقديم دعم مالي لحركة حماس وقد نشرت صحيفة القدس

المبادرة في الأراضي الفلسطينية في عددها بتاريخ 19/5/ 1996 وتحت عنوان (على ذمة مصادر إسرائيلية ...الكشف عن جمعية في بيت حنينا تقدم الدعم المالي لعائلات أعضاء حماس) خبرا مفاده "ذكر راديو إسرائيل أن أجهزة الأمن الإسرائيلية كشفت عما وصفه بجمعية في بيت حنينا بالقدس تقوم بدعم مالي لعائلات أعضاء حركة المقاومة الإسلامية حماس إعتقلوا أو نفذوا عمليات داخل الخط الأخضر... وقال الراديو إن هذه الجمعية التي أطلق عليها اسم (الصندوق من أجل الرفاه والتطوير) تعمل بالتعاون مع صندوق تابع لحركة حماس في الولايات المتحدة على نقل أموال طائلة إلى عائلات أفراد الحركة... وأضاف الراديو أنه عثر في مكاتب هذه الجمعية خلال تفتيشها على مستندات كثيرة تدل على نشاط هذه الجمعية... وقد جاءت هذه التفاصيل في جواب سلمته النيابة العامة الإسرائيلية للمحكمة العليا ردا على إلتماس قدمته هذه الجمعية ضد قرار الإغلاق الذي صدر بحقها".(1)

وقد أعربت الجالية اليهودية كثيرا عن مخاوفها من أن هناك أموال تتدفق من بريطانيا لدعم حركة حماس وحركات إسلامية أخرى وقد نشرت صحيفة النهار المقدسية تحت عنوان (مجلس المفوضين اليهود يحذر من أنشطة مزعومة لإسلاميين في بريطانيا): "ستتصدر قضايا أمن الجالية اليهودية البريطانية جدول أعمال لقاء سيتم الأسبوع المقبل بين زعماء يهود ورئيس الوزراء البريطاني جون ميجر ويأتي عقد اللقاء في أعقاب تزايد المخاوف بسبب مزاعم إسرائيلية حول تنامي دور المتشددين في أوساط الجالية الإسلامية وأنشطة لجمع التبرعات لدعم مجموعات معارضة عبر قنوات في لندن... وقال

متحدث باسم مجلس المفوضين اليهود: سنثير قضية دعم حماس وحزب الله الموجود في بريطانيا ونريد من الحكومة أن تقطع تدفق الأموال التي تذهب إلى هذه المنظمات في الشرق الأوسط". (2)

وعادت نفس الصحيفة السابقة لتنشر على صفحاتها قضية أخرى من قضايا تمويل حركة حماس من قبل مؤسسات وهيئات دولية، فقد جاء تحت عنوان (مزاعم النيابة العامة الإسرائيلية حول المساعدات الدولية لجمعية الإنقاذ الإسلامية) الخبر التالي :

"في تصريح رفعته نيابة الدولة في إسرائيل إلى المحكمة الإسرائيلية العليا زعمت أن أسر نشطاء منظمة حماس في الأراضي المحتلة حصلت على المال من هيئات دولية في الولايات المتحدة وأوروبا عن طريق هيئات إسرائيلية في الناصرة والقدس الشرقية ... وجاء تصريح النيابة العامة هذا ردا على التماس قدمته جمعية الإنقاذ الإسلامية التي قررت أجهزة الأمن الإسرائيلية قبل عام إغلاق مكاتبها ومصادرة ممتلكاتها ... وزعمت النيابة أنه بين الأسر التي حصلت على الأموال أسرة الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحي للحركة والمعتقل في السجون الإسرائيلية، وأسرة الشهيد عماد عقل قائد الجناح العسكري السابق لحركة حماس، وأسرة الشهيد صالح عثمان الذي شارك في عملية باص رقم 25 في القدس، وأسرة صلاح عبد الذي نفذ عملية بيت ليد... وإدعى ممثل الدولة المحامي شاي نيتسان بأن أجهزة الأمن تلقت معلومات سرية قبل عام تفيد بأن نصف دخل الجمعية البالغ في العام الماضي 27 مليون شيقل جاء من التبرعات من هيئات في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا ... وزعمت نيابة الدولة بأن جمعية الإنقاذ الإسلامية توسطت بين الهيئات الدولية وبين الأسر في الأراضي المحتلة" .(3)

كما أن صحيفة القدس عادت لتنشر من جديد حول هذه القضية تحت عنوان (بدعوى نقل أموال لعائلات إنتحاريين) خبرا مفاده : "قالت مصادر صحفية إسرائيلية أمس أن محققي الوحدة القطرية التابعة للشرطة الإسرائيلية على قناعة بوجود علاقة بين حركة حماس وجمعيتين عربيتين داخل إسرائيل... وتعتقد السلطات الإسرائيلية بأن الجمعيتين قامتا بنقل أموال من فروع حماس في الخارج إلى عائلات الانتحاريين داخل الضفة الغربية وقطاع غزة ... والجدير بالذكر أن الشرطة الإسرائيلية أجرت في الأشهر الأخيرة تحقيقات مع أعضاء في جمعيتي لجنة الإغاثة الإسلامية و صندوق الأراضي المقدسة... وقالت المصادر أن المحققين جمعوا إثباتات ضد الجمعيتين وأصدروا أوامر بإغلاق مكاتب لجنة الإغاثة الإسلامية التي تتخذ من الناصرة مقرا لها ... وقالت مصادر في الشرطة الإسرائيلية لصحيفة معاريف أنه نقلت في أعقاب التحقيقات معلومات كثيرة إلى أجهزة المخابرات في الولايات المتحدة وبريطانيا كي تعمل ضد فروع حماس هناك".(4)

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية وبعد إعلانها عما زعمت بأنه حربها ضد الإرهاب قامت بتجميد أموال بعض المؤسسات في البنوك الأمريكية مثل بنك الأقصى و مؤسسة الأرض المقدسة بحجة أن هذه المؤسسات تقدم الدعم لحركة حماس التي ضمتها الحكومة الأمريكية إلى قائمة ما تطلق عليهم منظمات إرهابية أو راعية للإرهاب .

خامسا : قيادة حماس في الخارج

يبدو أن معظم الأموال التي تقدم لحركة حماس تأتي من خلال قيادة حماس في الخارج وقد يكون هذا السبب - تمويل قيادة حماس

في الخارج لنشاطات الحركة في الداخل- هو المسألة الأهم التي ربطت بين قيادة الداخل والخارج ، فالمعروف أن حركة حماس قد تم تشكيلها من قبل قيادات فلسطينية تعيش في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وقد كانت كافة النشاطات التي قامت بها حماس ضد الاحتلال الإسرائيلي هى في نطاق الأراضي الفلسطينية سواء التي إحتلت عام 1967 أو تلك التي إحتلت عام 1948 فلماذا إذن تسمح حماس ببروز قيادة لها خارج حدودها وإطارها ، والحديث هنا ليس عن قيادة هامشية بل عن قيادة فاعلة ومؤثرة قدم عدد من أعضائها لفترة طويلة نفسه على أنه المتحدث باسم حماس وآخرون عرّفوا أنفسهم بأنهم إما أعضاء في المكتب السياسي لحماس أو رئيس المكتب السياسي ، والمكتب السياسي هو أعلى هيئة تنظيمية في الحركة ، ويعود السؤال هنا : لماذا يسمح قادة حماس ببروز قيادة فاعلة في الخارج رغم أن الحركة ونشاطاتها ومؤسسيها هم من الداخل ؟؟.

في إعتقادي أن الإجابة الوحيدة على هذا السؤال هي نفس الإجابة التي تجيب على السؤال الذي يطرح نفسه حول ما هو مدى الدعم الذي تقدمه قيادات حماس في الخارج للحركة في الداخل ؟؟؟ وإننا نعتقد مرة أخرى أن هذا الدعم هو دعم كبير للغاية وقد يأخذ نصيب الأسد في إطار دعم وتمويل الحركة ، خاصة إذا ما علمنا أن مكاتب حماس في شتى الدول الصديقة لحماس والتي سمحت لها بإقامة مكاتب تمثيلية تدير من خلالها شؤون الحركة ، المسؤول المباشر عن هذه المكاتب هو قيادة الحركة في الخارج ، هذه المكاتب بلا شك تمثل الحلقة الأولى والأقوى في سلسلة المساعدات والدعم الذي تقدمه هذه الدول لحركة حماس .

هذا إضافة إلى أن مكاتب حماس في الخارج وقادتها المعروفين جيدا ، والذين لديهم حرية كبيرة في التحرك والعمل التنظيمي، خاصة في الجانب المالي ، يعتبرون الواجهة الواضحة والمعروفة والموثوقة لكل الفلسطينيين المقيمين في الخارج والمؤيدين أو المتعاطفين مع حركة حماس ، والذين يرغبون في تقديم أموال زكاتهم أو تبرعاتهم للحركة ، وكذلك بالنسبة للعرب الذين يرغبون في دعم الحركة . وبذلك نستطيع أن نجزم بأن قيادة حماس في الخارج تتحكم تحكما كبيرا في تمويل الحركة سواء على نطاق جلب هذه الأموال أو على طريق تزويد قيادة الداخل بمستلزماتها المالية .

وتعتبر وسائل نقل الأموال التنظيمية من الخارج إلى الداخل من أهم الأعمال و أكثرها سرية وتعقيدا بحيث إن هذه الأموال تمر في طريقها من الخارج إلى الداخل بعدة مسالك من أجل إخفاء معالم هذه الأموال وتغييب وجهتها سواء من طرف المرسل أو المرسل إليه ، ذلك لضمان وصول هذه الأموال بعيدا عن المراقبة والمتابعة من أي طرف كان .

سادسا : منظمة التحرير

رغم أن حركة حماس لا علاقة لها بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا تنضوي تحت جناحها ولا تعتبر فصيلا من فصائلها وبالتالي لا علاقة لها بالدعم المالي الذي تقدمه المنظمة للفصائل المنضوية في إطارها، فإن منظمة التحرير قد قدمت في بعض الاحيان دعما ماديا لحماس وبقرار مباشر من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وإن كان هذا الدعم متواضعا وخجولا في بعض الاحيان وجاء بسبب ظروف خاصة مثل إبعاد قياديي حماس إلى مرج الزهور وبدون طلب رسمي من

حماس ، فقد ساهمت منظمة التحرير الفلسطينية بتغطية جزء كبير من نفقات الإبعاد التي تمثلت في المواد التموينية والمساعدات التي قدمت للمبعدين وإن لم يكن هذا الدعم قد جاء بشكل مباشر وصريح، فقد إعتبرت قيادة منظمة التحرير أن هؤلاء المبعدين هم من أبناء الشعب الفلسطيني وهم يمرون بمحنة صعبة على الصعيد الإنساني لذلك فإنها لم تأل جهدا في محاولة تقديم كافة أشكال الدعم سواء المعنوي أو المادي لهم حتى ولو كان بطرق غير رسمية من خلال شخصيات فلسطينية أو لبنانية أو أفراد أو مؤسسات .

وقد ذكر الدكتور زياد أبو عمر في مقاله (حماس خلفية تاريخية وسياسية): " أنه قد إطلع على محضر إجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير في بغداد سنة 1990، وأنه قد ورد في هذا المحضر أن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد قامت في الماضي بتقديم الدعم المالي لحركة حماس مرة واحدة على الأقل، وكان ذلك بأمر من رئيسها السيد ياسر عرفات إذ جرى مدّ الحركة بمبلغ من المال لمساعدتها في مرحلة من المراحل". (5)

سابعا : الدعم الصادر عن الحركة الإسلامية العالمية

ذكرنا فيما سبق أن حركة حماس عرفت نفسها بأنها جزء من حركة الإخوان المسلمين إضافة إلى أنها حركة عالمية ومن خلال هذه العلاقة التي تربط حماس بحركة الإخوان المسلمين و من خلال رسالتها العالمية كان لا بد من حصول حماس على أموال من هذه المنظمات الإسلامية التي تربطها بها علاقات الصداقة أو علاقة إرتباط الجزء بالكل ، وفي اعتقادنا أن هذا الدعم الذي يأتي من هذه الجهات تسيطر عليه قيادة حماس في الخارج .

ثامنا : المساعدات والدعم الذي تقدمه الدول العربية

على الرغم من أن حركة حماس لم تفصح في أي وقت من الأوقات عن أية علاقة مالية لها مع أي من الدول العربية، إلا أن مصادر فلسطينية مطلعة تؤكد أن حركة حماس تلقت أكثر من مرة دعما ماليا من حكومات السعودية وبعض دول الخليج خاصة قبل أزمة حرب الخليج ، وتشير بعض المصادر الفلسطينية إلى أن بعض دول الخليج قد إستمرت في تقديم المساعدات والدعم لحركة حماس حتى بعد أزمة الخليج وما صاحبها من توتر في العلاقات الفلسطينية مع بعض دول الخليج وخاصة الكويت التي إتهمت الفلسطينيين بالوقوف إلى جانب العراق أثناء غزوه للكويت .

وقد ذكر الدكتور علي الجرباوي وفي معرض حديثه عن عوامل قوة القيادات التنظيمية للحركات الإسلامية أن "الدعم المالي والمعنوي الذي حصل عليه التيار الديني المحافظ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين من أطراف خارجية متعددة يعتقد بأن الأردن والسعودية من ضمنها" كان أحد أسباب هذه القوة. (6)

مظاهر الإنفاق :

رغم تعدد مصادر التمويل وإختلاف أحجامه إلا أن مظاهر الإنفاق أيضا تتعدد في الحركة، فهي تتوزع بين الإنفاق على مؤسسات الحركة وأعضائها وأسرهم وبين تطوير أداء الحركة على شتى الصعد، إضافة إلى تمويل فعاليات الحركة ولجانها العاملة من لجان إعلامية وسياسية وأمنية وإجتماعية... الخ، ناهيك عن العمل العسكري الذي يتطلب تمويلا كبيرا، ولا شك أن إتساع حركة حماس و إنتشارها وزيادة

نشاطها في مقاومة الاحتلال وخاصة في المجال العسكري أدى إلى زيادة إنفاق الحركة وبالتالي سيؤدي هذا إلى البحث عن مزيد من التمويل والدعم، وإذا ما أرادت حركة حماس أن تستمر بقوتها فإنها بحاجة إلى مزيد من الدعم والتمويل وبالتالي الحفاظ على مصادر تمويلها الحالية على الأقل والبحث عن مصادر تمويل إضافية .

الهوامش

1 . صحيفة القدس ، بتاريخ 1996/5/19 .

2 . صحيفة النهار المقدسية، بتاريخ 1996/6/1 .

3 . المرجع السابق، بتاريخ 1996/8/9 .

4 . صحيفة القدس، بتاريخ 1996/8/14 .

5 . أبو عمر ، زياد ، حماس خلفية تاريخية وسياسية ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 13، لسنة1990، ص 93.

6 . الجرباوي، علي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، بيروت، دار الطليعة، نيسان 1989، ص 53.

بين الداخل والخارج

ذكرنا سابقا أن حركة المقاومة الإسلامية حماس قد تشكلت عام 1987داخل الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة وبالتحديد في قطاع غزة، وقد أسسها عدد من قادة المجمع الإسلامي وحركة الإخوان المسلمين في فلسطين وعلى رأسهم مؤسس الحركة الأول وقائدها الشيخ أحمد ياسين، ولم تعرف حماس أي نوع من القيادة الخارجية المركزية حيث تركزت قيادتها في شخوص من داخل قطاع غزة والضفة الغربية حتى عملية الإبعاد التي قامت بها إسرائيل لعدد كبير من قادة حماس، فقد ظهرت في هذه الأثناء قيادة لحركة حماس في الخارج بشكل علني وملحوظ وقد كان على رأس هذه القيادة الدكتور موسى أبو مرزوق الذي كان يرأس المكتب السياسي لحركة حماس، ثم ما لبث أن قاد هذا المكتب السياسي السيد خالد مشعل فيما بعد، وقد برز عدد من هذه الشخصيات التي حملت على عاتقها قيادة حماس على الأقل إعلاميا حيث برز الشيخ إبراهيم غوشة كناطق باسم الحركة، إضافة إلى السيد محمد نزال الذي برز كممثل للحركة في الأردن، كما برز ممثلون لحماس في بعض الدول العربية والإسلامية، ورغم أن حماس هي حركة وليدة الداخل الفلسطيني قيادة وعناصر وفعلا، إلا أن قيادة حماس في الخارج التي برزت بقوة، شكلت في مرحلة من

المراحل قوة فعلية في قيادة حماس، ولا نغالي إذا ما قلنا أنها كانت في فترة من الفترات هي القيادة الفعلية والوحيدة لحركة حماس .

إذاً كيف نشأت هذه القيادة في الخارج وكيف أصبحت قيادة متنفذة، يقول الدكتور محمود الزهار الناطق الرسمي لحركة حماس طيلة سنوات عديدة وأحد أبرز رموزها وقادتها السياسيين عن تشكيل قيادة لحماس في الخارج "الظروف هي التي فرضت هذا الواقع،والضربات المتكررة ضد حماس في 88 ، 89، 90، الإبعاد في عام 92 والعمل العسكري وما صاحبه من حملات عنف ضد عناصر حماس". (1)

لقد أدت الضربات التي تعرضت لها حركة حماس خصوصا في السنتين الأولتين من عمرها إلى خلق قيادة لها في الخارج، حيث كادت حماس أن تنتهي بالفعل إثر هذه الضربات الأمنية، فبعد أن قامت قوات أجهزة أمن الاحتلال الإسرائيلي بإعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد كبير من مساعديه وقادة أجهزة حماس الأمنيين والعسكريين عام 1989 بعد عمليتي خطف وقتل الجنديين الإسرائيليين (أفي سبورتس وايلان سعدون)، أصبحت حركة حماس مشلولة تماما فأعضاء حماس الذين لم يتم إعتقالهم في هذه الحملة جمّدوا نشاطهم، أما الآخرون فقد بدأوا بالتحرك بسرية تامة وتخفوا بشدة بعيدا عن الأنظار .

بعد شهرين من عملية الاعتقال ونتيجة للفجوة والفراغ الذي أصبح يسود قيادة حماس الداخلية تحركت عناصر مؤيدة ومساندة لحماس في الخارج ، من أجل تشكيل قيادة جديدة وتجنيد عناصر قيادية جديدة للحركة في الداخل، وقد بدئ هذا التحرك بعد أن تمت

إتصالات بين قيادات حماس المعنوية في الأردن ، هذه القيادات التي لم تكن ظاهرة بقوة كبيرة على الصعيد القيادي لحماس كما ذكرنا آنفا .

تحرك وفد من مناصري حماس من أمريكا إلى الأردن، وبعد أن تم إتخاذ قرار المساندة، تم إختيار أعضاء الوفد الذي سينتقل إلى الأرض المحتلة لبدء العمل، وبالتأكيد كان هذا الوفد سيضم أعضاء ممن يحملون الجنسية الأمريكية لسهولة الحركة والوصول إلى أهدافهم داخل الأرض المحتلة.

في بداية سبتمبر عام 1989 وصل الدكتور (موسى أبو مرزوق) إلى قطاع غزة عن طريق مطار اللد الإسرائيلي في تل أبيب، وبعد أن توجه إلى منزل عائلته في رفح بدأ نشاطه من أجل ترميم الحركة .

إجتمع أبو مرزوق مع ستة من نشطاء حركة حماس في منزل أحدهم برفح في قطاع غزة، بعد الجلسة الأولى أصبح هؤلاء الستة قادة حركة حماس الجدد .

تم تقسيم القطاع إلى مناطق عمليات وفقا للتشكيل السابق الذي وضعه الشيخ أحمد ياسين مع بداية إندلاع الانتفاضة، حيث تم تقسيم القطاع إلى خمس مناطق هي : منطقة شمال غزة، منطقة جنوب غزة، المنطقة الوسطى، منطقة خانيونس، منطقة رفح، وقد أطلق على الهيئة المسؤولة عن العمليات في قطاع غزة اسم (المكتب الإداري العام) .

بعد إنجاز المهام في قطاع غزة إنتقل أبو مرزوق ومن حضر معه إلى الضفة الغربية و إجتمع مع عدد من قياداتها وتم تشكيل مكتب إداري للضفة الغربية، وتم تقسيمها إلى سبعة مناطق هي: الخليل، بيت لحم، القدس، رام الله، نابلس، طولكرم، جنين .

تم إقامة هيئة قيادية مشتركة بين الضفة والقطاع ، سمي هذا المكتب المشترك (مكتب الضفة والقطاع) و تم تعيين أحد قيادات حماس كمسؤول عن الاتصال بين المكتبين.

بعد إكتمال الترتيب الإداري للقيادة الجديدة لحماس والتي سيكون إتصالها المباشر مع قيادات الخارج وخاصة الدكتور (أبو مرزوق)، تم تحديد طبيعة عمل الحركة من خلال أربع قطاعات هي :

قطاع الأمن، قطاع النشر (جهاز الإعلام)، قطاع العمليات (جهاز الأحداث)، قطاع الإدارة .

أدى ظهور (أبو مرزوق) بعد غياب الشيخ ياسين إلى تركيز كافة عمليات الحركة بين يديه، وبهذا إنتقل ثقل القيادة من الداخل إلى الخارج، وقد أدى هذا التحول في مركز القيادة إلى وجود رغبة لدى القيادة الجديدة في الخارج لاقامة هيكل جديد يظل مركزه الخارج بهدف إحكام السيطرة على أمور الحركة، وقد تكون هذا الهيكل كما أشرنا سابقا من ثلاثة أفرع رئيسة هي المكتب السياسي، لجنة الدعوة (اللجنة العالمية)، لجنة الجهاد .

وقد سعى قادة حماس في الخارج كما سيبدو لاحقا إلى محاولة إمتلاك زمام المبادرة في أيديهم محاولين إتباع نهج قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تتركز في الخارج بينما كانت قيادات الداخل هي من قيادات الصف الثاني أو من القيادات الميدانية بإستثناء عدد من القيادات التي كانت في الداخل وكانت تتولى مناصب عليا في اللجان المركزية أو التنفيذية لهذه المنظمة أو تلك، ولكن نسي قادة حماس في الخارج أن تجربة منظمة التحرير تختلف كلية حيث إن

منظمة التحرير قد تأسست أساسا في الخارج، ومن ثم أخذت على عاتقها نقل نشاطها العسكري والسياسي ضد الاحتلال إلى الداخل، على عكس حماس التي تأسست في الداخل قيادة ونشاطا وعناصر .

ولكن ورغم ذلك فقد نجح قياديو حماس في الخارج بالتحكم في زمام أمور الحركة بشكل كلي، إلى درجة انهم أقدموا في بعض الاحيان على تجاهل قيادة حماس في الداخل، خاصة مع أوائل قدوم السلطة الوطنية حين حاولت قيادة الخارج تمرير عدد من الأفكار المتعلقة بمواجهة السلطة مباشرة، رغم أن هذه الآراء كانت لا تحظى بقبول من قيادة حماس الداخلية، وقد أدى هذا إلى بروز الخلافات بشكل واضح بين قيادة حماس في الداخل والخارج، وكادت الأمور أن تصل إلى حد القطيعة أو الانفصال لولا أنه تمت تسوية الأمور بين الطرفين، وقد بدأت هذه الخلافات تأخذ شكلها العلني عندما بدأ بعض قادة حماس من الداخل بالإعراب عن نواياهم بضرورة وقف العمليات العسكرية من قبل الجهاز العسكري لحماس، من أجل إعطاء فرصة للسلطة الوطنية في مواجهة المزاعم الإسرائيلية، هذه الدعوات أو هذا الموقف لم يكن يعجب قادة حماس في الخارج، حيث كان قادة حماس في الخارج يسعون بكل جهودهم لإحراج السلطة الفلسطينية حتى ولو بفتح جبهة صدام داخلي مع السلطة مباشرة، في محاولة لإفشال إتفاق أوسلو، وقد تمادت قيادة حماس في الخارج كثيرا في هذا الأمر، إلى درجة دعتهم إلى تشكيل جهاز سري لحماس وجهت إليه الأوامر من الخارج لضرب السلطة الوطنية الفلسطينية و مهاجمتها، وقتل عدد من قادتها وأفرادها، وقد جاء تشكيل هذا الجهاز من قبل قيادة الخارج بعد أن رفض مسؤولو الكتائب تنفيذ تعليمات قيادة الخارج

بالاعتداء على قادة السلطة وقتل بعضهم، وقد أعرب مسؤولو الكتائب في الداخل أن الدم الفلسطيني حرام علينا إراقته، ونحن لم نقم بمقارعة الاحتلال عسكريا من أجل الوصول إلى مرحلة نقوم بها بإراقة الدم الفلسطيني .

وقد كتبت صحيفة المنار المقدسية حول هذا الموضوع تحت عنوان (حماس الداخل .. أهل مكة أدرى بشعابها) ما يلي : "وكانت السلطة الوطنية قد إعتقلت أعضاء تنظيم سري تخريبي خطط لتنفيذ عمليات إغتيال في الساحة الفلسطينية وضرب الوحدة الفلسطينية، وأعضاء هذا التنظيم شكلته طهران عبر متزعمي حماس في الخارج، ونجحوا في إغتيال خمسة من أفراد الأمن، وقد ألقي القبض عليهم وطرحوا أمام المحققين إعترافات مذهلة" . (2)

وقد إنفجرت الأمور تماما بين قيادتي حماس بعدما كان الدكتور محمود الزهار المتحدث باسم حركة حماس قد وجه بتاريخ 1996/5/17 نداء إلى كتائب عز الدين القسام -الجناح العسكري لحركة حماس- قائلا لهم: "نناشدكم ونطالبكم بأن لا تقوموا بأية خطوة في هذه الأيام القليلة التي تسبق إنتخابات إسرائيل، لنحافظ على صورتنا وكي لا نتهم أننا أداة تخدم أي نظام".(3)

وقد نشرت صحيفة الأيام بعد ذلك بعدة أيام خبرا تحت عنوان : (تعقيبا على بيان حماس وتصريحات غوشة.. الزهار للأيام لن أرد على هذه المهاترات.. وليقولوا ما يقولون) جاء فيه أن الدكتور محمود الزهار الناطق بلسان حركة حماس رفض الرد على بيان للحركة وتصريحات لإبراهيم غوشة ممثل حركة حماس في عمان إعتبرته أنه لم يعد ناطقا باسم هذه الحركة .(4)

أما صحيفة المنار فقد نشرت تحت عنوان : (خلافات حادة داخل حماس ... إتهامات وتضارب في البيانات وزعماء الخارج يفصلون زعماء الداخل) مقالا مطولا جاء فيه : "إن حدة الخلافات داخل حركة حماس قد تصاعدت ووصلت إلى حد تبادل الاتهامات بين قادتها، ولوحظ بشكل واضح الهوة بين قادة الحركة في الداخل وبين قادتها في الخارج، وصدرت بيانات متناقضة يدعي كل طرف أن البيان الذي صدر عنه هو الذي يمثل توجه الحركة"، وقد جاء في هذا المقال أيضا أن : "مصادر مطلعة تقول إن قياديين من حركة حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة وبعض القادة الذين هربوا من طهران ودمشق، لديهم الرغبة في إستئناف الحوار مع السلطة الوطنية على قاعدة إحترام الالتزامات التي تعهدت بها منظمة التحرير الفلسطينية عندما وقعت على إتفاق أوسلو، وتضيف هذه المصادر أن بعض قادة حماس في الخارج بدعم عدد من الدول والأجهزة، ينوون تشكيل تنظيم جديد لمواصلة أعمال العنف ومعاداة السلطة الوطنية، بعد أن أدركوا إبتعاد كوادر الحركة في الساحة الفلسطينية عنهم" .(5)

قيادة حماس في الداخل أصرت على مواقفها بعدم فتح جبهة داخلية مع السلطة الوطنية، وقد أرغم هذا الموقف فيما بعد قيادة حماس في الخارج على الانصياع إليه، خاصة بعد أن إعتقلت أجهزة الأمن في السلطة الوطنية عددا من عناصر وقياديي حماس الذين ثبت من خلال التحقيق معهم أنهم تورطوا في عضوية تنظيم عسكري سري خارجي، جاءت تعليماته من قيادات حماس في الخارج، وكانت التعليمات تهدف إلى تصفية عدد كبير من قادة السلطة الوطنية وقادة فتح ومسؤوليها .

ورغم تجاوز هذه الأزمة بين الطرفين في ذلك الوقت، إلا أن قيادة حماس في الخارج كانت ما تزال تصر على أن يكون لها اليد الطولى في قيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس، ولان قيادة حماس في الخارج كانت ما تزال تتمتع بنفوذ قوي على صعيد القيادة الكلية لحماس، حيث إنها تتحكم بشكل كبير في أموال الحركة، فان السلطة الفلسطينية ولتجاوز أزمتها مع حماس فتحت حوارا مع قيادة حماس في الخارج و إلتقى ممثلون عن السلطة الوطنية مع قادة حماس الخارج في القاهرة في حوار لم يتمخض عن أي شيء يذكر بين الطرفين، ثم تعددت اللقاءات في حوار الأردن الذي إلتقى فيه ممثلو حماس الخارج مع قيادة السلطة الفلسطينية، في محاولة للتوصل إلى إتفاق أو صيغة للتفاهم تمنع نشوب أية مواجهة بين الطرفين، ورغم تقريب وجهات النظر بين الطرفين إلا أن كل هذه اللقاءات لم تفلح في عقد إتفاق رسمي بينهما، ولم يسجل في هذا الإطار -إطار حوار حماس الداخل والخارج مع السلطة- سوى مسودة الاتفاق التي توصل إليها قادة السلطة الوطنية وقيادة حماس في الداخل، والتي تناولتها صحيفة الحياة الجديدة تحت عنوان : (الشيخ أحمد ياسين وقيادات الداخل باركوا الاتفاق ...التوصل لمسودة إتفاق بين السلطة الوطنية وحماس) بقولها : "كشفت مصادر مقربة من حركة حماس النقاب عن توصل قيادة الداخل في الحركة لمسودة إتفاق مع السلطة الوطنية تنهي حالة التوتر القائمة منذ موجة العمليات الانتحارية التي شهدتها إسرائيل قبل ثلاثة أشهر، ويزيل العقبات التي إعترضت طريق الحوار الذي بدأ عمليا حسب ما أكدته تلك المصادر بوساطة الوزير الفالوجي بين الرئيس عرفات وقادة حماس في الداخل بما فيهم المعتقلون، وأضافت تلك المصادر أن الاتفاق يشمل أيضا حركة الجهاد الإسلامي،

ويرتكز على أساس الاحترام المتبادل وإتباع الحركتين لوسائل ديموقراطية سياسية في معارضة إتفاق أوسلو، و أضافت تلك المصادر بأن إتصالات مكثفة يقوم بها قادة حماس الذين أفرج عنهم مؤخرا مع نظرائهم في الضفة الغربية، لبلورة برنامج موحد وفاعل تجاه موقف قيادة حماس في الخارج التي أعلنت من عمان رفضها ما سمته بالتنازلات والتجاوزات التي تقوم بها قيادة الداخل، وعلمت الحياة الجديدة أن الشيخ أحمد ياسين حمّل الشيخين سيد أبو مسامح وحسن شمعة رسالة للرئيس ياسر عرفات أكد فيها موافقته ومباركته للمبادرة ومسودة الاتفاق، كما حملت الرسالة شكر الشيخ ياسين وتحياته للرئيس عرفات قائلا: أهديك أخي الرئيس سلامي وتحياتي وأسال الله أن يأتي اليوم الذي أكون فيه إلى جانبك لكي نعمل سويا لما فيه مصلحة شعبنا... وقد أضافت جريدة الحياة الجديدة في خبرها هذا أن الوزير الفالوجي الذي يقوم بوساطة منذ عامين بين السلطة وحماس قد وصف موقف حماس في الخارج باللامسؤول قائلا: إن موقف قيادة الخارج لا يخدم جماهير حماس ولا مصلحة الحركة ومستقبلها، فالقيادة التي إكتوت بنار الاحتلال وأسست حركة حماس ودفعت ثمنا باهظا من الشهداء والجرحى والمعتقلين، هي الأقدر على إتخاذ القرار السليم والحكيم الذي يخدم المصلحة العامة ومصلحة الحركة" .(6).

رغم تجاوز الأزمة بين قيادة حماس الداخل والخارج ورغم إنتصار وجهة نظر الداخل في ذلك الوقت بعدم فتح أية جبهة إقتتال داخلية مع السلطة الفلسطينية وفرض وجهة النظر هذه -حتى فيما بعد- كأساس لعلاقة السلطة وحماس، إلا أن قادة حماس في الخارج كانوا يصرون على أن تظل زمام أمور الحركة بين أيديهم، حتى بعد أن خرج

زعيم الحركة ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين ، إثر توصل الملك الراحل حسين بن طلال عاهل المملكة الأردنية الهاشمية إلى إتفاق مع الإسرائيليين على إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين مقابل تسليم عناصر الموساد الإسرائيلي الذين تم إعتقالهم في الأردن، بعد محاولة إغتيال خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحماس في الأردن، مع تسليم إسرائيل الأردن للترياق المضاد للسم الذي حاول عناصر الموساد قتل خالد مشعل به. وبعد خروج الشيخ أحمد ياسين من السجن قامت قيادة الخارج باستضافة الشيخ أحمد ياسين في جولة عربية وعالمية أراد من خلالها قادة حماس في الخارج زيادة شعبية الحركة من جانب، وزيادة علاقاتها ونفوذها عبر زيارة الشيخ أحمد ياسين لقادة هذه الدول العديدة وتنسيق مواقف للحركة معها، وتوطيد علاقاتها أو زيادتها مع هذه الدول، كما هدفت قيادة حماس في الخارج من هذه الزيارة أيضاً إلى إضفاء شرعية على وجودها كقيادة لحركة حماس في الخارج، وذلك من خلال وجودهم إلى جانب الشيخ أحمد ياسين في زيارته لهذه الدول، ولم يخف قادة حماس في الخارج هذا الأمر بل أعلنوه صراحة، وقد كانت الرسالة واضحة تماما عندما علّق خالد مشعل رئيس المكتب السياسي على سؤال أحد الصحفيين في لقاء تلفزيوني له في إحدى المحطات الفضائية المشهورة حول هل يعتبر الشيخ أحمد ياسين قائد حركة حماس ؟؟ بقوله: "إن الشيخ أحمد ياسين هو مؤسس الحركة وزعيمها الروحي وهو أحد قادة حماس" . كانت الرسالة واضحة بأن قيادة الخارج ما زالت تصر على أنها تمثل الصف القيادي الأول لحماس وأنها تقف في رأس الهرم .

ومن أجل المحافظة على هذا المكان لقياديي الخارج في أعلى سلم حماس القيادي فقد أدرك قادة حماس في الخارج أنهم يجب عليهم

لكي يظلوا ممسكين بزمام المبادرة في قيادة الحركة، أن يسعوا لاقامة جهاز عسكري أو خلايا عسكرية تتبع مباشرة لهم، وتتلقى التعليمات منهم ، لكي يتجاوزوا قضية عدم إنصياع قادة العمل العسكري في الداخل لهم عندما يحتاجون إلى تمرير أي مخطط خاص بهم، وقد افلحت قيادة حماس في الخارج كما تدلل المواقف وتشير المؤشرات من أن يكون لها خلايا عسكرية تؤتمر بأمرها مباشرة وتنفذ تعليماتها بعيدا عن رأي قيادة الداخل .

وقد يكون تنفيذ عناصر عسكرية من حركة حماس لعملية مهاجمة دورية عسكرية إسرائيلية قرب الحدود المصرية مع نهاية شهر فبراير من عام 2002 دليلاً على وجهة النظر التي طرحناها سابقا، خاصة وأن هذه العملية أتت بعد أن أعلن قادة حماس في الداخل وعلى لسان قائد الحركة و مؤسسها الشيخ أحمد ياسين إلتزامهم بوقف إطلاق النار الذي تحدث عنه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات .

ورغم هذا الإصرار من قيادة الخارج على تولي أمور الحركة القيادية وتحديد سياستها بعيدا عن رأي قيادة الداخل في بعض الاحيان، إلا أن الشيخ أحمد ياسين المعروف بتمتعه بشعبية كبيرة وتأثير قوي في صفوف عناصر وقيادات حماس في الداخل، والمعروف بقدرته على إمساك الأمور من زمامها بشكل قوي، أفلح بأن يمسك زمام الأمور بين يديه ليصبح بلا منازع رجل الحركة الأول وليس فقط مؤسسها وقائدها الروحي، هذا على صعيد الداخل، وقد تكون تلك الضربة التي تلقتها قيادة الخارج في الأردن قد ساعدت الشيخ ياسين على أن يفرض سيطرته على قيادة الحركة في الداخل، هذه الضربة القوية التي تلقتها قيادة حماس في الخارج والتي تمثلت بقرار العاهل

الأردني الملك عبد الله الثاني بترحيل قادة حماس البارزين إبراهيم غوشة و خالد مشعل من الأردن وإغلاق مكتب حماس فيها .

ورغم تماسك قيادة حماس على الصعيد الداخلي والخارجي على الأقل إعلاميا فان مصادر مطلعة في حركة حماس والسلطة الوطنية أكدت أن خلافات حادة كثيرا ما تحدث بين قائد الحركة الأول ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين وبين رئيس المكتب السياسي خالد مشعل، خاصة عندما تعرب حماس الداخل عن نيتها الالتزام بوقف إطلاق النار، أو عندما تبدي تفهمها لبعض القرارات التي تتخذها السلطة الوطنية بهذا الخصوص، الأمر الذي لا تريده أو ترغب به قيادة الخارج التي تسعى بكل جهدها إلى إحراج السلطة من أجل زعزعة أمورها وإظهار أنها لا تمثل الشعب الفلسطيني .

الهوامش

1 . مقابلة مع الدكتور محمود الزهار، صحيفة النهار، بتاريخ 27/5/ 1996 .

2 . صحيفة المنار، بتاريخ 27/5/1996 .

3 . صحيفة الحياة الجديدة، بتاريخ 18/5/1996 .

4 . صحيفة الأيام، بتاريخ 19/5/1996 .

5 . صحيفة المنار، بتاريخ 20/5/1996 .

6 . صحيفة الحياة الجديدة، بتاريخ 26/5/1996 .

حماس والمنظمة

كانت إنطلاقة حركة حماس الفعلية كما أسلفنا مع بداية الانتفاضة المباركة عام 1987، ولم يكن هذا التاريخ يتعلق بالانطلاق الفكري والقيادي لحماس، فقد برز النشاط الحقيقي لقادة الإخوان المسلمين كما ذكر سابقا بداية السبعينيات حين بدأ نشاط الإخوان المسلمين يزداد ويتسع بشكل حقيقي، من خلال مؤسسات المجمع الإسلامي وخاصة الجامعة الإسلامية، وقد تميزت علاقة الإخوان المسلمين بعناصر منظمة التحرير من كافة فصائلها في تلك الفترة بالتنافر أو التحدي، حيث كان كل طرف يسعى للسيطرة على ساحة الجامعة الإسلامية وإتخاذها منبرا له لترويج أفكاره ومبادئه وتأطير طلبة الجامعة لصالحه، وقد إتسعت ساحة المواجهة بين الطرفين مع إزدياد وإتساع ساحة التأطير الشبابي لفصائل المقاومة التابعة لمنظمة التحرير أو تلك التابعة للتيار الإسلامي حيث شملت هذه الساحة إضافة إلى الجامعة الإسلامية في غزة جامعات الضفة الغربية ومن ثم المدارس الثانوية وبعض المدارس الإعدادية في الضفة والقطاع .

خضع الطرفان في علاقتهما إلى الفلسفة التي إنتهجاها، ولما كانت هذه الفلسفة متباينة ومختلفة في طبيعتها الفكرية و العملية حيث

تبنت منظمة التحرير فكرة الدولة العلمانية وإتخذت الكفاح المسلح وسيلة لمواجهة الاحتلال، بينما تبنى الإخوان المنهج الإسلامي كفكرة -الذي يختلف مع العلمانية كفكرة- وإعتمد التربية والإعداد وسيلة .

هذا التباين في الأفكار أدى في كثير من الاحيان إلى خلق خلافات في وجهات النظر، تطورت هذه بطبيعتها إلى مصادمات ومواجهات فيما بعد، وقد بدأت الخلافات بشكل عملي عندما إستشعرت منظمة التحرير خطر إتساع شعبية الإخوان في قطاع غزة ومحاولتهم السيطرة على الجامعة الإسلامية والتفرد بها وإعتبارها قاعدتهم المستقبلية وهدفهم الاستراتيجي للتوسع والانتشار، كان ذلك في أواخر عام 1979 عندما حاولت المنظمة فرض مجلس أمناء جديد للجامعة بدلا من المجلس التقليدي الذي وضعه الشيخ محمد عواد مؤسس الجامعة، وقد كانت الشخصيات المرشحة لهذا المجلس من الشخصيات المعروفة بقربها وولائها للمنظمة .

أدرك الإخوان وفهموا سريعا معنى تحرك المنظمة باتجاه الجامعة، فقرروا التصدي الفوري لها ومنعها من تحقيق غايتها، و أفلحوا في ذلك من خلال مظاهرات إحتجاجية بدأت في مقر الجامعة في السادس من يناير 1980 وإنطلقت في مساء السابع إلى شوارع مدينة غزة لتهاجم بعض المقرات والمؤسسات والمحلات ودور السينما، إستمرت هذه المظاهرات عدة أيام وهي تجوب شوارع غزة وبلغ تأثيرها الضفة الغربية أيضا، حيث خرجت مسيرات مشابهة في العديد من مدن الضفة الغربية .

إستطاعت قيادة المجمع كسب هذه الجولة، وإستطاعت إحكام سيطرتها على الجامعة حتى عام 1982 بشكل قوي ومباشر، في هذا

العام بدأت قيادة المجمع تستشعر خطر بروز تيار إخواني معارض لها في الجامعة يتبنى فكرة الجهاد، وتنامى عناصر منظمة التحرير في الجامعة، وقد زاد الخطر حدة عندما إلتقى هذان التياران في مواجهة الاحتلال .

كانت الممارسة الديموقراطية تحكم علاقة الإخوان بالأطراف الأخرى حتى عام 1983، حين إستشعر الإخوان الخطر القادم، لذلك فقد بدأوا الاستعداد الجيد للمواجهة .

منظمة التحرير التي أدركت خطورة تفرد الإخوان في الجامعة، حركت عناصرها ونشطاءها للانضمام للجامعة وقد قوي التيار الوطني يوما بعد يوم، وعندما تشكلت حركة الشبيبة عام 1982 تغلغلت بشكل سريع إلى الجامعة وحققت تواجدا كبيرا وحقيقيا هدد تفرد الإخوان بالجامعة في المستقبل .

عناصر الإخوان أشهروا أسلحتهم البيضاء في مواجهة عناصر الشبيبة وعناصر الفصائل الأخرى التابعة للمنظمة مثل عناصر الجبهة الشعبية، وعناصر الجبهة الديموقراطية، وعناصر الحزب الشيوعي وهاجموا في الرابع من يونيو 1983 عدداً كبيراً من أنصار المنظمة في الجامعة بالعصي والجنازير و الأسلحة الحادة مما أدى إلى إصابة أكثر من مائتي طالب بجروح، لم تقتصر المواجهة بين الطرفين في هذه الفترة على الجامعة الإسلامية بل تعدتها لتشمل جامعة بيرزيت التي تعتبر معقلا للتيار الوطني الفلسطيني وقد أصيب خلال الأحداث التي وقعت هناك والتي رافقت أحداث الجامعة الإسلامية عدد من طلاب الجامعة .

إستمرت بعد ذلك حالة التوتر على أوجها بين الطرفين، وكانت المهرجانات الانتخابية التي كانت تقام في الجامعة فترة إنتخابات مجلس الطلاب تتسم بالحدة والتوتر و أحيانا كانت تصل إلى العنف .

وقد ذكر الدكتور زياد أبو عمر بعض هذه الأحداث التي جرت بين تيار المجمع و التيار الوطني في الجامعات فقال : "كانت جامعة النجاح مسرحا آخر من المواجهات والصدامات، ففي أواخر عام1981 شهدت الجامعة إشتباكات عنيفة بين الطلاب المنتمين لجماعة الإخوان والموالين لـ (م.ت.ف) وقد تفجر الصراع نتيجة لمطالبة الطلاب الوطنيين بإعادة أربعة محاضرين إلى وظائفهم بعد أن قامت إدارة الجامعة بفصلهم، وفي 9 يناير عام 1982 جرح أكثر من 25 شخصا في صدام مشابه في نفس الجامعة وحول نفس الموضوع، وجرى أثناء هذا الصدام إلقاء محمد حسن صوالحة المحاضر في الجامعة والمعروف بتعاطفه مع الاتجاه الوطني من الطابق الثالث، و أصيب على أثر ذلك بجروح خطيرة، وفي 14 يناير عام 1982 جرت مصادمات مماثلة في معهد البوليتكنيك في الخليل، وإمتدت هذه الصدامات إلى قطاع غزة حيث قام المتدينون في الحادي والعشرين من نفس الشهر بمهاجمة مقر جمعية الهلال الأحمر في القطاع وإحراق المكتبة التابعة للجمعية، وقد تكررت هذه الصدامات في جامعة بيرزيت عام 1984" . (1)

تتابعت حلقة المواجهة بين الطرفين ففي 4 يونيو عام 1983 وقعت مصادمات أخرى بين الطرفين على أرض الجامعة الإسلامية أصيب فيها قرابة 200 طالب بجروح .

إستغل أنصار المجمع الإسلامي عام 1984 مقتل الدكتور إسماعيل الخطيب (عميد شؤون الطلبة والتسجيل) في الجامعة الإسلامية في

ذلك الوقت والمعروف بقربه من تيار المجمع في تصعيد الأحداث من أجل زيادة الضغط على العناصر التابعة لمنظمة التحرير بهدف السيطرة على الجامعة، وكان إتهام قيادة المجمع لمنظمة التحرير بقتل الدكتور الخطيب محركا قويا ووقودا كافيا لزيادة التوتر .

تجددت المواجهات بين الطرفين بتاريخ 1985/3/5 عندما إعتدى طلبة من عناصر التيار الإسلامي التابع للمجمع على 35 عنصراً ومؤيداً من العناصر التابعة لفصائل منظمة التحرير في الجامعة الإسلامية مما أدى إلى إصابة عدد كبير منهم بجروح بالغة وخطيرة،كما تم الاعتداء على الأستاذ أسعد الصفطاوي -أحد الرموز والقادة البارزين لحركة فتح في فلسطين- بسيف في التاسع من نفس الشهر وقد أصيب في وجهه إصابة كادت أن تودي بحياته، وقد إتسمت العلاقة بين الطرفين منذ تلك اللحظة وحتى إنطلاق الانتفاضة المباركة بالمد والجزر .

مع إنطلاقة الانتفاضة المباركة تجددت حالة التوتر بين حماس وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية التي إتخذت لنفسها إطارا جديدا هو (القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة)، حيث سعى كلا الجانبين من طرفه إلى تأكيد أسبقيته وأولويته في قيادة الانتفاضة من خلال البيانات التي كانت تصدر عن الجانبين والتي سعى كل طرف من خلالها إلى فرض قدرته على الشارع من خلال الإعلان عن الفعاليات اليومية والإضرابات، وقد ظهرت الخلافات بين منظمة التحرير وحماس بحدة في أيلول 1988 عقب نشر حماس بيان في شهر أغسطس من نفس العام دعت فيه المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى تنفيذ إضراب عام في موعد مغاير للموعد الذي حددته

القيادة الوطنية الموحدة، وردا على ذلك أصدرت القيادة الوطنية بيانا في سبتمبر تضمن إدانة واضحة لتوجيهات حماس، ووصف الدعوة إلى الإضراب أنها خطوة تخدم العدو وتساعد في شق الصف الفلسطيني، ودان البيان أيضا أنصار حماس لمحاولتهم تنظيم إضراب تجاري وسيلة لفرض سلطتهم على السكان من خلال التهديد باستخدام القوة.(2)

منظمة التحرير الفلسطينية وفي محاولة لتوحيد الصف الفلسطيني وتجاوزا للخلافات التي قد تحدث، دعت حماس للمشاركة في إطار القيادة الوطنية الموحدة، ولكن حماس رفضت ذلك، وقد ورد في محضر إجتماع الخرطوم بين فتح وحماس في يناير عام 1993 أن ياسر عرفات في إحدى الجلسات تحدث إلى المجتمعين قائلا: "بعد إنطلاقة الانتفاضة التي جاءت ولم تكن حماس موجودة لكن بعد ظهور حماس دعوناها لدخول القيادة الموحدة، فآثر الاخوة الذين كانوا يتولون المسؤولية قبل إخواني الموجودين هنا أن يكون التنسيق من خلال فتح". (3)

كانت المنظمة تسعى بكل جهدها إلى إدراج حماس ضمن صفوفها من أجل إحتوائها أو من أجل ترتيب البيت الفلسطيني وتوحيد الجهود لمواجهة الاحتلال بدلا من الدخول في خلافات وصراعات جانبية، وقد وجّه في هذا السياق رئيس المجلس الوطني الفلسطيني دعوة رسمية لحركة حماس للمشاركة في أعمال اللجنة التحضيرية للمجلس مع بداية عام 1990 حيث كانت المنظمة تستعد لعقد دورة جديدة للمجلس الوطني في العام المقبل، حماس رفضت المشاركة في اللجنة و أرسلت عوضا عن ذلك مذكرة بتاريخ 1990/4/7 تحدثت فيها عن شروط

دخولها للمنظمة ومشاركتها في المجلس الوطني والتي حددتها حماس بـ : "أن يتم إنتخاب أعضاء المجلس لا تعيينهم، وفي حالة تعذر الانتخاب يتعين أن يعكس التشكيل الجديد للمجلس أوزان القوى السياسية الموجودة على الساحة وحددت وزنها من 40٪ إلى 50٪". (4)

كان التنافس شديدا بين الطرفين، وقد أدى هذا التنافس إلى إحتقان النفوس مع مرور الوقت وزيادة التنافر، وقد حاولت قيادة المنظمة وممثلو حماس في الخارج الالتقاء من أجل جسر هوة الخلاف، وقد توصل الطرفان إلى إتفاق في عمان في الثالث عشر من يوليو، إلا أن هذا الاتفاق لم يوثق ولم يكتب له النجاح حيث إنفجرت الأمور في سبتمبر من عام 1990 عندما حدثت أعمال عنف بين الطرفين "وما لبثت الخلافات التي تراكمت بين المنظمة وحماس أن تحولت في أيلول 1990 إلى عنف جسدي ضد أنصار بعضهما البعض، وخصوصا في قطاع غزة و طولكرم". (5)

إثر هذه المواجهات عادت قيادة المنظمة لمحاورة ممثلي حماس في الخارج من أجل التوصل لتفاهم بين الطرفين، وقد إستطاع الطرفان الوصول إلى (ميثاق شرف) بينهما في الحادي والعشرين من سبتمبر عام 1990، إشتمل هذا الميثاق على 13 بندا ودعا إلى "تنسيق الجهود في مواجهة العدو الصهيوني بما يعزز الوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة حرية الرأي والاجتهاد الفكري والسياسي، كما دعا الميثاق لتشكيل لجنة مركزية مشتركة بين فتح وحماس و أخرى فرعية لحل الخلافات وتطوير العمل المشترك، وإعتماد الحوار البناء وسيلة لفض المنازعات وإنهاء المشاكل واعتماد الحوار البناء وسيلة لفض المنازعات وإنهاء المشاكل العالقة وحشد الطاقات ضد العدو الصهيوني" .(6)

ساد الهدوء أجواء ومناطق القطاع والضفة الغربية بعد توقيع ميثاق الشرف بين الطرفين ولكن حدة المواجهة والتوتر لم تخف حيث إنتقلت إلى أماكن أخرى، فقد أصبحت المؤسسات وإنتخاباتها هي ساحة المواجهة، لان الانتخابات إعتبرت في ذلك الوقت مقياسا حقيقيا يعبر عن حجم القوى ومناصرة الشارع لهذه القوى أو تلك .

بعد فترة قصيرة تجدد التوتر بين الطرفين عام 1991 عندما أصدرت الفصائل العشرة بيانها الذي دعت فيه الجماهير إلى تنفيذ إضراب شامل إعتراضا على مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط، حدثت المواجهات بين الطرفين فقتل شخص و أصيب ثلاثة آخرون بجراح .

تصاعدت في فبراير 1992 الأحداث حين تعالت أصوات لشخصيات وطنية وقيادية بارزة منددة بظاهرة تصفية العملاء العشوائية التي قامت بها حماس في ذلك الوقت، والتي تزعمتها كتائب القسام، خاصة الفرق التي كان يقودها كمال كحيل الذي ينسب إليه تصفية عدد كبير جدا من العملاء .

بدأ نشطاء سياسيون ووطنيون في قطاع غزة حملة لما أسموه (تجاوزات وسلبيات في أسلوب عمل الانتفاضة)، أقام هؤلاء إجتماعات عامة وخطب جماهيرية ومؤتمرات أعربوا فيها عن سخطهم لما يحدث وحاولوا لفت نظر قيادات الفصائل العاملة على الساحة لما يحدث ونتائجه السلبية والعكسية على النضال و المواطن الفلسطيني .

كان من بين من تزعموا هذه الحملة الدكتور حيدر عبد الشافي وتوفيق أبو خوصة المعروف أنه قيادي بارز في حركة فتح وأحمد

مؤسسي القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة . هذا الأمر دعا كتائب عز الدين القسام إلى قتل عملاء و إلقائهم أمام منزل (أبو خوصة) كتحذير له جراء الحملة الشعبية التي يتزعمها .

حاولت قيادة فتح وممثلو حماس في الخارج الدعوة لاعلان ميثاق شرف جديد تلتزم فيه كل الفصائل ولكن الدعوة ذهبت أدراج الرياح حيث إنفجر الموقف من جديد في 1992/6/28 بين فتح وحماس بعد سلسلة من رسائل التهديد التي أرسلتها حماس لنشطاء وقياديي فتح، وقد حملت هذه الرسائل توقيع (عز الدين القسام).

إنطلقت حماس في رسائل تهديدها مدعية أنها كشفت مخططا سريا أعدته حركة فتح لاغتيال وتصفية قادة حماس، أرسلت حماس أكثر من 400 رسالة إلى نشيطي فتح وقادتها وقد أرسلت إحداها لي شخصيا حيث كنت من المحسوبين على حركة فتح في قطاع غزة .

وحيث إنني كنت أحد الصحفيين النشيطين إعلاميا من خلال مكتبي الإعلامي الذي كنت أملكه مع آخرين في ذلك الوقت، إضافة إلى كوني من المقربين من قيادات فتح الميدانيين في الداخل والمسؤولين في الخارج فإنني أجزم بأن إدعاء حماس بوجود مخطط لتصفية قادتها لم يكن صحيحا البتة .

أذكر هنا كيف قوبلت هذه الرسائل باستهجان شديد من قبل قيادات فتح الذين بدا واضحا لهم أن هذه الرسائل تمثل تهديدا وتحديا حقيقيا لوجودهم في الشارع الفلسطيني، لذا فقد تحركت مجموعات من الجهاز العسكري للحركة والذي كان يلقب بـ (الفهد الأسود) إضافة إلى عدد من المسلحين المطلوبين للسلطات الإسرائيلية

لمواجهة هذه الرسائل الحمساوية، وقد قام هؤلاء المسلحون بإطلاق النار تحذيريا على بعض قيادات حماس البارزين أو على منازلهم .

إزداد التوتر بين الطرفين حيث بدأ كل طرف في تصعيد مواجهته للآخر في محاولة لفرض قوته، وقد بات واضحا أن الأمور في طريقها للخروج عن السيطرة، الأمر الذي قد يقود الطرفان إلى الانجرار إلى حرب شعبية أو مواجهة شاملة بينهما، حيث مورست سلسلة من الاعتداءات من الطرفين: خطف عدد من قادة حماس، إعتداء على منازل قياديين من فتح، اطلاق الرصاص، مهاجمة الأفراد والقيادات من الطرفين، إصابة عدد كبير وسقوط جرحى كثيرين وقتلى؛ ونتيجة لذلك خيّم السواد في قطاع غزة خاصة خانيونس التي إعتبرت بؤرة توتر هذه الأحداث .

وصلت الأمور إلى الذروة، الأمر الذي استدعى تدخل وسطاء ووجهاء من فلسطينيي عرب 1948 فتشكل وفد وساطة ضمّ عدداً من قادة العمل السياسي من عرب فلسطين 1948 من ضمنهم الشيخ نمر درويش، والشيخ رائد صلاح، وعدداً من أعضاء الكنيست (الإسرائيلي) العرب منهم هاشم محاميد، وطلب الصانع، وعبد الوهاب دراوشة، وقد تشكلت لجنة حوار من الطرفين المتنازعين ضمت من قادة حركة فتح كل من الدكتور زكريا الآغا والشهيد القائد فيصل الحسيني والشهيد القائد محمود أبو مذكور (أبو ظافر) وعدداً آخر من قادة حركة فتح الميدانيين،كما ضمت اللجنة من حركة حماس كل من الدكتور محمود الزهار والدكتور عبد العزيز الرنتيسي وقادة آخرين من حركة حماس، وضمت اللجنة أيضاً رئيس الوفد المفاوض في مدريد الدكتور حيدر عبد الشافي، وقد إستطاعت هذه اللجنة مع وفد الوساطة أن توقع صلحا بين الطرفين أدى إلى إنهاء النزاع فيما بينهما في الثالث عشر من يوليو 1992.

وبعد قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية إثر إتفاق أوسلو كانت حماس قد بدأت مرحلة جديدة في علاقتها مع منظمة التحرير حيث أصبحت الآن قيادة منظمة التحرير وعدد كبير من عناصرها موجودة داخل الأراضي الفلسطينية التي إنسحبت منها إسرائيل، وحيث إن حماس كانت ترفض إتفاق أوسلو فبالتالي رفضت الدخول والمشاركة في السلطة الوطنية الفلسطينية وظلت ترفع خيار المقاومة ضد الاحتلال، إلا أن قيادة حماس السياسية أدركت أن أساليب العمل الآن قد إختلفت تماما عما قبل، حيث إن المواجهة مع الإسرائيليين لم تعد كسابقتها، لأنّ الإسرائيليين قد إنسحبوا من نقاط التماس والاحتكاك التي كانت تمثل أرض المواجهة في فترة الانتفاضة ولم يعد لهم وجود داخل المدن الفلسطينية كما في السابق خاصة في قطاع غزة ، وقد إقتصر وجودهم على المستوطنات، وعلى الدوريات المشتركة مع السلطة في المناطق المشتركة التي أطلق عليها مناطق (ب، ج) حيث كان للإسرائيليين سيطرة أمنية فقط على مناطق (ب) وسيطرة أمنية وعسكرية وإدارية على مناطق (ج)، كما أدركت حماس أن اتفاقية أوسلو قد تطلبت إستحقاقات أمنية مطلوبة من السلطة الوطنية للإسرائيليين، تمثلت هذه الاستحقاقات بعدم شنّ هجمات ضدهم من المناطق التي أصبحت السلطة الوطنية تسيطر عليها .

في ظل هذا الفهم المزدوج لطبيعة تغيير طرق الصراع والمواجهة مع الإسرائيليين ولطبيعة إلتزامات السلطة وجدنا أن حماس قد بدأت في تغيير أسلوبها في التعامل،وقد راهنت حماس على عدم نجاح السلطة بشكل تام، لان الإسرائيليين لن يلتزموا بتعهداتهم وإتفاقياتهم وسيماطلون في تنفيذها، كما أنها أرادت في نفس الوقت ألا تظهر

عداء واضحا ومباشرا للسلطة، لذا فان حماس قررت إختبار السلطة الوطنية من خلال إنبثاق حزب سياسي عنها، سيكون هذا الحزب بمثابة إختبار لكيفية معاملة السلطة وأدائها معه .

قام عدد كبير من قيادات حماس بإنشاء حزب سياسي هو (حزب الخلاص الإسلامي) هذا الحزب تشكل رسميا وأخذ رخصة من السلطة الوطنية الفلسطينية على غرار عدد آخر من الأحزاب التي شكلتها فصائل أو أشخاص آخرون .

بتشكيل حزب الخلاص إستطاعت حماس أن تجيب على سؤال هام كان مطروحاً في الساحة الفلسطينية وهو هل ستتحول حماس إلى حزب سياسي وتنخرط في السلطة أم أنها ستظل حركة مقاومة وتبدأ في مواجهة السلطة وإسرائيل معاً؟

كان تشكيل حزب الخلاص قد أثار سؤالا هاما لدى أوساط عديدة في السلطة الوطنية الفلسطينية وهو هل أن حزب الخلاص هو حزب للخلاص من حماس أم للخلاص من السلطة؟؟ لقد ثبت فيما بعد أن حماس قد نجحت في تشكيلها حزب الخلاص من الخروج من مأزق السؤال الأول الذي كان في حالة عدم القيام به سيشكل معضلة كبيرة قد تودي بحركة حماس إلى الانشقاق أو التحلل أو على الأقل فقدان شعبيتها بين عناصر الحركة الذين ظهر منهم تيار طلب من حماس أن تشارك في السلطة التي كانت تمثل رمزا لانتصار الانتفاضة الفلسطينية التي إستمرت سبع سنوات طويلة من النضال كان لحماس نصيب كبير فيها، فلماذا لا تساهم حماس في هذا الإنجاز الذي حصدته الانتفاضة؟ !.

لم تكتف حماس بتشكيل حزب الخلاص لتفادي مأزق عدم المشاركة في السلطة، بل قامت بالسماح لعدد من نشطائها وكوادرها بالمشاركة في إنتخابات المجلس التشريعي، ولكن هؤلاء النشطاء الذين فاز عدد كبير منهم شاركوا في هذه الانتخابات بصفتهم مستقلين وليسوا كحماس حيث إن حماس أرادت أولا وآخراً أن تحافظ على وجودها كحركة مقاومة.

السلطة الوطنية الفلسطينية من جهتها كانت تعنى كثيرا بمشاركة حماس في الانتخابات أو في السلطة ولكن وفق معادلة تضمن إحتواء حماس والسيطرة عليها، حيث إن منظمة التحرير فضلت أن تظل السلطة الوطنية ممثلة من فصائلها و قياداتها التاريخية، خاصة قيادات حركة فتح، لذلك فقد عرضت السلطة الوطنية بعض الوزارات على بعض من قيادات حماس السابقين الذين شاركوا في الانتخابات أمثال الوزير عماد الفالوجي الذي قبل حقيبة وزارة الاتصالات في السلطة الوطنية،كما قبل الشيخ طلال سدر من قيادات حركة حماس في الخليل حقيبة وزارة الشباب والرياضة لعدة سنوات ثم تركها بعد ذلك .

ورغم أن حماس حاولت أن توازن بين علاقتها بالسلطة الوطنية وبين مبادئها في مقاومة الاحتلال إلا أن إستحقاقات وإلتزامات السلطة الأمنية كانت حائلا بين أن تنجح هذه الموازنة في عدم الصدام بين الطرفين، فحماس التي أقدمت على مباشرة المواجهة مع الاحتلال من خلال أسلوب نوعي جديد هو عمليات التفخيخ والتفجير داخل إسرائيل، أحرجت السلطة الفلسطينية عدة مرات، الأمر الذي أدى بالسلطة الوطنية إلى تنفيذ إعتقالات بين صفوف حماس بهدف منع

تنفيذ مثل هذه العمليات، أدت هذه الاعتقالات والمتابعات من قبل السلطة الوطنية لحماس ونشطائها وقادتها إلى توتر العلاقة بين الطرفين، وقد إرتفعت وتيرة المواجهة بين الطرفين إلى أن وصلت حد المواجهة المسلحة في أحداث مسجد فلسطين التي راح ضحيتها عدد من الشهداء والجرحى .

ورغم أن العلاقة التي بين حماس والسلطة كان يسودها التوتر في معظم الاحيان إلا أن هذا لم يمنع من وجود عناصر قيادية في حماس سعت مع عدد من شخصيات السلطة الوطنية المسؤولين وعدد من قيادات حركة فتح إلى إيجاد قنوات مشتركة لتجاوز أي أحداث قد تطرأ أو حتى لمحاولة تنسيق الأمور فيما بينهم من أجل إيجاد طرق للالتقاء الدائم بدلا من المواجهة، بمعني البحث عن نقاط الالتقاء وتعزيزها ومحاولة تجاوز نقاط الخلاف والابتعاد عنها وقد نجحت هذه الجهود المشتركة في معظم الاحيان من تطويق الأحداث أو حتى منعها قبل حدوثها، وقد وصلت حماس والسلطة في فترة من الفترات إلى إتفاق سري فيما بينهما، إلتزمت فيه حماس بعدم شنّ أي هجمات عسكرية ضد إسرائيل وقد إستمر هذا الاتفاق قرابة عام، وقد أجدى نفعا حيث إستقرت الأمور بينهما وساد الهدوء، إلا أن قيام إسرائيل باغتيال الشهيد يحيى عياش الذي كان ملقبا بـ (المهندس) والذي كان يعتبر المسؤول الأول عن جهاز حماس العسكري والذي كان أيضا على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل، أدى إلى أن تنفض حماس يدها من إتفاقيتها مع السلطة لتبدأ من جديد سلسلة عمليات تفجير داخل إسرائيل إنتقاما لمقتل قائد جناحها العسكري وبطلها يحيى عياش (المهندس).

كانت حماس منذ لحظة الاتفاق الأولى بين منظمة التحرير وإسرائيل ضمن سياستها تسعى بكل جهدها إلى إفشال إتفاق أوسلو، وقد تبنى وجهة النظر هذه بشكل كبير قيادة حماس في الخارج، لانها إعتبرته لا يحقق أدنى مطالب الشعب الفلسطيني في التحرر والاستقلال وقد كان واضحا من خلال العمليات التي نفذتها حماس ضد إسرائيل ومن خلال التعليمات التي نشرتها حماس بين عناصرها ومسؤوليها أنها لن تدخر جهدا في إفشال هذا الاتفاق، وقد عثرت الأجهزة الأمنية الفلسطينية خلال حملاتها في ملاحقة عناصر ىة حماس على مذكرة إحتوت على تعليمات بشأن كيفية إفشال ىصاق أوسلو،كانت هذه المذكرة موجهة من قيادة حماس في الخارج إلى قيادتها و عناصرها في الداخل، وقد إحتوت هذه المذكرة التي حملت عنوان (برنامج مقترح للمواجهات الجماهيرية والسياسية في الداخل في مواجهة إتفاق غزة أريحا) 1993/10/9 على عدة أهداف كان أهمها :

1. عزل سلطة الحكم الذاتي شعبيا وإظهار تبعيتها لسلطات الاحتلال .
2. كشف عيوب وسيئات وخطورة الاتفاق على الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .
3. الإبقاء على جذوة الصراع مشتعلة مع الكيان الصهيوني بكل أدواته .
4. تعزيز موقف الحركة السياسي والجماهيري تمهيدا لقيادة الشارع الفلسطيني بعد فشل الاتفاق .
5. إستغلال المظاهر الإيجابية للاتفاق في تعزيز وجود الحركة .

وقد إقترح في هذا البرنامج مرحلتين للمواجهة، الأولى من تاريخ المذكرة وحتى تموز يوليو 1994 والثانية من إنتخاب مجلس الحكم الذاتي وحتى نهاية المرحلة الانتقالية .(7)

ورغم أن هذه المذكرة أثارت إهتمام القيادة الفلسطينية وعلى رأسها قائدها الرئيس ياسر عرفات إلا أن هذه المذكرة لم تكن سوى اقتراحات من قيادة حماس في الخارج إلى قيادتها في الداخل، ويبدوا أن هذه المذكرة بتفاصيلها الدقيقة لم تكن موضع إهتمام قادة حماس في الداخل لناحية تنفيذ بنودها، فرغم أن قيادة حماس في الداخل قد حسمت موقفها تجاه إتفاقية أوسلو بشكل واضح إلا أنها لم تكن قد حسمت خيارها بمواجهة السلطة ضمن هذا الرفض لأوسلو، وقد تأكد ذلك جيدا إثر أحداث مسجد فلسطين حيث أكدت حماس بقبولها وقف الأحداث الدامية التي حدثت إلى أن خيارها الاستراتيجي ليس هو مواجهة السلطة الوطنية بل هو مواجهة إسرائيل.

بقي أن نذكر هنا أنه ورغم وجود هذا التوتر في علاقة حماس مع السلطة الفلسطينية أو مع القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة من قبلها أو مع فصائل منظمة التحرير قبل الانتفاضة إلا أن الطرفين وجدا دائما نقاطا كثيرة للاتفاق حتى في ذروة المواجهة، وقد تأكد ذلك بشكل واضح في أحداث إنتفاضة الأقصى الأخيرة والتي أوجدت وأظهرت قواسم مشتركة بين الطرفين وصلت في بعض الاحيان إلى تنفيذ عمليات عسكرية مشتركة من الجانبين ضد الأهداف الإسرائيلية، كما أن مشاركة حماس ضمن لجنة المتابعة الوطنية الإسلامية التي برزت في إنتفاضة الأقصى وتفهم حركة حماس لبعض

مواقف السلطة و إنصياعها لها ، مثل فرض الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد ياسين في أواخر عام 2001، واحتجاز واعتقال عدد من نشيطي حماس وقادتها أمثال الشيخين (إسماعيل هنية وإسماعيل أبو شنب)، إضافة إلى عناصر حماس المشتبه في تنفيذهم عمليات عسكرية ضد إسرائيل، يؤكد تماما أن حماس لم تتخذ أي خيار في مواجهة السلطة الفلسطينية مباشرة رغم رفضها لاتفاق أوسلو، وأنها تتفهم كثيرا من قرارات السلطة والظروف التي تمر بها في علاقتها مع إسرائيل.

وقد يوضح هذا الخبر الذي نشر في وسائل الإعلام بعنوان : (إسرائيل تتحدث عن تعاون ميداني بين نشطاء من فتح وحماس)، هذه النقطة بشكل جيد، وقد جاء في هذا الخبر: "قالت مصادر في الهيئة الأمنية الإسرائيلية أن أجهزة الاستخبارات التابعة لها رصدت في الآونة الأخيرة تعاونا ميدانيا متزايدا بين نشطاء حماس وحركة فتح في مناطق مختلفة من الضفة الغربية، ونقلت صحيفة هارتس العبرية في عددها الصادر أمس عن مصدر كبير في الهيئة الأمنية قوله إن قرى فلسطينية عديدة في الضفة الغربية تقع ضمن المناطق الريفية (ب،ج) أخذت تشهد في الفترة الأخيرة نشاطات مقاومة ميدانية ضد قوات الأمن والجيش الإسرائيلي، و أضاف المصدر الأمني قائلا إن هذه النشاطات تتم وسط تعاون بين المستويات الميدانية في حركة حماس وناشطين ميدانيين في حركة فتح . و أشار المصدر الأمني إلى أن تعاونا كهذا رصد بشكل خاص في منطقة الخليل مضيفا أن ناشطين ميدانيين من أعضاء حركة فتح يقومون بحثّ وتشجيع الأهالي هناك على القيام بمظاهرات ضد إسرائيل التي لا زالت تماطل وتؤخر

سحب قواتها العسكرية من المدينة خلافا لما تنص عليه الاتفاقية الموقعة مع السلطة الوطنية". (8)

خبر آخر نشر تحت عنوان (إتفاق بين حماس وشبيبة فتح لتنفيذ عمليات ضد المستوطنين) قد يمثل دليلا آخر على المسألة التي ذكرناها سابقا وهي أن حماس والسلطة الوطنية أو فتح إستطاعوا دائما حتى في ظل الأزمات أن يجدوا نقاطا كثيرة للالتقاء ولم تقتصر العلاقة على التنافر والتوتر، وقد جاء في هذا الخبر: "أعربت مصادر أمنية إسرائيلية عن إعتقادها بأن حركة حماس نجحت في التوصل إلى تفاهم مع حركة الشبيبة في منظمة فتح ينص على تعاون الحركتين للقيام بعمليات ضد مستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة إذا تبنت الحكومة الإسرائيلية الجديدة سياسة إستئناف الاستيطان، ونقلت صحيفة هارتس أمس عن هذه المصادر قولها أن تقاربا طرأ في الأشهر الأخيرة بين حركتي حماس والشبيبة، وأن من المحتمل أن يكون هذا التفاهم قد صيغ في مسودة إتفاق بين الحركتين... وتقول المصادر الأمنية الإسرائيلية أنهم في الحركتين يعتقدون بأن الأسلوب الوحيد لمنع مواصلة الاستيطان وتوسيع المستوطنات هو القيام بعمليات ضد المستوطنين وأن هذا التفاهم سيتيح لحركة الشبيبة القيام بعمليات تحت ستار حماس".(9)

وقد تطورت العلاقة إيجابيا بشكل كبير وبلغت حد التنسيق المشترك بين الطرفين في مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلي إثر إندلاع أحداث إنتفاضة الأقصى في سبتمبر 2000 .

ويبقى التحدي الكبير في هذه العلاقة هو ما ستحمله الأشهر القادمة، فخلال أكثر من عشرين عاما كانت العلاقة بين الطرفين هي علاقة المنافسة والندية، ولم تشهد هذه العلاقة تطورا إيجابيا يدلل على التناغم والفهم والتقارب بين الطرفين مثلما حدث خلال إنتفاضة الأقصى، فهل ستبقى هذه العلاقة متطورة وتحافظ على ما وصلت إليه ؟! أم أنه بالإمكان تطويرها أكثر بمشاركة حماس في السلطة ؟! أم أنها ستعود لا سمح الله إلى سابق عهدها بين مد وجزر ؟! هذا ما ستجيب عليه الأيام القادمة .

1 ـ أبو عمر، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، عكا، دار الأسوار، 1989، ص 73 .
2 ـ مركز أطلس للتوثيق والإعلام، ملف القيادة الوطنية الموحدة، بيان رقم 25 بتاريخ 88/9/6 .
3 ـ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، محضر إجتماع الخرطوم بين فتح وحماس، يناير 1993، وثيقة خاصة، ص 2 .
4 ـ مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 12، خريف 1990، صفحة 39 .
5 ـ المرجع السابق، صفحة 40 .
6 ـ المرجع السابق، صفحة 39 .
7 ـ مركز أطلس للتوثيق والإعلام، ملف حماس، وثيقة خاصة، ص 2 .
8 ـ صحيفة الحياة الجديدة، بتاريخ 1996/7/16 .
9 ـ صحيفة القدس، بتاريخ 1996/6/13 .

الابعاد إلى مرج الزهور

كانت الساعة تقترب من الثالثة صباحا عندما دق جرس الهاتف في منزلي، وكنت وقتها مازلت مستيقظا كعادتي فلا نوم قبل مرور الثالثة صباحا حيث يتوقف جنود الاحتلال عن الاعتقالات، كان على الهاتف أحد أصدقائي المحامين الذي كان يعمل في مجال حقوق الإنسان من خلال مؤسسة إفتتحها لرصد تجاوزات و إنتهاكات الاحتلال لحقوق الإنسان في فلسطين، تعجبت في حقيقة الأمر من هذا الاتصال حيث كانت هذه هي المرة الأولى التي يتصل بي هذا الأستاذ وفي هذا الوقت، فرغم أن علاقتنا كانت قوية جدا إلا أنها لم تصل إلى أن يهاتفني في بيتي في ساعة كهذه، وقد لاحظ إستغرابي هذا ولكنه عاجلني القول .. مصيبة يا أخي العزيز .. فقلت له خير إن شاء الله يا أستاذ ؟؟؟

فقال لي : إسرائيل قررت إبعاد حوالي 500 شخص من حماس .

كان ما قاله المحامي الفاضل أشبه بنكتة ساذجة أو بكذبة نيسان أو بحلم يقظة .

فقلت له ساخرا يا أستاذ معقول هذا الكلام .. معقول أن تتصل بي في هذا الوقت لكي تقول لي إن إسرائيل ستبعد 500 شخص من حماس ؟؟هل هذا معقول يا أستاذ ؟؟

شعر المحامي على الخط الآخر من الهاتف باستغرابي وإستهجاني وكأنني ألومه على إتصاله هذا فعاجلني بالقول وبنفس حماسته السابقة : صدقني ما أقوله لك صحيح، لقد إتصل بي أحد الاخوة العرب من أعضاء الكنيست الإسرائيلي الذي تربطني به علاقة قوية وقد أخبرني بهذا القرار الذي إتخذته حكومة رابين المصغرة هذه الليلة، وقد أخبرني عضو الكنيست الإسرائيلي أن أحد الوزراء الإسرائيليين من أعضاء حركات السلام قلق جدا من هذا القرار ومن نتائجه.

شعرت أن الأمر يأخذ منحى من مناحي الجدية ويخرج عن أي إطار للمداعبة ووجدتني أسأل صديقي المحامي مرة أخرى وبلهجة جادة جدا : هل أنت واثق من عضو الكنيست هذا ؟؟؟؟ فأجابني : نعم، شكرت صديقي المحامي و أغلقت الهاتف و بدأت أفكر في الأمر بجدية و أسال نفسي .

هل هذا الأمر معقول ؟؟هل من الممكن أن يحدث هذا ؟؟؟هل من الممكن أن يقدم رابين على فعلة كهذه، إبعاد 500 شخص من قياديي حماس ونشيطيها ؟؟ أمر أشبه بالمستحيل !!!

وفي ظل هذا التسارع والتشتيت في الأفكار وجدتني أرفع سماعة الهاتف وأطلب رقما في قبرص كنت معتادا أن أتصل به عند حدوث أزمات من أجل أن يوصلني بقيادة قطاع غزة في تونس التي كان يطلق

عليها مصطلح (لجنة الإشراف) التابعة لحركة فتح في منظمة التحرير الفلسطينية .

رد الوسيط على الهاتف في قبرص فقلت له أريد أن توصلني بأخي، وقد كان يعرف تماما من أقصد، وما هي إلا برهة واحدة حتى كان معي على الخط الأخ (رشيد أبو شباك) عضو لجنة الإشراف في تونس، وقد كان قبل أن يصل إلى تونس تهريبا عبر الحدود المصرية مطلوبا للسلطات الإسرائيلية حيث كان قائدا لقوات حركة فتح في قطاع غزة ومسؤولا عن لجانها الفاعلة والعاملة في الانتفاضة.

خيرا إن شاء الله. هكذا تحدث لي أبو حاتم، فوجدتني أقول له: لقد وصلني الآن خبرا مفاده أن إسرائيل ستقوم بإبعاد قرابة 500 شخص من كوادر وقادة حماس .

أغلق أبو شباك الهاتف وكأنه لم يسمع شيئاً .

بعد لحظات رن جرس الهاتف في منزلي وكان على الخط أبو حاتم مرة أخرى وسألني عما قلت فأخبرته مرة أخرى بما سمعت، وعن مدى مصداقية هذا الأمر فقلت له : إعتبر الأمر مؤكدا، وعندما سأل عن الرقم مرة أخرى قلت له قرابة خمسمائة شخص، فقال لي : مش ممكن .. هذا الكلام غير دقيق قد يكون الأمر يتعلق بخمسة أفراد، حاول التأكد من الموضوع لان هذا الأمر خطير جدا و أخوكم الكبير يريد تفاصيل دقيقة جدا و بأسرع وقت ممكن .

في الوقت الذي كنت أحاول التأكد من المعلومات عبر الاتصال بمن أستطيع من الزملاء الصحفيين مراسلي الوكالات الأجنبية وبمن نعرف من الإسرائيليين نشيطي حركات السلام ومنظمات حقوق الإنسان،

كانت القيادة الفلسطينية منزعجة جدا من هذا الخبر، ذلك لان عملية السلام والمفاوضات بين منظمة التحرير و إسرائيل كانت قد بدأت منذ وقت طويل في مؤتمر مدريد من أجل الوصول إلى حل يرضي الطرفين، وإن إقدام إسرائيل على إجراء كهذا يعني تدمير كل شيء وإفشال كل المحاولات التي ترمي إلى تقريب وجهات النظر بين الطرفين المتنازعين .

في هذه اللحظات كانت القوات الإسرائيلية قد بدأت فعلا المباشرة في عملية الإبعاد التي إبتدأت عمليا بعد أن أخذ مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر هذا القرار مساء 17 ديسمبر من عام 1992 .

كانت إسرائيل قبل إتخاذها قرار الإبعاد بأيام قليلة قد بدأت حملة إعتقالات واسعة جدا في صفوف حركة حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة ذلك إثر قيام الجهاز العسكري لحماس بإختطاف جندي إسرائيلي بتاريخ 1992/12/13 هو (نسيم طوليدانو) وقد طالب الجهاز العسكري لحماس في بيانه الذي أعلن فيه عن مسؤوليته عن خطف الجندي الإسرائيلي، الحكومة الإسرائيلية بإطلاق سراح معتقلين من حماس على رأسهم الشيخ أحمد ياسين مؤسس الحركة قبل الساعة التاسعة من مساء اليوم التالي لاختطاف الجندي وإلا فان كتائب القسام سوف تقوم بقتل الجندي المختطف .(1)

وفعلا في مساء اليوم التالي أعلنت كتائب القسام عن قتل الجندي لعدم إنصياع إسرائيل لما جاء في بيان حماس رغم أن الشيخ أحمد ياسين قد وجه نداء للخاطفين عبر التلفزيون الإسرائيلي - وكان وقتها معتقلا لدى إسرائيل - طالب فيه عناصر القسام بعدم قتل الجندي

الإسرائيلي، وقد عثر على جثة طوليدانو بعد يومين من إختطافه على طريق القدس أريحا .

بعد قتل الجندي الإسرائيلي بدأت المخابرات والجيش الإسرائيلي بحملة إعتقالات واسعة للغاية، إجتمع المجلس الوزاري المصغر للحكومة الإسرائيلية بتاريخ 1992/12/17 حيث إتخذ قراراً بإبعاد كافة قادة حماس وعدد من قادة الجهاد الإسلامي. تسارعت قرارات و إجراءات عديدة في آن واحد دون سيطرة واضحة من الإسرائيليين، وقد بدا التخبط لدى الإسرائيليين واضحا إثر هذا التسارع في القرارات إذ إن عدد الأشخاص الذين تقرر إبعادهم لم يكن محددا بدقة في قرار الحكومة حيث إن الجيش الإسرائيلي كما سنذكر لاحقا قد قام بإلحاق 40 مبعدا آخر للمبعدين الذين كانوا ينتظرون عبور الحدود، كما قام الإسرائيليون بإعادة عدد من المبعدين بعد فترة قصيرة من إبعادهم بسبب عدم التأكد من هوياتهم .

المعتقلون الفلسطينيون الذين قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي باعتقالهم إثر مقتل الجندي من الضفة والقطاع مكث معظمهم في سجن النقب الصحراوي وبالتحديد في قسم (كيلي شافع) أو السجن رقم سبعة بالترجمة الحرفية، وهو مكان في صحراء النقب لا يبعد كثيرا عن سجن الخيام الصحراوي (أنصار 3) الذي أقامته إسرائيل لاعتقال و إحتجاز الفلسطينيين بعد نشوب الانتفاضة الفلسطينية عام 1987. كان هذا المكان مخصصا لاحتجاز الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يخالفون قوانين الخدمة العسكرية وبعد ذلك أصبح ملحقا لمعتقل النقب وكان يعتبر مكانا للانتظار أو للاعتقال الفردي أو للمعتقلين الذين تريد إدارة المعتقل إبعادهم عن بقية المعتقلين الآخرين .

إنتظر المعتقلون الفلسطينيون من حركة حماس ثلاثة أيام وهم لا يعرفون شيئاً ولا يفهمون أي شيء سوى أن حملة إعتقالات غريبة طالت عناصر وقيادات حركتهم تتم منذ ثلاثة أيام قارب عدد من إعتقل فيها الألف شخص .

خلال هذه الأيام الثلاثة كانت أخبار الإبعاد قد تأكدت تماما لدى الشارع الفلسطيني والإسرائيلي والعالمي ولكن المعتقلين في (كيلي شافع) لم يعرفوا أي شيء سوى اللهم بعض الأنباء التي تسريت لهم عن أن إسرائيل قررت إبعاد قياديين من حركة حماس إلى جنوب لبنان ولم يعتقد أي شخص من الذين وجدوا في (كيلي شافع) أن هذا الأمر حقيقي وصادق، حتى بعد أن سمعوا ذلك في الأخبار التي نقلتها لهم أجهزة الراديو التي كان يهربها المعتقلون المعاقبون الذين كانوا ينقلون إلى (كيلي شافع) لتمضية فترة عقابهم، وقد بدأ المعتقلون من حركة حماس يعتقدون بأن هذه مسرحية إسرائيلية أو لعبة أمنية تستهدف الحصول على معلومات من عناصر حماس عبر إيهامهم بأنهم مبعدون إلى جنوب لبنان وإيقاعهم في شرك المخابرات الإسرائيلية، كما حدث من قبل مع عدة معتقلين خلال مسيرة النضال والاعتقال الفلسطينية .

حذر عناصر حماس بعضهم بعضاً من هذه المؤامرة التي سيتعرضون لها، ولم يصل إلى ذهن أي أحد منهم أن إسرائيل ستقوم بإبعادهم فعلا إلى جنوب لبنان .

خلال هذه الأيام كانت المخابرات الإسرائيلية تعمل على قدم وساق من أجل إعداد قائمة كاملة للمعتقلين الذين سيتم إبعادهم وكانت تحركات وتنقلات المعتقلين التابعين لحركة حماس في السجون

الإسرائيلية غاية في الغرابة والتعقيد حيث لم تكن أمورا إعتيادية بل كانت على دفعات، ولم يكن يعلم هؤلاء الذين يتم أخذهم بأنهم سينقلون عبر الطائرات (الهيلوكبتر) أو الباصات إلى منطقة المطلة الواقعة على الحدود الفلسطينية المحتلة واللبنانية .

كانت آخر دفعة من هؤلاء المعتقلين أربعين (40) شخصا من عناصر وقيادات حركة حماس في الضفة وغزة، تم نقلهم عبر طائرة نقل عسكرية إسرائيلية من نوع (هيلوكبتر) وهم معصوبو الأعين مقيدو الأرجل و الأيدي إلى منطقة المطلة، وعندما وصلوا هناك وجدوا أن عددا كبيرا من قيادات وكوادر حماس قد سبقوهم إلى هذا المكان وحتى أن بعضهم كان قد مضى على فترة إحضاره إلى هذا المكان ستة وثلاثون ساعة. (2)

يبدو أن الأمر قد تقرر، وجمع كافة الأشخاص الذين إتخذ بحقهم قرار الإبعاد وهم أربعمائة وخمسة عشر (415) شخصا كان معظمهم من حركة حماس وقلة هم الذين كانوا يتبعون لحركة الجهاد الإسلامي (قرابة 40 شخصاً)، ورغم كل هذا فلم يصدق المعتقلون الأربعمائة وخمسة عشر بأن إسرائيل سوف تقوم بإبعادهم حتى هذه اللحظة وهم على بوابة الإبعاد .

بداية الرحلة :

أنزل الجنود الإسرائيليون كافة المعتقلين من الباصات والطائرات وبدأوا بفك قيودهم ورفع الأربطة عن أعينهم وقاموا بتحميلهم على ظهر شاحنات نقل تجارية (لوريات) وقد وصل عدد الشاحنات الناقلة إلى ستة شاحنات كان يملكها أشخاص دروز يعملون في النقل بين

الحدود اللبنانية والفلسطينية المحتلة، سارت الشاحنات مسافة خمسة كيلو مترات في إتجاه الحدود اللبنانية فيما يعرف بالمنطقة المحرمة وعند إقتراب الشاحنات من الحدود اللبنانية خرج الجنود اللبنانيون وإعترضوا الشاحنات وطلبوا من المعتقلين الفلسطينيين عدم النزول من الشاحنات والعودة من حيث أتوا حيث لا يوجد قرار من الحكومة اللبنانية بإدخالهم إلى لبنان .

عادت الشاحنات أدراجها إلى المطلة ولكن قبل وصول الشاحنات إلى المطلة بحوالي ثلاثمائة أو أربعمائة متر قامت القوات الإسرائيلية بفتح نيران أسلحتها بكثافة شديدة بإتجاه الشاحنات والمبعدين الفلسطينيين، الأمر الذي جعل سائقي الشاحنات يعودون للخلف ويطلبون من المعتقلين النزول من الشاحنات حيث لا مفر لهم سوى البقاء بين النارين، نار الأسلحة الإسرائيلية ونار القرار اللبناني بعدم السماح لهم بالدخول.

نزل المبعدون جميعا من الشاحنات وحاولوا الاقتراب من الحدود للجلوس هناك بقربها ولكن النيران الإسرائيلية منعتهم من التقدم وكان الفجر قد بدأ في البزوغ، فقرر المبعدون الفلسطينيون البدء في إتخاذ زمام المبادرة حيث باتوا على قناعة تامة الآن بأنه قد تم فعلا إبعادهم إلى جنوب لبنان وأنهم قد أصبحوا خارج الوطن، فقرروا أن يجلسوا في أقرب منطقة يوجد بها ماء، وفعلا وجد المبعدون أنفسهم بعد لحظات من المسير أنهم في منطقة تلية بين نهرين من الماء، فقرروا الجلوس بها و أقاموا تلة المبعدين .

فيما بعد عرف المبعدون أن هذه المنطقة التلية التي أقاموا بها تسمى (مرج الزهور) وهي قرية لبنانية يقطنها سكان لبنانيون سنيون،

وعلم المبعدون أيضا أن هذه المنطقة قد كانت موقعا عسكريا لحركة فتح قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان .

في مواجهة الواقع الصعب :

إستقر المبعدون في هذا المكان (مرج الزهور) والذي إرتبط فيما بعد بهم حتى هذا الوقت حيث أصبح يطلق على المبعدين مصطلح (مبعدي مرج الزهور)، كان البرد شديدا، بل قارس الشدة، حيث فصل الشتاء القارس البرودة خاصة في تلك المناطق من لبنان التي تهطل بها الثلوج شتاء، ولم يكن لدى المبعدين أي ملابس إضافية أو خاصة تقيهم هذا البرد الثلجي الذي لم يعتادوا عليه في حياتهم، إذ أنه قد تهطل الثلوج أحيانا في الضفة الغربية في فلسطين ولكن قطاع غزة لا يعرف هذه الثلوج بتاتا وأقصى ما يهطل به هو البرد وللحظات قليلة في بعض الأوقات من فصل الشتاء. كان المبعدون قد نقلوا أو رحلوا أو أبعدوا بنفس الملابس التي خرجوا بها من بيوتهم لحظة إعتقالهم ولم تكن هذه الملابس لتقيهم برد هذه المنطقة القارس، ثم أين سينامون أو يقيمون، بين السماء والثلج ؟! كانت اللحظات الأولى في غاية وشدة القساوة هذا إذا ما أضفنا لها المسألة النفسية الصعبة جدا وهي تقبل فكرة الإبعاد والابتعاد عن الوطن والأهل هكذا في لحظات قليلة، وبدون سوابق إنذار وبدون أمل أو يقين بأن هذا الأمر سيكون لفترة بسيطة، لقد كان الأمر غاية في التعقيد واليأس والتعب .

أصبح العالم على قرار إسرائيل بإبعاد نشيطي حماس والجهاد إلى جنوب لبنان فبدأت وسائل الإعلام بالتحرك السريع لتغطية الخبر كما بدأت المؤسسات الدولية والإنسانية بالتحرك من أجل المساعدة في

تجاوز محنات هذا القرار، وكان الصليب الأحمر الدولي هو أول من وصل إلى المبعدين في مرج الزهور وقد نقل لهم الخيام والأغطية وبعض المستلزمات الأساسية الأولية للاستقرار، و بدأت وسائل الإعلام بالتحرك إلى المبعدين لنقل وقائعهم صورة وصوتا وحدثا، كما بدأت المؤسسات والهيئات الإنسانية اللبنانية والعربية والدولية بنقل المساعدات إلى المبعدين، وقد عرف المبعدون حينها أن القرار اللبناني بعدم دخولهم لبنان كان قرارا تم بناء على إتصالات بين قيادات حركة حماس في الخارج وبين الحكومة اللبنانية من أجل خلق ورقة ضغط على إسرائيل لاعادتهم إلى الوطن بدلا من إبعادهم مدى الحياة .

حياة الخيام : مرت الأيام الأوائل من الإبعاد كالحلم وبدأ المبعدون يستيقظون ويدركون أن الأمر بات حقيقة مؤكدة وأن عليهم التعامل مع هذا الواقع الذي آلوا إليه حتى يتمكنوا من البقاء والمواجهة والمقاومة، فبدأوا في ترتيب أمورهم من أجل تنظيم مخيمهم، وقد تولت القيادة التنظيمية التاريخية لحماس هذا الأمر حيث كان من بين المبعدين عدد كبير من مؤسسي حركة حماس، منهم الشيخان عبد الفتاح دخان ومحمد شمعة والدكتور الرنتيسي وهم ممن أسسوا حركة حماس مع الشيخ أحمد ياسين، وقد كان هناك أيضاً عدد من قادة حماس من الضفة الغربية أمثال الشيوخ جمال سليم، جمال منصور، حسن يوسف، إضافة إلى عدد آخر من قيادات حماس البارزين ميدانيا وسياسيا أمثال الدكتور محمود الزهار والدكتور عمر فروانة و آخرين.

بدأت القيادة التاريخية لحماس بترتيب أمور المخيم من كافة النواحي من أجل إدخال عناصر النظام إلى حياة المبعدين، إستمرت هذه القيادة الميدانية للمخيم لمدة تراوح الثلاثة أشهر بعدها قامت

قيادة المخيم بعمل إنتخابات داخلية من أجل توسيع دائرة الشورى وإتخاذ القرار، حيث بات واضحا في الأفق أن أمورا كثيرة ستحدث، وقرارات مصيرية ستتخذ، وهذا يحتاج إلى قرارات ومسؤولية جماعية، وفعلا تمت الانتخابات وتم إفراز عدد من اللجان تقوم على توفير وتسهيل مهام الحياة للمبعدين، وقد مثلت هذه اللجان :

1 ـ لجنة علاقات خارجية: كانت مسؤولية هذه اللجنة تتعلق باستقبال الوفود الإعلامية والزائرة والتنسيق معها ومع المؤسسات والهيئات التي كانت تقدم المساعدات المـ : أو المادية للمبعدين .

2 ـ لجنة إعلام خارجية وداخلية: كانت هذه اللجنة تهتم بنقل الواقع الذي يعيشه المبعدون إلى كافة أنحاء العالم عبر اللقاءات والتصريحات وعبر البيانات الداخلية والنشرات الخاصة التي كانت توزع بين المبعدين، وقد كان على رأس هذه اللجنة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي ظهر كناطق إعلامي باسم المبعدين .

3 ـ لجنة التموين: كان إختصاص عمل هذه اللجنة هو العمل على توفير كافة المؤونات التي يحتاجها المخيم بالتنسيق مع اللجان الأخرى والجهات الداعمة .

4 ـ لجنة للتعليم والصحة: وقد كانت هذه اللجنة من أبرز اللجان و أكثرها خدمة للمبعدين حيث كان من ضمن المبعدين عدد لا بأس به من علماء ومفكرين وأطباء وخطباء الضفة الغربية وقطاع غزة ونذكر منهم هنا للتوضيح وليس للحصر :

الدكتور موسى الاقطم، الدكتور عبد الفتاح العويس، الشيخ الأستاذ حامد البيتاوي والشيخ الأستاذ فؤاد أبو زيد وهما خطيبا المسجد

الأقصى، الباحث والمفكر الإسلامي بسام جرار، الدكتور عمر فروانة وغيرهم الكثير من قادة الفكر والعلم والطب من أبناء الشعب الفلسطيني، أدى توفر هذا الكم الكبير من الأساتذة في مجالات التعليم إلى إنشاء جامعة للمبعدين عرفت باسم جامعة (ابن تيميه) وقد تم التنسيق مع جامعات الوطن في الضفة وغزة لاحتساب المواد التي سيدرسها الدارسون والشهادات التي ستعطى لهم من قبل هذه الجامعات، وفعلا تم ذلك وإستطاع عدد كبير من المبعدين الذين أبعدوا وهم ما زالوا قيد الدراسة في الجامعات من إكمال جزء كبير من دراستهم في جامعة (ابن تيميه)، إضافة إلى أن الجامعة قد قامت بعمل دورات في الدراسات الخاصة والمهنية مثل دورات تحفيظ القران والتلاوة ودورات اللغات الأجنبية، وإلى جانب هذه الجامعة التي أشرنا إلى مدى نجاحها على الصعيدين العملي والمعنوي حيث كان لها دور هام في رفع معنوية المبعدين و إشغال وقتهم بما هو نافع لهم، قام الأطباء في هذه اللجنة أيضا بإقامة عيادة طبية وقد تم تجهيز هذه العيادة بعدد لا بأس به من المعدات والأدوية واللوازم الأخرى بحيث أصبح بمقدور هذه العيادة أن تقوم بعمل عمليات جراحية متوسطة، ومن الطريف في هذا الأمر أن عددا من سكان القرى المجاورة لمرج الزهور الذين لم يكونوا يجدون علاجا أو دواء استطاعوا أن يتعالجوا في هذه العيادة وبعضهم أجريت له عمليات جراحية متوسطة في عيادة مرج الزهور.

لقد كان لهذا التنظيم الإداري الذي قام به المبعدون وتشكيلهم اللجان أثر هام في تطوير حياتهم وتحسين ظروفها إذا ما نظرنا بعين صادقة إلى الأمر الذي كان من المفترض أن يصل إليه هؤلاء المبعدون بعد كل ما جرى لهم .

رغم صعوبة المعيشة وخاصة الجانب الإنساني المرتبط بالأهل والأسرة إلا أن بارقة أمل طلت على المبعدين من خلال الهواتف التي وصلت إلى المكان عبر شركات اتصالات، حيث وجد لدى المبعدين خطا هاتف دوليان مما مكّنهم من الاتصال بذويهم عبرهما، ومقابل هذه المكالمات كانوا يدفعون رسوماً مالية رمزية، كما أن ذويهم كان بإمكانهم الاتصال بهم أيضا عبر هاذين الهاتفين، هذا إضافة إلى الرسائل البريدية التي كانت تصل منهم وإليهم عبر الصليب الأحمر الدولي والتي كانت تستغرق خلاله الرسالة قرابة الأسبوعين، وكذلك ' ائل الخاصة التي كانت تصل عن طريق الفاكسات أيضا عبر بعض المحطات الهاتفية وبعض الأفراد من ذوي الاتصالات والعلاقات مع الخارج، وقد تجاوز الأمر في هذه الناحية هذه الأمور وتعداها إلى درجة أن بعض ذوي المبعدين قد قاموا بزيارتهم في مخيم إبعادهم عبر السفر إليهم عن طريق إحدى الدول العربية ومن ثم الانتقال إلى لبنان ومن هناك إلى مخيم المبعدين .

هواجس ومخاوف المبعدين :

حاول المبعدون بكل جهدهم توفير أفضل السبل الممكنة والمتاحة من أجل إستقرار أفضل وقد أفلحوا بعض الشيء في إيجاد بعض الأمور التي إعتبرت إنجازات وساهمت في تطوير ورفع مستوى حياتهم في ذلك الزمان والمكان، ولكن رغم كل ذلك سيطرت على المبعدين هواجس عديدة كانت تقض مضاجعهم وتجعل النوم لا يكاد يلامس جفونهم وقد كان من أهم هذه الهواجس والمخاوف :

1. الإبعاد الدائم :

أدرك المبعدون في وقت متأخر وبعد أن أصبحوا خارج الحدود أن أمر الإبعاد الذي سمعوا عنه ولم يصدقوه بادئ الأمر قد أصبح الآن حقيقة واقعة، ونظرا لان اتخاذ أمر كهذا من قبل الحكومة الإسرائيلية هو بحد ذاته مؤشر خطر فقد أدرك المبعدون أن الإسرائيليين جادون بما قاموا به وأن حكومة رابين لن تتراجع ولن تتنازل عن هذا القرار بسهولة أو بيسر، وأن هذا الأمر يحتاج إلى كفاح ونضال شديدين لارغام إسرائيل على التراجع عما أقدمت عليه وإلا فإن الأمر سيصبح بعد فترة وجيزة أمرا واقعا وستنتهي قضية المبعدين إلى تشتيتهم بين الدول والأقطار العربية والغربية، ومما زاد من مخاوف المبعدين تلك العروض والاقتراحات التي قدمت لهم من قبل بعض الدول، ففرنسا مثلا عرضت عليهم إستضافتهم مدة العامين التي تحدثت إسرائيل عنها كمدة للإبعاد عن أراضيها وفي فنادق سبعة نجوم وأن تقدم لهم أيضاً أعلى خدمة موجودة في فرنسا، إلا أن المبعدين رفضوا تماما، كما أن المملكة العربية السعودية قد إستعدت لتحجيج المبعدين جميعا على حسابها الخاص، وقد رفض المبعدون ذلك خوفا من إتخاذ إسرائيل ذلك ذريعة لعدم إعادتهم إلى منازلهم .

قرر المبعدون أن أفضل شيء يعملونه ويرغم إسرائيل على التراجع عن موقفها أو الدخول مع المبعدين في مفاوضات لإنهاء هذه الأزمة هو سياسة البقاء في المكان والنفس الطويل وتصعيد الجولات الإعلامية ضد إسرائيل وإبراز جوانب المعاناة الدائمة التي يعيشها المبعدون .

2. جغرافية المكان :

كان المكان الذي إستقر به المبعدون تلة جبلية صعبة العيش في الشتاء والصيف فهي في الشتاء ثلجية قارسة البرودة وهو الجو الذي لم يعتد المبعدون على العيش فيه مما أثر عليهم فيما بعد من النواحي الصحية، إضافة إلى أن الخطر البيئي الموجود في هذه البقعة مثل الزواحف والعقارب والثعابين أوجد لدى المبعدين هاجسا مخيفا خاصة في فترة الصيف التي ستلي فصل الشتاء حيث تخرج هذه الزواحف من أوكارها، وبالفعل قد حدث ما تخوف منه المبعدون حيث تكررت عدة حالات من لدغ العقارب لبعض المبعدين وقد أدت عناية الله سبحانه وتعالى وتوفر أمصال لدى عيادة المبعدين إلى التخفيف من خطورة هذا الأمر.

3. صعوبة توفير المستلزمات الضرورية للعيش :

كان نقص المواد الضرورية اللازمة للعيش مثل أواني وأدوات الطهي والملبس والمأكل والأدوات الصحية والدواء والإنارة والإضاءة والتدفئة، هاجسا بل شبحا طارد المبعدين كل يوم، فمسألة خدمة أربعمائة وخمسة عشر شخصا في مخيم واحد بشكل يومي وفي ظروف خاصة مثل الإبعاد لا شك أنها مسألة ليست بالأمر الهين ولا السهل، وقد إستمر المبعدون في معاناتهم من هذه الأمور حتى الشهر الرابع من الإبعاد، وبعد هذا الشهر أصبح من الممكن أن نقول أن الأمور قد إستقرت في هذه الجوانب لدى المبعدين .

4. الخطر الأمني :

كان المبعدون إضافة إلى كل ما ألمّ بهم يفكرون بشكل جدي في الناحية الأمنية حيث لا يأمن خطر العدو الإسرائيلي، فقد توقع

المبعدون قيام إسرائيل بمهاجمتهم عبر قوات خاصة أو عبر أفراد عملاء لها وقتل بعضهم أو خطف بعضهم من أجل إضعاف روحهم المعنوية وتصفية مقاومتهم، ومن أجل ذلك قام المبعدون بتشكيل لجان حراسة على مدار الوقت كانت مكلفة بحراسة المخيم بشكل دائم .

إيجابيات وفوائد الإبعاد :

رغم قساوة الإبعاد وما نتج عنه من نتائج نفسية صعبة على المبعدين وذويهم وحتى على حركة حماس كما أسلفنا من قبل، إلا أن الإبعاد قد عاد على حركة حماس بفوائد وإيجابيات عديدة نستطيع أن نذكر منها :

1 . إنتقال حركة حماس من البعد الداخلي إلى البعد الخارجي أو (الدولي):

كانت حركة حماس قبل عملية الإبعاد مجرد حركة مقاومة فلسطينية داخلية لم يعرف لها أي بعد عالمي دولي أو حتى عربي، ولم يكن لحماس على الصعيد العالمي أي خطاب إعلامي أو سياسي، بل إن عدداً كبيراً من الدول الغربية كان ينظر إلى حركة حماس على أنها إحدى حركات التطرف الإسلامي، وبمجرد أن إنتشر خبر الإبعاد وحتى قبل أن يتم تنفيذه بدا واضحا أن هذه القضية بدأت تأخذ مساحة واسعة في الإعلام العربي والعالمي ، ولم يقتصر هذا الأمر على مجرد التعاطف مع المبعدين كقضية إنسانية أو وطنية بل تعداها إلى مسألة التبرعات والمساعدات المادية والمعنوية، فإضافة إلى المساعدات العينية والتبرعات التي قدمت للمبعدين من عدد كبير من المؤسسات الإنسانية والعربية والدولية، وجدنا بروز حركة تعاطف

شعبي عربي لم تعرفها حماس من قبل إلى درجة أن عدداً كبيراً من الفنانين المصريين والعرب قد زاروا مخيم الإبعاد وزاروا المبعدين وأعربوا لهم عن مساندتهم المعنوية وفي بعض الأحيان المادية أيضا .

إذن نستطيع القول هنا أن الإبعاد أدى إلى إزدياد معرفة العالم وخاصة العربي منه بحركة حماس مما أدى إلى خلق حالة من التعاطف من قبل عدد كبير من الجمهور العربي مع هذه الحركة .

2 . إبراز قيادات جديدة لحماس :

لعب الإبعاد دورا بارزا في خلق عناصر قيادية جديدة لحركة حماس، فرغم أن عملية الإبعاد قد طالت قيادات بارزة ومرموقة في حركة حماس إلا أن عددا لا بأس به من المبعدين لم يكن على المستوى القيادي المطلوب بمعنى أنهم كانوا من الصف القيادي الثاني لحركة حماس، وقد كان لاحتكاكهم المباشر بقيادات الصف الأول لمدة عام نتائج إيجابية على صعيد تطوير وصقل هذه القيادات الشابة وتأهيلها لان تصبح على درجة عالية وقريبة من قيادات الصف الأول، كما أن الفراغ القيادي الذي سببته عملية الإبعاد من ناحية في صفوف حركة حماس في داخل الضفة الغربية وقطاع غزة كما ذكرنا حيث إن معظم قيادات الصف الأول والثاني كانت إما في السجون أو قد أبعدت، وقد أدت هذه الحالة من الفراغ القيادي إلى دفع من تبقى من كادر في حركة حماس إلى إيجاد قيادات بديلة تستطيع أن تقود هذه المرحلة الحرجة في تاريخ حركة حماس، وقد أفلحت حماس فعلا في خلق وإيجاد عناصر قيادية شابة وبديلة استطاعت أن تقود هذه المرحلة وأن تسجل أنها قد أصبحت في مصاف القيادات الهامة لحركة حماس .

3 . زيادة الترابط بين قيادات حماس في الضفة وغزة :

لقد كانت حركة حماس تتمتع بقيادة قوية في قطاع غزة وقيادة قوية أيضا في الضفة الغربية، ورغم وجود تنسيق متكامل في معظم الاحيان بين عناصر القيادتين إلا أن عددا كبيرا من هذه القيادات لم يكن على معرفة تامة أو حتى جزئية بهذه القيادات، وقد وفر جو الإبعاد لهذه القيادات فرصة كبيرة لان يتعارف عناصرها تعارفا قويا على بعضهم بعضا مما أدى إلى زيادة اللحمة والترابط فيما بينهم، هذا الأمر إنعكس إيجابيا فيما بعد على تطور حركة حماس وزيادة فاعليتها من قطاع غزة إلى الضفة الغربية وخاصة في تلك الفترة التي شهدت زيادة النشاط العسكري لحركة حماس في الضفة وغزة .

4 . زيادة وإتساع النشاط العسكري لحركة حماس :

لقد كان لابعاد قياديي حركة حماس إلى مرج الزهور أثر كبير على العمل العسكري الذي قامت به الحركة؛ فقد وفّر مناخ الإبعاد جوا نفسيا عظيما للشباب المؤيد لحركة حماس داخل الضفة والقطاع للانضمام إلى صفوف الجناح العسكري للحركة، وقد لا نغالي إذا ما قلنا أن ميلاد الجهاز العسكري الحقيقي لحماس قد بدأ بعد عملية الإبعاد إذ توفرت عناصر الدعم المادي والعنصر البشري إضافة إلى الدعم المعنوي للجهاز العسكري لحماس وقد ظهرت إثر ذلك بطولات حقيقية للجهاز العسكري لحماس، مثّلها بكل جرأة الشهيد عماد عقل الذي ظهر في عام 1992، وقد زادت عمليات الجهاز العسكري لحماس في عام 1993 بشكل ملحوظ، وقد كان منها عدد من العمليات النوعية ضد الجنود الإسرائيليين، هذه العمليات ساهمت في رفع

أسهم الجهاز العسكري لحماس بين صفوف عناصر حماس وبين جماهير الشعب الفلسطيني .

وقد برزت وجهة نظر هنا تقول أن عملية الإبعاد قد ساهمت في رفع الناحية التقنية للجهاز العسكري لحماس عن طريق وجود فرصة لاحتكاكهم بالمقاومة اللبنانية للتعلم منها وخاصة عمليات صناعة العبوات الناسفة أو المتفجرات مما زاد في قدرة حماس فيما بعد على تطوير قدراتها العسكرية في مواجهة الإسرائيليين وتنفيذ عمليات التفخيخ الاستشهادية .

إلا أنني أعتقد أن وجهة النظر هذه مخطئة تماما ذلك لانه رغم وجود فرصة متاحة للمبعدين للدخول إلى لبنان والاتصال بالمقاومة اللبنانية، وقد حدث ذلك فعلا كما سنذكر لاحقا، إلا أن قادة حماس قد كانوا يقظين جدا لهذه المسألة، حيث فكّر المبعدون جيدا في مدى المخاطر التي ستنتج عن تورطهم في مثل هذه اللقاءات أو مثل هذه الأعمال، وقد كان المبعدون قد اتخذوا قرارا وحددوا هدفا مفاده أنهم سيناضلون من أجل عودتهم لا من أجل بقائهم وتشتتهم بين الدول العربية أو الغربية، كما أدرك المبعدون جيدا أن نتائج مثل هذا الأمر المتعلق بالالتقاء بالمقاومة اللبنانية والتعلم منها أساليب وفنون القتال العسكري وخاصة قضايا صناعة المتفجرات سيكون وبالا على قضيتهم وسيحولها من قضية إنسانية إلى قضية ستجد إسرائيل فيها ذرائع عديدة ومبررات قوية أمام العالم لإنهائها على ما هي عليه لو أن عناصر حماس إختلطوا بعناصر المقاومة اللبنانية، لذا فإننا نعتقد أن قيادات حماس قد كانت حذرة للغاية من مثل هذه النتائج وقد فضّلت بالفعل عدم التورط في مثل هذه المسألة من أجل أن يظل نضالها مشروعا وقويا لتحقيق عودة كاملة للمبعدين .

5. بروز قيادة لحماس في الخارج :

كان من أهم نتائج الإبعاد هو بروز قيادة لحركة حماس في الخارج - ونعني هنا بالخارج - خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة، فحتى ما قبل عملية الإبعاد لم يكن هناك أي نشاط يذكر لقيادة خارجية لحركة حماس وقد تمثلت قيادة حماس في قيادات الداخل، وقد كان هذا البعد العالمي والدولي والعربي الذي إكتسبته حماس نتيجة الإبعاد دافعا رئيسيا لقيادة حماس في الخارج التي لم تكن تجد أي فرصة للإعراب عن ذاتها، لقد كان هذا البعد هو الفرصة الأكيدة لهذه القيادة للانطلاق دونما أي خوف أو وجل، بل قد تعدت المسألة هذا الأمر بحيث أن قيادات حماس الخارجية قد بدأت نشاطا قويا من أجل إستثمار هذا التعاطف العربي الشعبي والرسمي مع حركة حماس من أجل زيادة قوة هذه القيادة مع الأنظمة العربية، وقد أفلحت قيادة حماس في ذلك وحققت إنجازات كبيرة إستطاعت على أثرها حلّ عدد كبير من المشاكل التي كانت قائمة بين حماس وهذه الأنظمة العربية، مثل قضايا مطاردي حماس الذين كانوا يخرجون من داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة نتيجة المتابعة الشديدة لهم من قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى بعض الدول العربية وقد كان يتم حجز هؤلاء المطلوبين في عدد من الدول العربية، كما كان للعلاقة القوية التي أنشأتها قيادة حماس في الخارج مع هذه الأنظمة العربية دور هام في حلّ هذه المشاكل وإخراج عناصر حماس المطلوبين من السجون العربية وترحيلهم إلى دول عربية أخرى كان لحماس فيها نفوذ تستطيع من خلاله أن توفر إقامات بعيدة عن المتابعة لهؤلاء المطلوبين .

6. زيادة النشاط التمثيلي لحركة حماس في العالم :

أدت عملية الإبعاد إلى إبراز قيادة خارجية لحماس كما أسلفنا ذكره سابقا وقد قامت هذه القيادة بإقامة علاقات مع الدول العربية والإسلامية، أدت هذه العلاقات فيما بعد إلى إقامة علاقات دبلوماسية أو تمثيلية بين هذه الدول وبين حركة حماس، حيث قامت بعض الدول العربية والإسلامية بالموافقة لحركة حماس على فتح مكاتب تمثيل لها في عواصمها، وقد كان من بين هذه الدول اليمن وايران والأردن ولبنان والسودان .

إعطاء مفاهيم إضافية عن نضال الشعب الفلسطيني :

كانت الجماهير والأنظمة العربية وخاصة في لبنان تنظر إلى تجربة النضال الفلسطيني من خلال تجربة منظمة التحرير، وكما يعلم الجميع فقد كان لتجربة منظمة التحرير الفلسطينية بعض العثرات خلال مسيرتها الطويلة مع عدد كبير من الدول العربية كان من أهمها لبنان التي أبعد لها قياديو وعناصر حركة حماس، وقد أدت هذه النظرة في بدايتها إلى أن يصرح أحد المسؤولين اللبنانيين الكبار بمقولة آلمت المبعدين كثيرا عندما سمعوها، لقد قال هذا المسؤول اللبناني الكبير : "لسنا مستعدين أن نجعل لبنان نفاية للقمامة الفلسطينية" (3)، ولم يقتصر الحال على هذه المقولة بل تجاوزها الأمر إلى أن عدداً كبيراً من سكان القرى المجاورة لمعسكر المبعدين والرعاة والفلاحين قد هجروا المنطقة وتركوها، لقد أدت هذه الأمور إلى عكس حالة نفسية سيئة بعض الشيء على قيادات حماس، وفي نفس الوقت مثلت حافزا لهم من أجل تصحيح الصورة الخاطئة التي ينظر بها

البعض من العرب إلى الفلسطينيين، وقد أفلح المبعدون من خلال العلاقات الإنسانية التي نسجوها مع أهالي القرى المجاورة لمعسكرهم ومن خلال المساعدات التي قدمها المبعدون لأهالي هذه القرى وخاصة في المجال الطبي حيث قام الطاقم الطبي للمبعدين بإجراء بعض من العمليات الجراحية المتوسطة لهؤلاء المرضى اللبنانيين الذين لا توجد عيادات طبية في مناطق سكناهم في الجنوب تستطيع أن تقدم لهم العلاج الطبي، وقد ساهمت التركيبة الاجتماعية المختلفة للقرى التي أحاطت بمخيم المبعدين في إنجاح نقل هذه الصورة لكافة الطوائف اللبنانية، فقد أحاط بمخيم المبعدين ثلاثة قرى هي مرج الزهور وهي قرية سنية، وقرية لباية وهي قرية شيعية، وقرية ميمس وهي قرية درزية.

لقد أفلح هؤلاء المبعدون في خلق مفهوم جديد أو نستطيع القول أنهم قاموا بتحسين الصورة عن الشعب الفلسطيني إلى درجة دفعت بالرئيس السوري الراحل حافظ الأسد أن يقول بكل صراحة: "من أراد أن يتعلم السياسة فليذهب إلى مخيم المبعدين".(4) لم يقتصر هذا الأمر على الجانب العربي بل تعداه إلى الجانب الأوروبي إذ ساهمت قضية المبعدين في إبراز المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، وقد أعطت انطباعا لعدد كبير من دول وشعوب العالم بأن الفلسطيني يعيش تحت إحتلال ظالم، وقد لعب بعض الصحفيين الأجانب ممن زاروا مخيم المبعدين وقضوا معهم أياما طويلة فيه دورا هاما في نقل هذه الصورة إلى شعوبهم وحكوماتهم .

محطات هامة في مسيرة الإبعاد:

المحطة الأولى : مسيرة الأكفان

إنقضى قرابة خمسة أشهر من رحلة الإبعاد وقد بدا واضحا لقادة حماس أن القوة الإعلامية التي صاحبت بداية الإبعاد قد بدأت تفتر وأن قضية المبعدين باتت على وشك أن تموت أو أن ينساها الجميع لتصبح أمرا واقعا كما كان يريد الإسرائيليون، لذا قرر المبعدون إتخاذ خطوة قوية تعيد لقضيتهم زخمها الإعلامي والمعنوي والإنساني الذي بدأت به، من أجل ذلك قرر المبعدون القيام بمسيرة يعبرون خلالها الحدود الفلسطينية وقد سموها (مسيرة الأكفان) حيث قام كل مبعد بلبس كفن أبيض اللون وقد أعلن المبعدون عن مسيرتهم هذه صباحا حيث أعلنوا أنهم سيعبرون إلى حدود الوطن بهذه الأكفان، وقد إنطلقت المسيرة من مخيم المبعدين صباح السادس عشر من نيسان حتى وصلت إلى معبر (زمريا) وقد وصلت التغطية الإعلامية ذروتها في هذا المكان إذ أصبح العالم مشدودا لمعرفة ماذا سيحدث .

في المقابل واجه الإسرائيليون هذا الحدث بصرامة شديدة حيث إحتشدت دبابات ومصفحات وعربات عسكرية إسرائيلية إضافة إلى الطائرات العسكرية التي كانت تحوم في سماء المنطقة، ورغم هذه الترسانة العسكرية المرعبة إلا أن المبعدين واصلوا مسيرتهم ولم ينصاعوا للتعليمات الإسرائيلية التي جاءتهم عبر مكبرات الصوت بالتوقف، إصرار المبعدين على التقدم وعدم انصياعهم لنداءات الإسرائيليين أدى إلى قصفهم من قبل الإسرائيليين بالدبابات قصفا تحذيريا أدى إلى إصابة عدد من المبعدين من أثر الشظايا، ولم يصب

بخطر بالغ سوى مبعد واحد هو المبعد (أمجد زامل) من مبعدي الضفة الغربية حيث أصيب إصابة خطيرة في فكّه الأسفل.

لم يتوقع الإسرائيليون أن يؤدي قصفهم التحذيري إلى إصابة أي من المبعدين، وقد كان الإسرائيليون يعلمون جيدا أن إصابة أي مبعد سوف تؤدي إلى إحياء قضية المبعدين بزخم أكبر من جديد الأمر الذي لا يريده الإسرائيليون، لذا فان الإسرائيليين سارعوا وعلى الفور بنقل المصاب امجد زامل بطائرة هيلوكبتر عسكرية إلى داخل إسرائيل للعلاج، وقد كان (أمجد زامل) أول المبعدين العائدين .

كان لهذه المسيرة آثار إيجابية كبيرة على المبعدين حيث شعر المبعدون أن قضيتهم قد عادت لتأخذ حيزا إعلاميا كبيرا إضافة إلى أن إعادة (أمجد زامل) قد رفعت من معنويات المبعدين و أشعلت فيهم الأمل بأن عودتهم ليست مستحيلة وأن إسرائيل من الممكن أن ترضخ وتعيدهم إذا ما استطاعوا أن يحافظوا على وتيرة ساخنة في نضالهم من أجل العودة .

المحطة الثانية : مسيرة الاعتصام

مثّل نجاح مسيرة الأكفان دافعا قويا للمبعدين من أجل تكرار المسيرات تجاه الحدود الفلسطينية، وقد قرر المبعدون بعد أكثر من شهر من مسيرة الأكفان وبالتحديد في الخامس والعشرين من آيار الخروج بمسيرة جديدة هي مسيرة الاعتصام، حيث قرر المبعدون التوجه إلى معبر (زمريا) والتعسكر هناك بحيث لا رجعة ولا عودة إلى المخيم، وقد إعتقدت قيادة المبعدين بأن وجود المبعدين معتصمين في العراء لعدة أيام قد يخلق رأيا عالميا ضاغطا على إسرائيل يؤدي إلى

تسريع عملية عودتهم، وهذا ما جعلهم يعتصمون قرب معبر (زمريا) وظلوا ستة أيام بلياليهم في العراء، ولكن دون جدوى، فلم يحقق لا إعتصامهم في العراء ولا حالتهم المعيشية الصعبة التي باتوا يعيشونها بين السماء والأرض دون أدنى متطلبات المعيشة، لم يحقق لهم ذلك أي شيء فبات المبعدون في مأزق حقيقي حيث إن رجوعهم بدون وجود سبب معقول سيعتبر إنسحابا وهزيمة أمام الإسرائيليين أو حتى أمام انفسهم، أما بقاءهم فانه يعني الموت المحقق لهم أو تساقطهم فردا وراء الآخر، لم يعرف المبعدون كيف يجدون مخرجا لهذا المأزق الذي وقعوا فيه، ولكن عناية السماء كانت تنتظرهم، فجأة وبدون سابق إنذار في مساء اليوم السادس من إعتصام المبعدين أخذت السماء تمطر مطرا شديدا على غير عادتها في مثل هذا الشهر من السنة إذ كان المبعدون في شهر يونيو وقد إقترب الصيف من بدايته، أدى هذا المطر الشديد بالجنود الإسرائيليين إلى إلقاء القنابل الضوئية في سماء المنطقة التي إعتصم فيها المبعدون قرب معبر (زمريا)، بعض هذه القنابل لم تنفجر في الجو بل نزلت على الأرض وإنفجرت بالقرب من المبعدين، أحدث انفجار هذه القنابل خوفا وذعراً لدى المبعدين لكنه لم يحدث أي إصابات خطيرة سوى بعض الإصابات الطفيفة بينهم .

لقد أدى هذا المطر وهذه القنابل الضوئية بالمبعدين إلى الرجوع إلى مخيمهم وقد أعلن المبعدون أن سبب فكّهم إعتصامهم و عودتهم إلى المخيم هو هطول الأمطار بغزارة حيث أصبح يتعذر عليهم البقاء في العراء مدة أطول .

يبدو أن السماء لم تكن تمطر مطرا بل أنزلت غيثا على المبعدين.

المحطة الثالثة : مسيرة المشاعل

جاءت مسيرة المشاعل بعد المسيرتين السابقتين وقد كانت ليلا بحيث حمل كل مبعد في يده شعلة مضيئة طاف بها المبعدون مخيمهم ثم إعتصموا حتى الفجر في العراء . وقد جاءت هذه المسيرة كخطوة داعمة في إتجاه نضال المبعدين المستمر لتحقيق عودتهم إلى الوطن .

المحطة الرابعة : في مواجهة السي إن. إن .C.N.N الأمريكية

وضعت الضجة الإعلامية التي أثيرت حول المبعدين في شتى أنحاء العالم الحكومة الإسرائيلية والإعلام الإسرائيلي في وضع حرج للغاية، فالتقارير الإعلامية التي تناقلتها وكالات الأنباء عن الوضع المعيشي الصعب والظروف اللاإنسانية التي يعيشها المبعدون كانت كفيلة بوضع الحكومة الإسرائيلية في خانة صعبة أمام الرأي العام العالمي وأمام مؤسسات حقوق الإنسان والهيئات الدولية المعنية بهذه الأمور، ولم تستطع الحكومة الإسرائيلية بأجهزة إعلامها القوية مواجهة هجمة الانتقاد القوية التي تعرضت لها، لذلك لم تجد إسرائيل مخرجا من هذه الحالة سوى أن تمهد لشبكة (السي. إن. إن.) الأمريكية بعمل تقرير إخباري مصور شامل عن المبعدين،كان الهدف منه إظهار الجوانب الإيجابية في حياة المبعدين وإظهار أنهم يعيشون في رغد من العيش نتاج التبرعات والمساعدات الكثيرة التي وصلت لهم .

وفي أحد الأيام الأوائل من شهر فبراير حيث كان الجو صافيا ولم تسقط الثلوج منذ أيام طلبت وكالة (السي. إن. إن). أن تجري تقريرا شاملا عن المبعدين وقد سمحت قيادة المبعدين لمراسلي ومسؤولي هذه الشبكة بإجراء لقاءهم هذا، خاصة بعد أن تسربت المعلومات لقيادة المبعدين عن الهدف الحقيقي من وراء هذا اللقاء .

وبالفعل حضر فريق العمل التابع لشبكة (السي. إن. إن.) ووفقا للاتفاق فقد أمضى هذا الفريق ثلاثة أيام بلياليها مع المبعدين، بحث فيها أعضاء هذا الفريق عن كل شيء يتعلق بحياة المبعدين، لدرجة أن حاويات القمامة لم تسلم من بحث فريق (السي. إن. إن.) الذين حاولوا أن يسجلوا نوعية الغذاء الذي كان يتلقاه المبعدون. ورغم النية المسبقة لدى فريق (السي. إن. إن.) حول نتيجة هذا التقرير ورغم بحثهم في كل شيء وحديثهم عن كل شيء إلا أن تقريرهم كان لا بد أن يكون عكس ما توقعوا وخلاف ما أرادوا، ليس لانهم فريق فاشل أو لا يجيد العمل ولكن لان عناية الله كانت بالفعل تحرس هؤلاء الم ين بحيث أن الثلوج بدأت تهطل على المخيم منذ اللحظة الأولى التي ـخل فيها فريق (السي. إن. إن.) المخيم، وإستمر هطول الثلوج بشكل متواصل طيلة الثلاثة أيام التي أقامها الفريق في المخيم لدرجة أن إرتفاع الثلوج إزداد وعلى غير عادته في مثل هذه المناطق عن نصف المتر. فلم يستطع خبراء (السي إن. إن.) سوى نقل معاناة حقيقية عاشها المبعدون خلال هذه الثلاثة أيام الغزيرة الثلوج، ذلك لانه مهما توفر لك من سبل العيش الرغيد في مخيم في العراء تغمره الثلوج فان حياتك لا بد أن تكون جحيما وإن كان باردا .

مراسلو (السي. إن. إن.) جرّوا أذيال خيبتهم وعادوا من حيث أتوا، والهزيمة بادية على وجوههم، بينما سرّ المبعدون كثيراً بما منحهم الله من هذا النصر خاصة وأن الثلوج قد توقفت مع رحيل فريق (السي. إن. إن.) الأمريكي .(5)

المحطة الخامسة : أزمة الأعياد والمناسبات

واجه المبعدون أزمة حقيقة عندما بدأت تباشير الأعياد في القدوم، وقد شعر المبعدون جميعا بأزمة نفسية عالية وتوتر فوق العادة نتيجة

تفاعل مشاعرهم الإنسانية مع ذويهم و أسرهم وأحبائهم في هذه المناسبات التي من المفترض أنها مناسبات للسعادة والسرور ولإدخال البهجة خاصة في نفوس الأطفال، وقد إنتبهت قيادة مخيم المبعدين لهذه المسألة التي باتت واضحة بشكل كبير في أوساط كافة المبعدين، لذلك فقد قامت قيادة المبعدين بترتيب برنامج مكثف ومضغوط وعلى غير الحياة العادية اليومية التي عاشها وتأقلم عليها المبعدون.

كان البرنامج يبدأ من بعد صلاة الفجر وحتى الأيام الثلاثة للعيد، شمل هذا البرنامج فقرات التثقيف والترفيه ومحاولة الخروج من الإطار اليومي المعاش. وقدكان البرنامج مضغوطا ومكثفا ومتعبا أيضاً ولكنه أفلح في تمرير هذه المناسبات التي كانت من الممكن أن تترك آثارا سلبية للغاية على المبعدين وصمودهم ونضالهم من أجل عودتهم.

المحطة السادسة: العلاقة مع مبعدي الجهاد

كان من بين مبعدي مرج الزهور قرابة الثلاثين مبعدا ينتمون لحركة الجهاد الإسلامي، وقد تناقلت بعض الأنباء التي كانت تتسرب أو تنقل من مخيم الإبعاد للصحفيين أو للشارع الفلسطيني بأن هناك خلافات قد ظهرت بين مبعدي حركة الجهاد وحماس، حيث إدعى مناصرو الجهاد الإسلامي أن مبعدي حماس قد سيطروا على كافة الأمور ولم يسمحوا لمبعدي الجهاد بممارسة حقهم بالتعبير عن آرائهم وأفكارهم ومواقفهم، وقد خرجت الأمور عن نطاق سرية الخلاف إلى علنيته عندما أعرب الشيخ عبد الله الشامي ممثل مبعدي الجهاد الإسلامي عن ذلك في بيان صحفي جاء فيه : "في الوقت الذي تتفاعل فيه قضية المبعدين على السطح السياسي وتفرض نفسها على الخيارات السياسية الدولية نجد أنفسنا نحن المقتلعين ندخل في إشكاليات لا

تخدم وحدة موقفنا الذي حرصنا عليه منذ الأيام الأولى ... ولا تتبع من جوهر إسلامنا فإسلامنا يرفض الهيمنة ومصادرة الآراء ويرفض سياسة الإرهاب النازي التي باتت سياسة واضحة تجاهنا نحن المبعدين من حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فبالأمس لم نشارك في المسيرة الرمزية نحو معبر (زمريا) مع موافقتنا المبدئية عليها بسبب أن الاخوة الموجودين معنا وعلى رأسهم الرنتيسي لا يريدون لصوتنا أن يظهر ولا يرغبون لموقفنا المتميز أن يكون واضحا، فآثروا أن يمنعونا من الحديث ويحرمونا حقنا في التعبير والذي قدمنا في سبيله شهداء وجرحى ومسجونين حتى أصبح متميزا ومسموعا في الشـ الفلسطيني، ونحن هنا لن نسمح لأحد مهما إمتلك من الأدوات أن يصادر رأينا أو يحاول إحتواءنا وسنعبر عنه بالقوة والوضوح في الوقت والزمان المناسبين". (6)

كان واضحا بعد نشر هذا البيان أن الخلافات متصاعدة بين الطرفين وأن مبعدي الجهاد الإسلامي الذين شعروا بالظلم والاضطهاد من معاملة قيادة حماس وخاصة الرنتيسي قد خرجوا عن صمتهم، وكان واضحا أن هذه الخلافات نبعت من خلال إصرار الرنتيسي على أن يكون هو وحده الناطق باسم المبعدين جميعهم وأن مبعدي الجهاد لا يحق لهم فرز ناطق إعلامي خاص بهم يعبر عن مواقفهم أو آراءهم . شعر الشيخ عبد الله الشامي بأن حماس تحاول إحتواء عناصر الجهاد وإسكاتهم، لذا فقد خرج عن صمته عبر بيان ساخن لوسائل الإعلام .

أما الدكتور عبد العزيز الرنتيسي فقد قلل من شأن هذا الخلاف وإعتبره مجرد إختلاف في وجهات النظر، وقد جاء ذلك من خلال مؤتمر صحفي عقده على خلفية الخلاف بين حماس والجهاد

الإسلامي، وقد جاء خلال هذا المؤتمر على لسان الدكتور الرنتيسي ردا على سؤال حول طبيعة الخلافات ولماذا لا يتم تجاوزها: " لا إشكالات على الإطلاق حتى نتجاوزها ولكل وجهة نظر تحترم، وهذا موجود في كل أنحاء العالم وليس خلافا... الشيخ عبد الله الشامي أخي وحبيبي وليس بيني وبينه أي خلاف... ثانيا: حاول اليهود منذ اللحظة الأولى أن يصورونا أننا حماس وجهاد ولقد كافحنا كثيرا حتى أثبتنا للعالم أجمع أننا شريحة من أبناء الشعب الفلسطيني من العلماء والأطباء والمهندسين والمثقفين... فلسنا حماس ولسنا جهاد ولسنا تنظيما، وبالتالي من أراد أن يتخذ موقفا فهو موقف فردي لا نستطيع أن نفعل له شيئا لأننا لسنا بتنظيم ونعطي الحرية التامة لكل فرد هنا أن يقول ما يريد ويفعل ما يشاء، ولكن قوله سيكون هو وحده محاسباً عليه، أما ما أقوله لكم فهو الذي يمثل المبعدين" . (7)

قبل العودة:

قبل أن نبدأ في سرد الطريقة التي عاد بها المبعدون إلى وطنهم يجب الحديث عن المراحل التي عاشها المبعدين حتى يتسنى لنا فهم وإستيعاب طريقة العودة وهي مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : وهي أصعب المراحل وأقساها وهي التي بدأت مع أول يوم للإبعاد وإستمرت لغاية الشهر الثالث، وقد تمثلت قساوة هذه الفترة في كيفية التعامل مع الحدث والمكان والمعيشة، وقد تم ذكر تفاصيل ذلك سابقا.

المرحلة الثانية : وهي المرحلة التي إستمرت من بعد الشهر الثالث وحتى الشهر التاسع بحيث إستمرت تسعة شهور أعيد خلالها الفوج الأول من المبعدين وقد بلغ عدد أفراده مئتا مبعد .

المرحلة الثالثة : ما تبقى من السنة وهي ثلاثة أشهر إعتبرها المبعدون مرحلة للربيع حيث كانت الأمور قد إستقرت من جميع النواحي المعيشية والنفسية وما كان على المبعدين سوى إنتظار ساعة العودة وفق الاتفاق الذي تمّ من أجل عودة المبعدين، وقد سمح للمبعدين في هذه الفترة بزيارة المدن والقرى اللبنانية زيارت سياحية، بحيث تم تنظيم زيارات جماعية لمن تبقى و أراد من المبعدين إلى داخل المدن اللبنانية، زار خلالها الفوج الذي كان يضم من عشرة إلى خمسة عشر مبعدا الأماكن السياحية والأثرية اللبنانية، وقد وجد هؤلاء المبعدون إستقبالا رائعا و إحتفاء كبيرا وحسن ضيافة لم يسبق لها مثيل من قبل اللبنانيين .

العودة :

في بداية أزمة الإبعاد حاولت بعض الدول العربية والأجنبية التدخل في وساطة بين المبعدين وإسرائيل من أجل إيجاد مخرج لهذه الأزمة الإنسانية والسياسية الكبيرة والتي باتت تحرج إسرائيل يوما بعد يوم خاصة وأن الوفد الفلسطيني المفاوض نتاج مؤتمر مدريد قد أوقف المفاوضات بعد إبلاغه قرار الإبعاد.

حاولت فرنسا التوسط لدى المبعدين من أجل قبول إقتراح بعودتهم على دفعات بحيث كانت إسرائيل قد قررت أن تستمر عملية الإبعاد لمدة عامين .

رفض المبعدون الوساطات حول إقتراح تمضية السنتين وعودة المبعدين خلالها على دفعات حيث أصر المبعدون وقيادتهم على أن يكون قرار عودتهم واحدا، وقد أصدر مجلس الأمن قراره رقم (799) الذي طالب فيه إسرائيل بضمان عودة المبعدين إلى أراضيهم سالمين.(8)

إستمرت الوساطات العربية والأجنبية التي شارك فيها كل من مصر والأردن وبريطانيا وفرنسا وعدد آخر من الدول الأوربية والعربية الذين أبدوا تعاطفهم و إستعدادهم للمساعدة من أجل عودة المبعدين، وقد توصل الوسطاء مع الإسرائيليين إلى تقليص مدة الإبعاد من سنتين إلى سنة واحدة يتم خلالها إعادة المبعدين على دفعتين، وبعد أن درس المبعدون هذا الاقتراح وافقوا عليه، فعادت أول دفعة من المبعدين بعد قضاء تسعة أشهر وقد ضمت قائمة العودة هذه 189 مبعدا تم تحديدهم من قبل الإسرائيليين، عاد منهم 181 مبعدا فقط حيث فضل ثمانية منهم البقاء في مخيم الإبعاد تضامنا مع زملائهم الآخرين، ثم عاد من تبقى من المبعدين وعددهم 215 مبعدا في الدفعة الثانية بعد إنتهاء السنة بإستثناء خمسة مبعدين فضلوا عدم العودة والبقاء في الخارج نتيجة لظروف خاصة تتعلق بهم، بعضهم كانت أسبابه صحية والبعض الآخر كانت دوافعه أمنية،وكانت إسرائيل قد أعادت 19 مبعدا بعد إبعادهم بفترة قصيرة لاسباب صحية أو لالتباس في هويتهم .

تفاصيل العودة :

أولا العودة الأولى : كان يوم الخميس الموافق للتاسع من سبتمبر يوما هاما في حياة المبعدين حيث توجه 181 مبعدا من أصل 189

كانت إسرائيل قد قدمت قائمة بأسمائهم سامحة لهم بالعودة إلى أراضيهم من مخيمهم في مرج الزهور باتجاه معبر زمريا مشيا على الأقدام بعد أن أمضوا تسعة أشهر من الإبعاد، وعند وصولهم إلى معبر زمريا كان في إنتظارهم قرابة الخمسين جندياً إسرائيلياً مدججين بالسلاح تدعمهم دبابة إسرائيلية من نوع (ميركفا) إضافة إلى ناقلة جنود، وكان يرافق القوة الإسرائيلية ثمانية من رجال ميليشيا لبنان الجنوبي المتعاونة مع إسرائيل إضافة إلى (علم الدين بدوي) مسؤول القطاع الجنوبي في هذه الميليشيا، وقد قام (علم الدين بدوي) الذي كان يحمل مسدسا بالمناداة على المبعدين بأسمائهم الشخصية وقد كان يسمح لكل مبعد يسمع اسمه بالدخول لإجراء الفحص والتفتيش بهدف التأكد من شخصيته، كان المبعدون العائدون يحملون لافتات كتبت عليها أسماؤهم وتاريخ ولادتهم، وقد كانت أغراضهم الشخصية قد نقلت في وقت سابق على متن شاحنات، وبعد إجراء فحوصات طبية على المبعدين والتأكد من هوياتهم تم نقلهم بواسطة 15 شاحنة إسرائيلية إلى داخل الأراضي المحتلة عبر المنطقة الأمنية التي تسيطر عليها إسرائيل في جنوب لبنان، وقد كان المبعدون الذين عبروا طريقهم وهم يهللون ويكبرون " الله أكبر" قد سجدوا وركعوا لله بعد دخولهم وهم يحملون المصاحف، وكان آخر ما قاموا به هو التلويح بالأيدي لرفاقهم الذين سينتظرون في مخيمهم حتى شهر ديسمبر القادم حيث ستتم عودتهم إلى أهلهم حسب القرار الإسرائيلي بعودة المبعدين .(9)

ثانيا العودة الثانية : تم إرسال قائمة الأسماء التي حددها الإسرائيليون في المرحلة الأولى والثانية عبر رسالة مع شخص درزي كان يعمل سائقا لسيارة (مرسيدس) في المنطقة الحدودية بين لبنان

وفلسطين المحتلة، وقد كانت الرسالة عبارة عن قائمة تحتوي أسماء المبعدين الذين تقرر لهم السماح بالعودة مع تعليمات العودة والتي كانت تقتضي على المبعدين التوجه الساعة التاسعة صباحا إلى منطقة المطلة مشيا على الأقدام .

توجه المبعدون مشيا على الأقدام وفقا للتعليمات الإسرائيلية بإتجاه المطلة وقرب معبر زمريا، قبل منطقة المطلة المحددة كان الإسرائيليون قد أقاموا حاجزا أمنيا للتأكد من الأسماء .

كانت إجراءات التأكد من الأسماء والشخصيات سريعة جدا وغير معقدة ولم تتخذ أي جانب عدواني من قبل الإسرائيليين على خلاف إجراءات الإبعاد الأولى .

واصل المبعدون المسير إلى المطلة حيث كان بانتظارهم حافلات إسرائيلية كانت مجهزة لنقلهم إلى معتقل النقب الصحراوي وبالتحديد إلى قسم (كيلي شافع) الذي أخذوا منه في بداية طريقهم إلى الإبعاد.

الجنود الإسرائيليون المكلفون بتنفيذ عملية عودة المبعدين قاموا بتقييد المبعدين من أيديهم من الأمام وليس من الخلف كما في رحلة الإبعاد، وبدون عصب أعينهم كما حدث في بداية الإبعاد صعد المبعدون إلى الحافلات التي كانت جاهزة لنقلهم، وخلال ست ساعات كان المبعدون من جديد في قسم (كيلي شافع) الصحراوي في معتقل النقب . (10)

إستمر حجز المبعدين ثلاثة أيام في المعتقل ثم أفرج عنهم جميعا باستثناء الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشيخين حسن شمعة وعبد الفتاح دخان الذين أحيلوا إلى الاعتقال الإداري .

مفارقات في مسيرة الإبعاد :

رغم ما إشتملت عليه عملية الإبعاد من ظروف صعبة ومؤلمة ومواقف حرجة إلا أن هذه المرحلة الهامة من المراحل التي مرت بها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وتأثرت بها الحركة -قيادة وعناصر- تأثيرا كبيرا إلا أنها شملت بعض المفارقات الإنسانية العجيبة في حياة المبعدين كان منها أن أحد المبعدين كان قد فقد بصره في التحقيق معه من قبل الإسرائيليين عام 1982 وقد منع من السفر للعلاج وقد ظل يعاني من آلام ومعانة فقدانه لبصره حتى عام 1992 حيث تم إبعاده، وفور إستقرار أوضاع مخيم المبعدين إستطاع هذا المبعد أن يتلقى العلاج في أحد المستشفيات اللبنانية وقد دلت الفحوص الأولية على إمكانية عودة بصره إليه مع استمرار العلاج وفعلا بدأ هذا المبعد في تلقي العلاج وقد فضل أن يظل في الخارج و ألا يعود مع المبعدين لاكمال علاجه .

أما المفارقة الثانية فقد كان لاحد المبعدين أخ من الذين هاجروا عام 1967 والتحقوا بصفوف المقاومة في إطار منظمة التحرير ولم يتمكن هذا الأخ من رؤية شقيقه طيلة فترة قاربت الخمسة والعشرين عاما، وكم كانت مفاجأته عندما وجد أخيه يبحث عنه ويسأل عنه في مخيم الإبعاد لكي يلتقيه .

بعض ذوي المبعدين سافروا إلى أبنائهم عن طريق بعض الدول العربية ودخلوا لبنان وزاروا أبناءهم في مخيم الإبعاد وإطمأنوا عليهم، بعض آخر كان يعلم أن له أقرباء في لبنان ولكنه عرفهم وجلس معهم في مخيم الإبعاد، فانطبقت عليهم جميعا الحكمة القائلة "رب ضارة نافعة" أو قول الله عز وجل ﴿ عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

صدق الله العظيم

الهوامش

1 . حركة المقاومة الإسلامية حماس، بيان خاص حول خطف الجندي نسيم طوليدانو، مركز أطلس للتوثيق والإعلام، ملف بيانات حركة حماس، ديسمبر 1992 .

2 . شاهد عيان، أحد المبعدين إلى مرج الزهور، المقابلة بحوزة الكاتب.

3 . المصدر السابق

4 . المصدر السابق

5 . المصدر السابق

6 . الشامي، عبد الله، بيان صحفي، مرج الزهور لبنان، 26 /3/ 1993، مركز اطلس للتوثيق والإعلام، ملف المبعدين إلى مرج الزهور.

7 . الرنتيسي، عبد العزيز، مؤتمر صحفي، مرج الزهور لبنان، 3/26/ 1993، مركز أطلس للتوثيق والإعلام، ملف المبعدين إلى مرج الزهور.

8 . عبد المجيد، عصمت، قرارات الأمم المتحدة بشان القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، المجلد 4، لبنان، بيروت، 1995، قرار مجلس الأمن رقم 799 لسنة 1993 .

9 . صحيفة القدس العربي، الصادرة بتاريخ 1993/10/10 .

10 . شاهد عيان، مصدر سابق.

ملف العمليات العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"

ملحق خاص "إعداد مركز أطلس للتوثيق والإعلام /نيسان 2002

مسلسل	اسم العملية	تاريخ العملية	مكان العملية	نوع العملية	نتائج العملية
1	عملية الصبرة	[illegible] 88	حي الصبرة في غزة	طعن	مقتل [illegible] جنود وإصابة اثنين آخرين
2	مستوطنة [illegible]	7 /10/ 88	[illegible] الأردن	طعن	مقتل جندي
3	عملية [illegible]	1988	مستوطنة [illegible]	طعن	مقتل جندي ومستوطن وإصابة ثالث
4	خطف آفي سسبورتس	17/ 2/ 89	[illegible]	خطف	مقتل الرقيب آفي سسبورتس المختطف
5	خطف إيلان سعدون	3/ 5/ 89	داخل إسرائيل	خطف	مقتل الجندي المختطف واختفاء جثته
6	شهداء [illegible]	18/ 1/ 89	الشيخ رضوان في غزة	طعن	مقتل جنديين وإصابة ثالث
7	عملية الشيخ [illegible]	11/ 11/ 89	الشيخ [illegible] في غزة	إطلاق نار	مقتل جنديين
8	طعن في تل أبيب	18/ 12/ 89	تل أبيب	طعن	مقتل إسرائيلي وإصابة آخر
9	عملية مخيم عسكر	5/ 4/ 90	طريق مخيم عسكر	دهس	إصابة 4 جنود إسرائيليين
10	عملية حي البقعة	90 / 10 /8	مدينة القدس	طعن	مقتل 3 وإصابة رابع
11	عملية مشروع الوفود	90 /10 /30	مدينة نابلس	طعن	مقتل جندي
12	عملية الانطلاقة	90 /12 /14	مدينة غزة	طعن	مقتل ثلاثة مستوطنين
13	عملية كرياث يوفال	91 / 3 /10	مدينة القدس	طعن	مقتل 4 مستوطنين وإصابة خامس
14	عملية عسقلان	91 /7 /19	طريق عسقلان	دهس	مقتل جندي وإصابة آخر
15	عملية الثأر	91 /10 /11	طريق تل أبيب	دهس	مقتل جنديين وإصابة 11 آخرين
16	عملية شابلو	91 /10 /28	طريق تل أبيب	إطلاق نار	مقتل 2وإصابة 5 آخرين
17	عملية دير البلح	92 /1 / 1	طريق دير البلح	إطلاق نار	مقتل مستوطن
18	عملية عيد المسخرة	92 /3 /17	مدينة يافا	تفجير	مقتل 2 وإصابة 21 آخرين
19	عملية الشيخ عجلين 2	92 /4 /5	ساحل بحر غزة	إطلاق نار	تحطيم سيارة عسكرية وإصابة 4 من ركابها
20	عملية بيت لاهيا	92 /5 /17	طريق بيت لاهيا	إطلاق نار	مقتل مستوطن

21	معركة حي الصبرة	24/ 5/ 92	حي الصبرة في غزة	إطلاق نار	مقتل جندي وإصابة آخر
22	عملية فندق الشرطة	22/ 6/ 92	شارع بحر غزة	إطلاق نار	مقتل جندي وإصابة آخر
23	عملية مصنع كارلو	25/ 6/ 92	الخط الشرقي في غزة	طعن	مقتل مستوطنين اثنين
24	عمية الهجوم المسلح	25 / 7/ 92	خانيونس	إطلاق نار	إصابة 3 جنود
25	عملية باب المغاربة	30/ 7/ 92	مدينة القدس	طعن	مقتل مستوطن وإصابة آخر
26	خطف الون كرفاتي	8 /9 /92	مخيم البريج	خطف	مقتل الجندي المختطف
27	عملية التلة الفرنسية	22 /9/ 92	القدس	إطلاق نار	مقتل جندي وإصابة اخرين
28	م. شهداء الأقصى 1	21/ 10/ 92	طريق الظاهرية في الخليل	إطلاق نار	إصابة 4 جنود وسيارة رينو 5
29	الحرم الإبراهيمي	25/ 10/ 92	قرب الحرم الإبراهيمي	إطلاق نار	مقتل جندي وإصابة آخر
30	معسكر خانيونس	30 / 10/ 92	خانيونس	إطلاق نار	مقتل جندي
31	الشيخ رضوان	25 / 11/ 92	الشيخ رضوان في غزة	إطلاق نار	مقتل جندي
32	عملية الشجاعية1	7/ 12/ 92	الخط الشرقي في غزة	إطلاق نار	مقتل جندي
33	عملية الحاووز	12/ 12 / 92	مدينة الخليل	إطلاق نار	مقتل ضابط وجندي وإصابة ثالث
34	الوفاء لأحمد ياسين	13/ 12/ 92	مدينة اللد	خطف	مقتل جندي نسيم طوليدانو المختطف
35	إختراق الشاباك	3/ 1/ 93	داخل إسرائيل	طعن	مقتل ضابط الشاباك حاييم نحماني
36	عملية بيت ساحور	19/ 1/ 93	بيت ساحور	إطلاق نار	مقتل جندي
37	شهداء خانيونس	30/ 1/ 93	مستوطنة في خانيونس	إطلاق نار	مقتل جنديين وإصابة ضابط
38	عملية الشجاعية 2	12/ 2/ 93	الخط الشرقي، غزة	إطلاق نار	إصابة 3 جنود في حادثين متتابعين
39	محطة الخضيرة	17/ 2/ 93	مدينة الخضيرة	إطلاق نار	مقتل جنديين
40	عملية بيت شيمش	7/ 3/ 93	بيت شيمش	محاولة خطف	مقتل الجندي
41	عملية الشجاعية 3	12/ 3/ 93	الطريق الشرقي في غزة	إطلاق نار	إصابة 4 جنود إسرائليين

42	عملية مستوطنة جيلو	15/ 3 / 93	طريق نابلس	دهس	مقتل مستوطنين اثنين
43	عملية الشيخ عجلين 3	15/ 3/ 93	الشيخ عجلين في غزة	إطلاق نار	بدون إصابات
44	عملية القرارة	17 /3 /93	طريق خانيونس	إطلاق نار	سقوط 4 جنود بين قتيل وجريح
45	الإيماد الثالثة	18/ 3/ 93	القرارة، خانيونس	إطلاق نار	سقوط عدد من الجرحى
46	عملية 27 رمضان	20/ 3/ 93	السامرة	إطلاق نار	مقتل وجرح عدد من المستوطنين
47	عملية ليلة القدر	20/ 3/ 93	مخيم جباليا	إطلاق نار	مقتل 3 جنود وإصابة 4 آخرين
48	كمين مفترق القرارة	21 / 3/ 93	مفترق القرارة	إطلاق نار	مقتل وجرح عدد من أفراد الشرطة
49	عملية مخيم المغازي	23 / 3/ 93	مخيم المغازي	إطلاق نار	إصابة جندي
50	عملية شارع باريس	27 / 3/ 93	شمال الضفة الغربية	إطلاق نار	مقتل جندي إسرائيلي
51	عملية شارع اليرموك	27 / 3/ 93	شارع اليرموك	إطلاق نار	مقتل وإصابة عدة جنود
52	عملية شارع الوحدة	28 / 3/ 93	غزة	إطلاق نار	عدة إصابات
53	عملية الشهيد حاتم الزين	29/ 3/ 93	م. غوش قطيف	طعن	مقتل مستوطن
54	عملية طريق الخضيرة	30 / 3/ 93	طريق الخضيرة	إطلاق نار	مقتل اثنين
55	عملية يوم الأرض	30 / 3/ 93	طريق الخضيرة	إطلاق نار	مقتل جنديين
56	عملية ميحولا	16/ 4/ 93	مدينة بيسان	انفجار سيارة	مقتل اسرائيلي وجرح 9 جنود آخرين
57	عملية معركة حي التفاح	20 / 4 / 93	غزة، التفاح	اطلاق نار	مقتل ضابط مخابرات و3 جنود
58	عملية مفترق بيلو	6/ 5/ 93	مفترق بيلو	اطلاق نار	إصابة جندي بجروح خطيرة
59	عملية عمارة المنبتاوي	12 / 5/ 93	وسط مدينة نابلس	طعن	مقتل ضابط وإصابة جندي
60	العملية المشتركة	16 / 5/ 93	مستوطنة في خانيونس	طعن	مقتل مستوطنين اثنين
61	عملية الثأر	16 / 5/ 93	وسط تل أبيب	تفجير مبنى	مقتل اسرائيلي وجرح 40 آخرين

62	معركة وادي الخليل	19 / 5/ 93	الخ[illegible]	إطلاق نار	مقتل 3 وجرح 11 آخرين
63	عملية نقطة السودانية	28 / 5/ 93	غزة، السودانية	إطلاق نار	مقتل وجرح 7 جنود
64	م. حي المشاهرة	30 / 5/ 93	حي قرقش	إطلاق نار	إصابة العديد من الجنود
65	عملية الطريق الساحلي	27/ 6/ 93	طريق الساحل	إطلاق نار	اصابة ضابط بجروح خطيرة
66	عملية الشهيدين	1/ 7/ 93	القدس الغربية	محاولة خطف	مقتل مستوطنين وعدد من الجنود
67	عملية مستوطنة تقوع	8 / 7 / 93	بيت لحم	إطلاق نار	مقتل ضابط
68	عملية الشيخ أحمد ياسين	5/ 8/ 93	شمال القدس	خطف	اختطاف الجندي وقتله
69	عملية دير بلوط	6/ 8/ 93	موقع عسكري	إطلاق نار	مقتل جنديين وإصابة ثالث
70	عملية الحي الاستيطاني	2/ 9/ 93	بين الخليل وبئر السبع	إطلاق نار	مقتل رقيب وإصابة جندي
71	عملية مصلحة السجون	12/ 9/ 93	مستوطنة نتساريم	إنفجار	إصابة ضابط ومجندة
72	عملية وسط الخليل	12/ 9/ 93	الخليل	إطلاق نار	إصابة إسرائيلي بجروح
73	عملية مصعب بن عمير	12/ 9/ 93	غزة ، الزيتون	إطلاق نار	مقتل 3 جنود إسرائيليين
74	عملية عسقلان	12/ 9/ 93	عسقلان	طعن	مقتل إسرائيلي وإصابة 3 آخرين
75	عملية بلدية غزة	14/ 9/ 93	غزة	إطلاق نار	مقتل جندي إسرائيلي
76	عملية مفترق نتسارا	14/ 9/ 93	الخليل	إطلاق نار	إصابة 4 جنود
77	عملية مركز شرطة الرمال	14/ 9/ 93	غزة	إطلاق نار	بدون إصابات
78	عملية رعنانا	22/ 9/ 93	شمال تل أبيب	خطف	خطف جندي وقتله
79	عملية بيت إيل	4/ 10/ 93	شمال الضفة	سيارة مفخخة	إصابة 30 شخصاً
80	عملية العطاطرة	19/ 10/ 93	قرب بيت لاهيا	كمين مسلح	إصابة مستوطنين اثنين
81	عملية الشهيد جميل وادي	24/ 10/ 93	خانيونس	محاولة خطف	مقتل جنديين

82	عملية بيت كاحل	93 /11 /7	الخليل	إطلاق نار	مقتل مستوطن وإصابة حاخام اخر
83	عملية الخليل	93 /12 /6	الخليل	إطلاق نار	مقتل اثنين وإصابة 3 آخرين
84	عملية ذكرى الانطلاقة	93 /12 / 22	بيتونيا	إطلاق نار	مقتل مستوطن
85	عملية عماد عقل	93 /12 / 24	غزة، شارع النصر	إطلاق نار	مقتل الكولونيل مئير منز وإصابة 3 آخرين
86	عملية شارع الثلاثيني	93 /12 / 30	غزة، شارع الثلاثيني	إطلاق نار	مقتل إسرائيلي وإصابة آخر
87	رأس العين	يناير 1994	موقع عسكري	تفجير	إصابة جنديين إسرائيليين بجراح خطيرة
88	عملية شارع عمر المختار	94 /1 /26	شارع عمر المختار	إطلاق نار	إصابة 5 جنود واعتقال أحد المهاجمين
89	عملية العفولة	94 / 4 /6	موقف باصات العفولة	تفجير	تسعة قتلى وإصابة50 آخرين
90	عملية السدود	94 / 4 /7	مدينة السدود	إطلاق نار	مقتل 13 إسرائيلياً
91	عملية الخضيرة	94 / 4 /13	مدينة الخضيرة	تفجير	مقتل 5 وإصابة 130 آخرين
92	عملية القدس	94 / 4 /18	القدس	طعن	إصابة 3 إسرائيليين
93	عملية عسقلان	94 / 4 /21	مدينة عسقلان	طعن	مقتل إسرائيلي
94	عملية الخضيرة	94 / 4 / 31	بلدة الخضيرة	تفجير	مقتل 5 إسرائليين وإصابة 32 آخرين
95	عملية القدس	94 / 10 /9	مدينة القدس	إطلاق نار	مقتل جندي وإصابة 16آخرين
96	عملية نخشون فاكسمان	94 /10 /11	داخل إسرائيل	خطف	خطف الجندي نخشون فاكسمان وقتله
97	عملية ديزنكوف	94 /10 /19	شارع ديزنكوف	تفجير	مقتل 22 وإصابة 47 آخرين
98	ع. م. جاني طال	94/ 11/20	قطاع غزة	تفجير لغم	تفجير لغم في مركبة دورية إسرائيلية
99	عملية رفح	94 / 11 /24	مدينة رفح	تفجير	إصابة عدة جنود إسرائيليين

100	ع. م. غنديل	94 /11 /27	جنوب الخليل	إطلاق نار	مقتل الحاخام عامي أوفير وإصابة آخر
101	عملية سلاح الطيران	94 /12 /25	قرب القدس	تفجير	مقتل إسرائيلي وإصابة 13 آخرين
102	عملية شهداء الرضوان	95 / 4 /9	مستوطنة كفار داروم	تفجير	مقتل 9 وإصابة 43 آخرين
103	عملية شهداء الرضوان	95 /4 /9	مفترق نتساريم	تفجير	مقتل جندي وإصابة 4 آخرين
104	عملية رمات غان	95 /7 /24	رمات غان	تفجير	مقتل 6 إسرائيليين وإصابة 10 آخرين
105	عملية رمات أشكول	95 /8 /21	رمات اشكول	تفجير	مقتل 9 وإصابة 107 آخرين
106	عملية تل ابيب	95 /10 /19	تل أبيب	تفجير	مقتل 21 وإصابة 47 آخرين
107	عملية الرام	95 /11 /1	بلدة الرام	اطلاق نار	إصابة الحاخام عوزي إغنو بجراح
108	عملية خلية صوريف	آخر عام 95	قرية بيت أمر	اطلاق نار	مقتل جنديين إسرائيليين
109	عملية الحافلة 18	96 /2 /25	داخل إسرائيل	تفجير	مقتل 24 وإصابة 50 آخرين
110	عملية عسقلان	96 /2 /25	مدينة عسقلان	تفجير	مقتل 3 جنود وإصابة 30 آخرين
111	عملية القدس الغربية	96 /2 /26	التلة الفرنسية	دهس	مقتل إسرائيلي دهسا بسيارة المهاجم
112	عملية الحافلة 18 (2)	96 /3 /3	داخل إسرائيل	تفجير	مقتل 19 إسرائيليا وإصابة 10 آخرين
113	تل أبيب	96 /3 /4	السوق المركزي	تفجير	مقتل 13 إسرائيلياً وإصابة العشرات
114	عملية خلية صوريف 2	حزيران 96	مستوطنة زخاريا	اطلاق نار	إصابة سيارة عسكرية عند مدخل المستوطنة
115	عملية خلية صوريف 3	تموز 96	مستوطنة سيفوت بيتار	اطلاق نار	مقتل إسرائيليين
116	خطف الجندي شمعون	96 / 9 / 9	داخل إسرائيل	خطف	خطف الجندي شمعون وقتله
117	عملية مقهى افوروفو	97 /3 /21	وسط تل أبيب	تفجير	مقتل 3 وإصابة 6 آخرين

118	عملية محنى يهودا	97 / 7 / 30	قرب القدس	تفجير	مقتل 17 وإصابة 150 آخرين
119	عملية بني يهودا	97 / 8 / 30	القدس	تفجير	مقتل وإصابة قرابة 100 إسرائيلي
120	عملية القدس الغربية	97 / 9 /4	القدس	تفجير	مقتل 5 وإصابة 170 آخرين
121	عملية نتانيا الأولى	2001 / 1 / 1	نتانيا	تفجير	إصابة 19 إسرائيلياً
122	عملية نتانيا الثانية	2001 / 3 / 4	نتانيا	تفجير	مقتل 5 وإصابة 74 آخرين
123	عملية كفر سابا	2001/4 /22	كفر سابا	تفجير	مقتل إسرائيلي وإصابة 39 آخرين
124	عملية نتانيا الثالثة	2001/5 /18	نتانيا	تفجير	مقتل 5 وإصابة 100 إسرائيلي آخرين
125	عملية تل ابيب	2001/ 6 /3	تل ابيب	تفجير	مقتل 20 إسرائيلياً وإصابة 100 اخرين
126	عملية القدس	2001/8 /10	القدس	تفجير	مقتل 18إسرائيلياً وإصابة 10 آخرين
127	عملية نهاريا	2001/9/10	نهاريا	تفجير	مقتل 3 إسرائيليين وإصابة 36 آخرين

جدول تحليلي لعمليات حماس العسكرية

السنة	عدد العمليات	نوع العمليات					مواقع العمليات		
		إطلاق نار	تفجير	خطف	طعن	دهس	غزة	الضفة	إسرائيل
1988	3	-	-	-	3	-	1	1	1
1989	5	1	-	2	2	-	2	-	3
1990	4	-	-	-	3	1	1	2	1
1991	4	1	-	-	1	2	-	-	4
1992	18	13	1	2	2	-	11	3	4
1993	52	37	4	5	5	1	25	17	10
1994	15	4	8	1	2	-	2	2	11
1995	7	2	5	-	-	-	2	2	3
1996	8	2	4	1	-	1	-	2	6
1997	4	-	4	-	-	-	-	-	4
1998	-	-	-	-	-	-	-	-	-
1999	-	-	-	-	-	-	-	-	-
2000	-	-	-	-	-	-	-	-	-
2001	7	-	7	-	-	-	-	-	7
المجموع	127	60	33	11	18	5	44	29	54

من خلال الاطلاع على الجدول السابق يمكننا تقسيم العمل العسكري لحركة حماس إلى أربعة مراحل، تتميز كل مرحلة بميزات خاصة وتعكس كل مرحلة منها حالة الحركة ووضع جهازها العسكري، وهذه المراحل هي :

المرحلة الأولى : منذ بداية إنطلاقة الحركة حتى نهاية 1991

1 ـ يلاحظ في هذه المرحلة أن عدد العمليات العسكرية خلال فترة 4 سنوات بلغ (16) عملية عسكرية فقط وهو عدد قليل كما سيلاحظ فيما بعد .

يرجع السبب هنا في إعتقادنا إلى أن الانتفاضة الفلسطينية قد بدأت كمواجهات جماهيرية مع قوى الاحتلال الصهيوني، وقد إستخدمت الجماهير في مواجهاتها سلاحاً واحداً فقط هو الحجر وكان من مظاهر المواجهة (المتراس).

كما أننا نعتقد أن حماس في هذه الفترة لم تكن قد سعت لامتلاك السلاح لاستخدامه في حالة توفره، وقد يدلل على ذلك وجود عمليتي إطلاق نار فقط خلال هذه الفترة .

2 ـ تميزت هذه الفترة بعمليات الطعن حيث بلغت عمليات الطعن (9) عمليات، بمعدل 56.25 ٪ من النسبة الإجمالية للعمليات .

وقد يرجع السبب هنا إلى أن عدداً كبيراً من هذه العمليات لم تكن عمليات منظمة، إنما كانت تأتي كردود فعل على إقتحام قوات الجيش الإسرائيلي للمنازل الفلسطينية ومهاجمة سكانها، الأمر الذي كان يدفع هؤلاء السكان للدفاع عن أنفسهم باستخدام الأسلحة البيضاء التي كانت تتوفر لديهم في منازلهم، مثل السكاكين والسواطير والسيوف.

3 ـ نلاحظ أيضا أن أكثر ، ـ صف العمليات قد تركزت داخل إسرائيل حيث بلغت هذه العمليات (9) عمليات، أي بما نسبته 25، 56٪. وقد يفسر لنا هذا الأمر سهولة التحرك إلى داخل إسرائيل في هذه الفترة مع صعوبته داخل الأراضي الفلسطينية التي يتواجد فيها الاحتلال، ورغم أن إسرائيل حاولت خلال هذه الفترة فرض سياسة جديدة للدخول إلى إسرائيل من خلال البطاقة الممغنطة، إلا أن دخول إسرائيل كان ما زال سهلا مقارنة بالفترات اللاحقة .

4 ـ شهدت هذه المرحلة حادثتي خطف هامتين لجنديين إسرائيليين إعتبرتا بمثابة الانطلاقة الفعلية للعمل العسكري لحركة حماس.

المرحلة الثانية :من بداية 1992 وحتى بداية 1994

تعتبر هذه الفترة من أهم فترات العمل العسكري لحماس وقد تميزت هذه الفترة بـ :

1ـ إرتفاع عدد العمليات العسكرية التي نفذتها حماس خلال هذه الفترة ففي عام 1992 بلغت (16) عملية بما يوازي عدد العمليات التي جرت خلال الثلاث سنوات السابقة، كما أن عدد هذه العمليات إرتفع بصورة كبيرة للغاية في عام 1993 ليسجل أعلى نسبة عمليات في تاريخ الحركة حيث بلغت العمليات (52) عملية عسكرية .

وقد يفسر لنا إرتفاع عدد العمليات في السنة الأولى من هذه الفترة هو إنطلاقة الجهاز العسكري لحماس بشكل فعلي وعلني حيث

شهد عام 1992 الإعلان عن تأسيس كتائب الشهيد عز الدين القسام كجهاز عسكري لحركة حماس، أما زيادة نسبة العمليات في عام 1993 فقد يكون سببها الرئيسي هو عملية الإبعاد التي قامت بها إسرائيل مع نهاية عام 1992 لعدد كبير من قادة حماس إلى مرج الزهور في جنوب لبنان، الأمر الذي زاد من شعبية حماس ومن رغبة عناصرها للالتحاق بالجهاز العسكري لتنفيذ عمليات تؤكد لإسرائيل أن عملية الإبعاد لن تفلح بالقضاء على حركة حماس وأن جنودها وقادتها ما زالوا موجودين .

2 . تميزت هذه الفترة أيضا بارتفاع عدد العمليات التي نفذت من خلال الأسلحة النارية، فعمليات (إطلاق النار) بلغت العمليات (47) عملية بنسبة 2، 71 ٪ من إجمالي عمليات هذه الفترة .

وقد يفسر هذا الأمر ذلك التحول الكبير الذي إتخذته قيادات الانتفاضة من فصائل مقاومة فلسطينية باعتماد الكفاح المسلح مع بداية 1992 كوسيلة من وسائل مقاومة الاحتلال .

كما يدلل ذلك على نجاح حماس في إمتلاك ترسانة من الأسلحة النارية التي سعت للحصول عليها مع بداية عام 1992 لمواكبة النهج الجديد للانتفاضة .

3 . يلاحظ خلال هذه الفترة أن أعلى نسبة للعمليات العسكرية قد جرت في قطاع غزة، حيث بلغت هذه العمليات (36) عملية عسكرية أي بنسبة 5، 51 ٪، وقد يرجع هذا الأمر إلى أن جهاز حماس العسكري قد إنطلق فعليا من مدن قطاع غزة .

4 ـ شهدت هذه الفترة تحولا جديدا في العمل العسكري لحماس حيث بدأت كتائب القسام باستخدام أسلوب جديد هو عمليات التفجير داخل إسرائيل، الأمر الذي رفع عدد الضحايا ليبلغ (77) قتيلاً و (172) جريحاً، الأمر الذي إعتبر رقما قياسيا في عدد القتلى والجرحى في ذلك الوقت، حيث لم تشهد إسرائيل سقوط مثل هذا العدد من القتلى منذ نهاية عملية إجتياح لبنان عام 1982 وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت .

المرحلة الثالثة : من بداية عام 1994 وحتى نهاية عام 1997

1 ـ يلاحظ في هذه الفترة تراجع العمليات العسكرية لحماس منذ بداية عام 1994 حيث بلغت العمليات (13) عملية، أما عام 1995 فقد بلغت العمليات (6) عمليات فقط، أما عام 1996 فقد بلغت (8) عمليات فقط، أما عام 1997 فقد بلغت (4) عمليات .

وقد يفسر لنا قدوم السلطة الوطنية وإنسحاب إسرائيل من عدد كبير من المناطق التي إحتلت عام 1967 هذا الأمر، فقد بدأت السلطة منذ قدومها متابعة الفصائل الفلسطينية ومنها حماس من أجل منعها من تنفيذ عمليات ضد إسرائيل تنفيذا لاستحقاقات أوسلو الأمنية التي ترتبت على السلطة الوطنية الفلسطينية .

2 ـ شهدت هذه الفترة زيادة كبيرة في عدد القتلى الإسرائيليين مقارنة بعدد العمليات حيث بلغ عدد القتلى (174) قتيلاً وأكثر من (927) جريحا، ذلك من خلال عمليات التفجير التي تصاعدت في إسرائيل والتي تعتبر أهم معالم هذه الفترة حيث

بلغت عمليات التفجير (21) عملية أي بنسبة 6، 66 ٪ من مجموع العمليات،وقد يفسر ذلك هو قدرة الجهاز العسكري لحماس على التحرك داخل أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية بشكل مريح لتنسيق عملياته داخل إسرائيل، رغم الضغوطات التي كانت تتم من قبل السلطة، وقد تكون هذه الضغوطات هي السبب الرئيسي لنقل حماس عملياتها من أراضي السلطة لعدم إحراجها سياسيا أمام إسرائيل إلى داخل الأراضي الإسرائيلية التي تعتبرها حماس أراضي فلسطينية محتلة .

المرحلة الرابعة : منذ بداية عام 1998 وحتى أواخر عام 2000

نلاحظ هنا عدم تنفيذ أي عملية خلال هذه الفترة التي تجاوزت عامين ونصف، وقد يرجع ذلك إلى التناغم والتفاهم والاتفاقيات السرية بين حماس والسلطة، من أجل إعطاء العملية السلمية فرصة للنجاح .

المرحلة الخامسة : إنتفاضة الأقصى

تبدأ هذه الفترة مع بداية إنتفاضة الأقصى في أيلول عام 2000، وقد تميزت هذه العمليات بمواجهة الإسرائيليين في عقر دارهم وتكبيدهم خسائر بشرية ومالية ونفسية كبيرة جدا ويلاحظ أن هذه الفترة تميزت بـ :

1- تفوق أمني لحركة حماس على أجهزة الأمن الإسرائيلية حيث إستطاعت كتائب القسام تنفيذ 7 عمليات تفجير داخل إسرائيل خلال عام 2001 .

2-إنتقال ثقل العمل العسكري من قطاع غزة إلى الضفة الغربية، وقد يفسر ذلك صعوبة التحرك من قطاع غزة إلى داخل إسرائيل حيث الوضع الجغرافي الصعب الذي يقع ضمنه قطاع غزة ، على خلاف الضفة الغربية التي تسمح لها جغرافيتها المفتوحة مع إسرائيل بالتحرك بحرية كبيرة داخل إسرائيل .

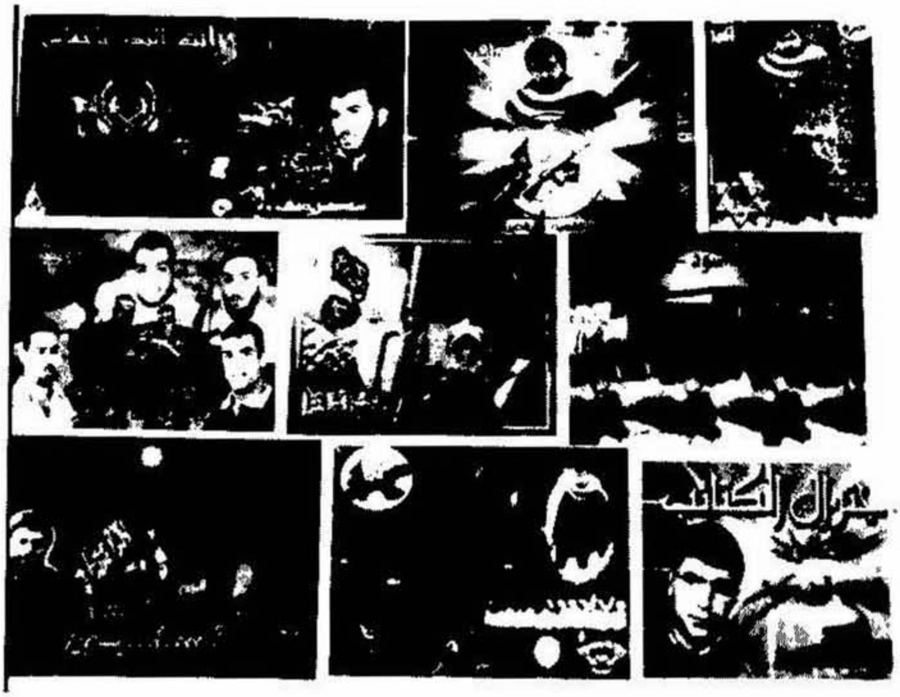
3- شهدت هذه الفترة تنسيقا كبيرا أو تناغما في العمل العسكري بين حماس وبقية الفصائل الفلسطينية المقاومة للاحتلال، خاصة حركة فتح بعكس الفترات السابقة التي كانت تسودها التوترات بين الطرفين، وقد تم تنفيذ بعض العمليات المشتركة من الطرفين كما أعلنت وسائل الإعلام العالمية ووسائل الإعلام الخاصة بالحركتين.

صور ووثائق خاصة





عدد من شهداء كتائب عز الدين القسام

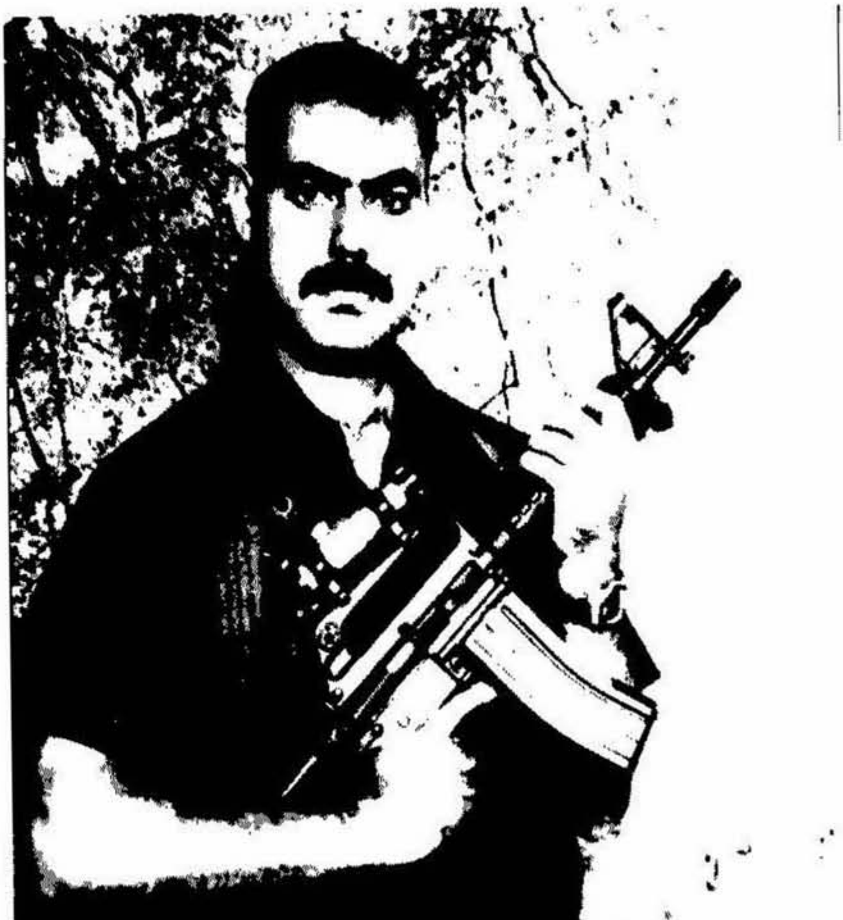



يحيى عياش


الشهيد المهندس
يحيى عياش



الشهيد - عماد عقل
احد أبرز وأهم قادة كتائب عز الدين القسام



الشهيد - عوض سلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج مقترح للمواجهات الجماهيرية والسياسية

في الداخل في مواجهة اتفاق غزة - اريحا ... ١٩٩٣/١٠/٩

يقصد هنا بالمواجهات الجماهيرية والسياسية : كل الأساليب والوسائل والخطط والبرامج والاراديات [?] والعناصر التي يمكن للحركة منفردة او بالتنسيق مع الآخرين تنفيذها ضد الاحتلال او سلطة الحكم الذاتي .

اولا : اهداف البرنامج :-

الهدف الاول والوحيد للبرنامج هو افشال اتفاق غزة-أريحا اولا ، ولكن هناك اهداف أخرى جزئية يهدف البرنامج لتحقيقها وأهمها هي :-

١ - عزل سلطة الحكم الذاتي شعبيا ، واظهار ارتباطها بسلطات الاحتلال .

٢ - كشف عيوب وسوءات ومخاطر الاتفاق على الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

٣ - الابقاء على جذوة الصراع مشتعلة مع الكيان الصهيوني بكل ادواته .

٤ - تعزيز موقف الحركة السياسي والجماهيري تمهيدا لقيادة الشارع الفلسطيني بعد فشل الاتفاق .

٥ - استغلال المظاهر الايجابية للاتفاق في تعزيز وجود الحركة .

ثانيا : سياسات وضوابط المواجهة :-

١ - التعامل مع سلطة الحكم الذاتي على انها سلطة متسلطة وليست لخدمة الشعب والقضية .

٢ - تجنب الاقتتال الداخلي ، وعدم المبادأة فيه ، إلا أن اضطررنا لذلك دفاعا عن النفس .

٣ - التدرج في تصعيد المواجهات ضد سلطة الحكم الذاتي بالتناسب مع ظهور عيوب هذه السلطة وحقائق الاتفاقية المريرة للشعب الفلسطيني حيث تزداد هذه المواجهات مع بروز علامات فشل او سلبيات الاتفاقية .

٤ - المضي في المواجهات وفق تجاوب الشارع معها ، حيث ان الانعكاسات المالية على الناس قد تحد من تجاوبهم مع برامج المواجهة في المراحل الاولى على الاقل ، ولكن سوءات الاتفاقية التي ستنكشف فيما بعد ستثير الوازع الشعبي .

٥ - اظهار وابراز المظالم التي تتعرض لها الحركة من قبل سلطة الحكم الذاتي وشتى الطرق لكسب الشارع لصالحنا .

٦ - تجنب الاشارة الى السلطة واتباعها بأنهم "خونة" حتى لا يؤدي ذلك الى توحيد صفوفهم ضدنا والتركيز على الممارسات والسياسات .

٧ - محاولة زيادة الشرخ في الصف الفتحاوي وكسب اكبر عدد من العناصر الوطنية الشريفة لجانبنا .

٨ - عدم التفرد بالمواجهات واشراك القوى الاخرى كلما امكن ، بالاضافة الى جعل المواجهات جماهيرية قدر الامكان والاحتماء بالجماهير من سلطة الحكم الذاتي .

٩ - تشجيع المشاريع التي تخدم الاستقلال الاقتصادي الفلسطيني ومحاربة اساليب التطبيع والابتزاز [?] .

ثالثا : تجهيز متطلبات المواجهة :-

ان لكل مرحلة متطلباتها ومستلزماتها ، ومن اهم مستلزمات هذه المرحلة :-

١ - انشاء مؤسسات جديدة وتعزيز دور المؤسسات القائمة .

٢ - ابراز عدد من الرموز المناصرة للعمل المؤسسي والشعبي .

٣ - التغلغل في البنية الاجتماعية الفلسطينية .

٤ - استكمال البنية التنظيمية والمالية .

٦ - تفعيل جهاز الامن والرصد .. الخ

(أ) انشاء مؤسسات جديدة وتعزيز دور المؤسسات القائمة :

١ - انشاء مؤسسات جديدة :-

ويشمل ذلك انشاء اللجان والهيئات والمؤسسات السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لخدمة الخط العام لبرنامج المواجهة ، المرحلة الجديدة التي يمر بها الشعب الفلسطيني في الداخل ، حيث ان المؤسسات الموجودة اصلا انشئت في ظروف مختلفة ولا تستطيع ان تلبي حاجة المرحلة الجديدة هذه الفكرة الى مواجهة الاتفاق من خلال العمل السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي المنظم المؤطر تحت لافتات عامة ذات صبغة شعبية او حتى قانونية حسب المصلحة .

ويمكن تحديد اهم مبررات انشاء هذه المؤسسات بالتالي :-

١ - ان قدرة حركة حماس على العمل الجماهيري والسياسي ربما تكون محدودة في ظل التضييق الذي سيمارس عليها من قبل سلطة الحكم الذاتي من جهة وسلطة الاحتلال من جهة اخرى .

٢ - قدرة هذه المؤسسات النسبية على التحرك بسبب عدم ارتباطها المباشر بتنظيم معين ووجود شخصيات شعبية مرموقة على رأسها .

٣ - قطع الطريق على تنظيم فتح من امتلاك الساحة الشعبية ، حيث يتوقع ان يبادر هذا التنظيم لتشكيل مثل هذه المؤسسات للاسباب التالية :-

أ - لتنفيس المعارضة الفلسطينية وتمييع القضايا الحساسة التي يمكن ان تطرحها ضد سلطة الحكم الذاتي وضد الاتفاق ، وذلك بحجة وجود لجان محددة لهذا الغرض .

ب - محاولة تحسين شروط الحكم الذاتي واظهار المعارضة الجماهيرية لبعض التفصيلات بما لا يمس الاطار العام والمتفق عليه ، وبدون مواجهة سلطة الحكم الذاتي ، بل محاولة تحسين صورتها واظهار تجاوبها مع مطالب الشعب الفلسطيني .

ج - منافسة مؤسسات الحركة القائمة وتهميش دورها .

ونقترح هنا انشاء المؤسسات التالية :-

١ - حزب سياسي (تجمع سياسي وطني اسلامي) :

فكرة انشاء حزب سياسي تعتبر فكرة جديرة بالاهتمام ، وتحتاج الى دراسة امكانية انشائه خلال الـ ٣ اشهر القادمة ويتم [illegible] الشخصيات الوطنية المعارضة المعروفة من خلاله ، ويمكن ان يكون صبغة هذا الحزب او التكتل تجمع لشخصيات وطنية واسلامية معارضة ، وليس فقط حزبا اسلاميا صرفا ، ويسعى هذا الحزب لاخذ ترخيص من سلطة الحكم الذاتي اذا تطلب الامر ويمكن أن يخوض الانتخابات في مراحل لاحقة اذا لم تفرض عليه شروط محددة كالاعتراف بالكيان الصهيوني .

٢ - الهيئة العليا للدفاع عن المعتقلين :

وتهتم هذه الهيئة بمتابعة قضايا المعتقلين في سجون الاحتلال ، ولدى سلطة الحكم الذاتي بتهم امنية او سياسية تتعلق بمقاومة الاحتلال أو بمعارضة سلطة الحكم الذاتي ، وتركز هذه الهيئة على فضح التمييز والانتقائية في الافراج عن المعتقلين لدى سلطات الاحتلال وتعمل على الافراج عن جميع المعتقلين بدون استثناء ، كما تتولى الدفاع عن المعتقلين السياسيين أم الامنيين لدى سلطة الحكم الذاتي ، وكذلك نشر كل حوادث الاعتقال والمطاردة للمطلوبين واظهار تواطؤ سلطات الحكم الذاتي مع سلطات الاحتلال في القبض عليهم ، وتتكون هذه الهيئة من مجموعة من المحامين ورجال القانون وبعض الشخصيات الاعتبارية .

٣ - جمعية مناهضة الاستيطان :

وتتولى هذه الجمعية التصدي لقضايا الاستيطان بكافة جوانبها ، وفي كل الاراضي المحتلة ، وتقوم هذه الجمعية باعداد الدراسات والتقارير عن حركة الاستيطان وتوطين المهاجرين ، ويمكن أن تقوم بتنظيم مظاهرات احتجاجية وتوجيه رسائل استنكار للساحة الفلسطينية ، واصدار البيانات والدراسات والتقارير عن حركة الاستيطان والمطالبة بوقفها ، واظهار عجز سلطة الحكم الذاتي عن وقفها ، بل وكشف حقيقة ان الاتفاق لم يتضمن وقف الاستيطان او الحد منه ، ويمكن ان تكون لهذه الجمعية هيئة ادارية وعضوية مفتوحة لكل المتضررين من الاستيطان اليهودي ، ويمكن تسجيلها كجمعية معترف بها قانونيا لدى سلطات الاحتلال .

٤ - منظمة لحقوق الانسان :

ويمكن أن تكون هذه المنظمة مستقلة او فرعا لمنظمة دولية ، وفي حالة تعذر ذلك فيمكن ادخال بعض . . . .
مبادئها مؤخرا وهي " المنظمة الوطنية الفلسطينية العليا لحقوق الانسان " وتتولى هذه المنظمة كما هو معروف نشر كل

لسماء اسلامية للاستفادة من المعونات الدولية —
والمتوقعة يجب ايلاء هذا الجانب اهمية كبيرة ، وهو الجانب الذي يتميز به الاسلاميون بخبرة الانتفاضة تجعل من الصعب استدراج الناس لمغنا سياسيا ، ولكن يمكن استدراجهم باساليب ا لتقدم لقطف الثمرة سياسيا .

٥ - استكمال البنية التنظيمية والمالية :

وهو عنصر اساس مهم لكل ما سبق ، وهذا يتطلب دراسة امكانية الاستثمار في الاراضي اه موارد مالية مستقرة ، كما يتطلب اعادة النظر في الهيكل التنظيمي للحركة بما يتناسب مع طبيعة المر

٦ - تفعيل جهاز الامن والرصد :

على اعتبار ان جمع المعلومات هي من احد اهم اسس اتخاذ القرار السياسي الصحيح ، والذي يقوم على معر والتصدي له والمشاكل شلطه قبل تفجرها ، كما ان حماية أمن الحركة في هذه المرحلة تعتبر مسألة حرجة ، إذ وتو لمحاولات متعددة ، وقد تتعرض لضربات موجعة .

أبرز معالم برنامج المواجهة :

وبعد ان حددنا متطلبات لانتقال غزة - اريحا ، لابد من تحديد الكيفية التي يمكن بها استثمار هذه الامكانيات والطاقات وفق برنامج عام يستند الى فهم واقع المرحلة وحدود الامكانيات المتاحة ، ويمكن هنا تقسيم المرحلة القادمة الى مرحلتين اساسيتين هما :

المرحلة الاولى : (من الان وحتى تموز يوليو ١٩٩٤) .

ابرز معالم المرحلة : (يرجع في تفاصيل هذه المرحلة الى الورقة السابقة التي اعددناها حيث تشمل هذه المرحلة هنا المرحلتين الاولى والثانية في تلك الورقة) .

- يتوقع ان تتميز هذه المرحلة بتجاوب شعبي جيد مع الاتفاقية بسبب ايجابياتها الظاهرة :
(عودة القيادة الفلسطينية - الافراج عن بعض المعتقلين - عودة بعض المبعدين منذ عام ١٩٦٧م - اعادة انتشار الجيش الاسرائيلي وانسحابه من المدن الرئيسية ... الخ)
- من ناحية ثانية ستكون سلطة الحكم الذاتي في بداية ترتيب اوضاعها ، وستكون حريصة على كسب ود الشارع الفلسطيني ، وستتجنب الى حد كبير الصدام مع المعارضة الفلسطينية ، وربما تطلب منها (وفي الاخص حماس) المشاركة في مؤسسات الحكم الذاتي أ محاولة لاعطاء الشرعية لنفسها وللاتفاقية .

برنامج المواجهة المقترح :

١- تفعيل جهاز الامن والرصد لاستغلال هذه المرحلة في جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن اشخاص ومؤسسات الحكم الذاتي ومدى تفاعل الناس معهم ، وبالتالي تحديد الاسلوب الامثل للمواجهات السياسية والجماهيرية في هذه المرحلة والمراحل التي تليها .
٢- المباشرة وفورا بتشكيل المؤسسات المشار اليها سابقا وتشكيل لجان العمل منذ الان للاعداد لهذه المؤسسات والتشاور مع العناصر الفلسطينية في ذلك ويجب ان تعطى الاولوية لرابطة الدفاع عن المعتقلين باعتبار ان الافراج عن بعضهم (المؤيدين للاتفاقية والذين يمارسوا عمليات قتل المجاهدين او العملاء) ثم يكون اول نتائج الاتفاقية الايجابية ، ثم يأتي بعد ذلك الحزب السياسي .
٣- عمل اضرابات اختبارية في غزة واريحا بالاضافة الى الضفة وذلك لاختبار ردة فعل السلطة الفلسطينية فاذا حاولت كسر الاضراب ليمكن استغلال ذلك سياسيا ومواجهة سلطة الحكم الذاتي باتهامها بالعمالة للاحتلال لان الاضراب موجه الى الاحتلال اصلا ، واذا لم تكسر الاضراب فاننا بذلك سنحافظ على مستوى الحد الادنى من مواجهة الاحتلال واعطاء الانطباع المطلوب وهو ان الاحتلال لم يزل وينبغي استمرار المقاومة حتى يتم ذلك .
٤- استمرار اصدار البيان الدوري مع تقليل وتقليص الفعاليات الانتفاضية وتوجيهها نحو مهاجمة مراكز الاحتلال الامنية والمستو

- ١ -

د - نشر كل الحوادث التي يتعرض فيها الشباب الفلسطينيون المطاردة من قبل قوات الاحتلال او من سلطة الحكم الذاتي .

١٢- التنسيق مع عناصر فتح المتضررة (المطاردين) والمعارضين لتنظيم عمليات مشتركة او باسمهم حيث انا لم اعتقالهم فان ذلك سيؤدي الى نوع من الخلخلة في صفوف حركة فتح .

١٣- التصدي لبرنامج التطبيع والغاء المقاطعة العربية للبضائع الاسرائيلية عن طريق نشر الفتاوي الشرعية بحرمة شراء البضائع الاسرائيلية وترويجها وعقد الندوات والمؤتمرات لتوضيح ذلك للجمهور وكذلك التعميم عن طريق لجان المقاطعة الشعبية لاسماء البضائع الاسرائيلية والتحذير من التعامل معها ، وكذلك نشر وفضح كل المتعاملين معها والطلب من الجماهير مقاطعتهم .

المرحلة الثانية:(من انتخاب مجلس الحكم الذاتي وحتى نهاية المرحلة الانتقالية):

ابرز معالم المرحلة (يرجع في تفاصيلها الى الورقة السابقة حيث تشمل هذه المرحلة هنا المرحلتين الثالثة والرابعة في تلك الورقة) .

- يتوقع في هذه المرحلة ان تظهر عيوب وسيئات الاتفاقية بشكل واضح ، وربما بروز التناقضات بين طرح سلطة الحكم الذاتي وموقف الاحتلال من القضايا المعلقة (القدس - الاستيطان - عودة النازحين - السيادة على الارض ... الخ) .
- ويترافق ذلك ايضا مع بروز نتائج اقتصادية ايجابية نتيجة المساعدات والقروض الدولية ، ونعتقد طبيعة تعامل سلطة الحكم الذاتي في هذه المرحلة معنا وفقا للاتفاقيات مع الكيان الصهيوني ولذا فإن طرائق وأساليب العمل في فترة المرحلة ربما يكون من الصعوبة تحديدها مسبقا ولكن يبقى تحديدا بارجاعها للمواجهات في ازمة المرحلة.

حقوق الانسان من السلطة الفلسطينية والدفاع عن المعتقلين السياسيين وضمان حسن معاملتهم والمطالبة بالافراج عنهم .

المقاطعة الشعبية :

ولى مهمة مقاطعة البضائع الاسرائيلية ويمكن ان تكون هذه اللجان متفرعة من لجنة المقاطعة الاسلامية للبضائع الاسرائيلية ن تشكيلها مركزيا في الخارج بهدف مقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني ، ويمكن ايضا ان تنتشر هذه اللجان في كل حي دينة وان تتعاون مع خطباء المساجد وان تصدر البيانات التي تحدد هذه البضائع وتدعو لمقاطعتها وتنشر الفتاوي الاسلامية حراء هذه البضائع ، كما يمكن لها ان تقوم بمتابعة التجار الذين يستوردون هذه البضائع والدعوة لمقاطعتهم بعد انذارهم . ه اللجان ان تكون فاعلة في التصدي للتطبيع وبالتالي افشال الهدف من الاتفاقية الحالية ، وهو السيطرة الاقتصادية ية على العالم العربي ، ويمكن ان تقود هذه اللجان مجموعة من العلماء الدينيين وائمة المساجد وبعض التجار والشخصيات عامة .

- انشاء مراكز معلومات جديدة :

تهتم بالدراسات والابحاث والتي تخدم اهدافنا في المرحلة الحالية من طرق الاستفتاءات والدراسات الميدانية والندوات والمؤتمرات والدراسات والابحاث ، ويمكن ايضا لهذه المراكز الاستفادة من مصادر المعلومات التي تتوفر لها في خدمة الحركة .

٧ - اصدار او تبني صحيفة يومية او اسبوعية :

بحيث تتضمن اراء وافكار الحركة والمعارضة للحكم الذاتي ، ويبدو ان هذه القضية اصبحت ملحة الان ، لان هذه المرحلة تجعلنا في امس الحاجة الى المنابر الاعلامية .

٨ - لجان الاصلاح الوطني :

وتقوم فكرة تشكيل هذه اللجان على حماية افراد الحركة من تنظيم فتح وسلطة الحكم الذاتي وتخفيف حدة الصدامات بيننا وبين فتح ومنع وقوع حرب اهلية بين الطرفين ، كما تهدف الى الاحتماء بالشعب من سلطة الحكم الذاتي والاستفادة من الوضع العشائري المعروف بالتقاليد تجعل الطرف الاخر في موقع الاتهام عندما يحاول الاخلال بها ، وتتشكل هذه اللجان من بعض وجهاء العشائر والشخصيات التي تحظى باحترام الشعب الفلسطيني والتي لا تعرف بانتمائها لتنظيم معين .

٩ - دراسة امكانية انشاء مؤسسات مالية اسلامية (بنوك - شركات تأمين - شركات استثمارية ... الخ) .

ب - المؤسسات القائمة :

وتشمل المؤسسات التي انشأتها الحركة وتسيطر عليها والمؤسسات الاخرى سواء تلك التي انشأها مؤيدون او تعتبر مؤسسات عامة .

١ - مؤسساتنا القائمة :

تفعيلها وتطويرها وتأكيد دورها وتثبيت السيطرة عليها ودراسة جدوى وجود وضع قانوني لها حسب المصلحة المتحققة (الجمعية الاسلامية - المجمع الاسلامي - رابطة علماء فلسطين - اللجان الخيرية ...) .

٢ - المؤسسات الاخرى :

(اتحاد الطلاب - النقابات المهنية - النقابات العمالية - غرف التجارة - البلديات .. الخ) ، ونحتاج لوضع خطة مدروسة لاختراق هذه المؤسسات ومحاولة السيطرة عليها وكذلك وضع خطة لاختراق مؤسسات الحكم الذاتي (الشرطة - الوزارات - الهيئات الحكومية - الجامعات ... الخ) .

٣ - الرموز :

- لابد من اعداد وتأهيل مجموعة كبيرة من الرموز الاسلامية في كافة التخصصات وفي كافة المناطق . ...
- الاستفادة من الرموز كبدائل جاهزة لوراثة قيادة الشعب الفلسطيني مستقبلا .
- يمكن انشاء مركز التدريب والتأهيل لهذه الغاية .

أ - التغلغل في البنية الاجتماعية الفلسطينية ويشمل ذلك :

- محاولة الوصول الى زعامات العشائر والسيطرة عليها او على الاقل تحييدها .
- انشاء النوادي الشبابية متعددة الاغراض الاجتماعية (رياضية - ثقافية - اجتماعية) وتطوير الموجود منها .
- انشاء مدارس خاصة وكليات مجتمع وتطوير الموجود منها .
- توسيع شبكة العمل الخيري والاجتماعي لتشمل كافة المناطق في الارض المحتلة ، مع دراسة امكانية انشاء مؤسسات خيرية للعمل

يات العسكرية على الدول الخارجية ، وكذلك استمرار [illegible] والاعلام العربية بأن لا اله الا الله ، وكذلك المظاهرات الجماهيرية ضد الاحتلال كلما كان ذلك ممكنا ،

٥- تكثيف العمليات الاستشهادية النوعية قبل دخول سلطة الحكم الذاتي وذلك لايقاع اكبر خسائر في العدو مما سيدفعه لابتكار اجهزة تزيد استحالة التعايش معه ، وعدم احترامه للمواثيق التي وقعها مع الفلسطينيين كأن يفكر لملاحقة الشبان المطاردين داخل مناطق سلطة الحكم الذاتي ، او ان يلجأ الى اعادة احتلال منطقة او فرض الحكم العسكري عليها ، واذا لم يقم الاحتلال بمطاردة المطلوبين وترك امرهم لسلطة الحكم الذاتي فانها ستكشف نفسها امام الجمهور وتحرص على اظهارها بأنها اداة من ادوات الاحتلال ، وتثور الجماهير ضدها ، وتأكد أن الاحتلال لم يزل وانما عملية نقل لمكاتب الادارة العسكرية الى الخارج مع استبدال الضباط اليهود بضباط فلسطينيين لتنفيذ اوامر الادارة العسكرية ، كما أن استمرار العمل الجهادي يجعل من عملية ضرب الحركة او تصويرها عملية صعبة لانها تمثل ضمير الامة ووجودها الرافض الراسخ للاحتلال ويتمثل الانتباه هنا الى مدى تجاوب الناس مع عمليات حماس وردود افعالهم تجاهها ، فاذا كانت هذه الردود سلبية ومطالبة بايقافها لانها تؤدي للضرر بالشعب الفلسطيني فينبغي تعزيز دورة الاجتماعي والاتصال اكثر في صفوف الجماهير ، وتعزيز دور خطباء المساجد والعلماء في الحديث عن الجهاد وفضائله ومزايا الشهادة في سبيل الله ، وينبغي الانتباه هنا الى ان تنظيم فتح سيحاول من خلال انتشاره الشعبي اقناع الناس بعدمية هذه الاعمال ومدى ضررها على الفلسطينيين وهذا يستدعي ضرورة مواجهة هذه الطروحات والتصدي لها ، واما بالنسبة لنوعية العمليات فيفضل أن نركز على التجمعات الاستيطانية ومراكز الاحتلال ودورياته في الشوارع الخارجية وكذلك المراكز الحيوية في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ م ،

٦- تنظيم المظاهرات واصدار البيانات عند دخول سلطة الحكم الذاتي وعرفات الى الأراضي المحتلة واظهار انه لم يسمح لهم بالدخول الا لانهم قدموا التنازلات المطلوبة للاحتلال ورضوا بأن يكونوا من ادواته وتذكير الناس بالحرب المريرة بين الطرفين وكيف تحولت فجأة الى سلام ،

٧- لمواجهة سلطة الحكم الذاتي فيما يتعلق بقانون الأحزاب والترشيح للانتخابات وذلك وفق التالي :-

أ - الاعلام بأن السلطة لن ترخص لحزب لا يوافق على الاتفاقية الحالية ويرفض الاعتراف بالكيان الصهيوني وذلك كاستحقاق مطلوب من هذه السلطة للاحتلال ، والهدف من ذلك هو احراج هذه السلطة ، فاذا اعترفت [illegible] فهو في صالحنا واذا نفذت ذلك بالفعل يثبت صدق قولنا للجماهير ،

ب - التركيز على قضية استثناء اهل القدس الشرقية من الترشيح وكذلك الانتخاب خارج حدود القدس وتأكيد ان الحكومة ستزال [illegible]

ج - في حالة عدم السماح للحزب بالعمل العلني يمكن ان تشكل كتلة وجبهة اسلامية تتشكل من كافة الفصائل والشخصيات المعارضة وتمارس دورها السياسي حتى ولو كان ذلك بدون ترخيص من سلطات الحكم الذاتي وتقوم هذه الكتلة بالاستفادة من دروس وبرمجيات الانتفاضة وتكريسها على الملأ واصدار البيانات السياسية وتنظيم المظاهرات والاحتجاجات وارسال العرائض الى سلطة الحكم الذاتي ،

٨- الاستمرار في عقد المؤتمرات الشعبية في الداخل بالتنسيق مع التنظيمات الاخرى وكذلك اقامة عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في الخارج ،

٩- محاولة تفعيل اهل الضفة والقدس ضد الاتفاق باعتبارهم اكثر المتضررين منه ويمكن ان يتم ذلك عبر عدة اساليب اهمها الروابط والجمعيات التي يمكن تشكيلها وخصوصا لاهل القدس باعتبار ان الحكم الذاتي لا يشملهم ،

١٠- استغلال قضية الافراج عن بعض المعتقلين واستمرار احتجاز البعض الآخر (المعارضين للاتفاقية والمنفذين لعمليات ضد الاحتلال) كالتالي :-

أ - تنظيم اعتصامات لاهالي المعتقلين امام مقر السلطة الفلسطينية ،

ب - اصدار بيانات من المعتقلين للرأي العام تظهر فيه حقيقة الامر وتظهر الانتقائية في الافراج عن المعتقلين لصالح تنظيم فتح ،

ج - تنظيم مظاهرات تضامنية لاهالي المعتقلين ،

د - تنظيم حملة عرائض من اهالي المعتقلين الى السلطة الفلسطينية ،

١١- استغلال عدم الانسحاب الاسرائيلي من الضفة والقطاع كالتالي :-

أ - تنظيم المظاهرات الجماهيرية الحاشدة والمطالبة بالانسحاب (وخصوصا من الضفة) ،

ب - التركيز لحركتنا السياسية واصداراتنا الاعلامية على هذه النقطة بالتأكيد على ان الاحتلال لم يزل ،

ج - تنظيم مجموعة من الفعاليات الانتفاضية ضد مراكز الاحتلال ،

هذا الكتاب

يجلي الغموض ويوضح معالِم حركة حماس بشكل لم يسبق له مثيل، وهو خلاصة بحث مضف وتحقيق واسع حول نشأة حركة حماس وتأسيسها وقيادتها وعملها العسكري والأمني، من أجل ذلك كان لا بد من خوض المصاعب لكي نتمكن من وضع الحقيقة الكاملة بين يدي القارئ العربي دون خجل أو خوف .

فها هي الحقيقة بين يديك عزيزي القارئ فلا تتأخر لمعرفة تفاصيلها .

دار الشروق للنشر والتوزيع
غزة - فلسطين
الرمال الجنوبي - تلفون : ٠٦/٢٨٤٧٠٠٣
دار ال
عمان - الأردن
فاكس ٦١٠٠٦٥
com.jo
www.shorok.com